حسن الجندي

الطبعة 11

مخطوطة ابن إسحاق

العَائِدُ

مخطوطة ابن إسحاق

العائد

رواية لـ

حسن الجندي



إهداء

إلى الصوت الذي كان يُحدثني أثناء كتابة هذه الثلاثية.. أشكرك لأنك توقفت عند انتهائها

مقدمة

داخل غرفة التشريح بمشرحة زينهم يقف (خالد) والمأمور أمام جثة موضوعة على المنضدة، وكلاهما يرتدي كمامة. على غير عادة الأول أثناء التشريح. أمامهما على المنضدة تلك الجثة المتحولة على هيئة قرد. و(خالد) يمسك يد الجثة العارية المشعرة ويشير بمشرط جراحي الى شيء ما قائلًا للمأمور:

-"لم ار كائنا من تلك الفصيلة قط. كائن يمتلك في يده ثلاثة أصابع تشبه المخالب".

رد المأمور بقرف:

-"ولن ترى. لولا علاقات قريبي الضابط بأمن الدولة لما استطعنا أن ننقل تلك الجثة هنا لنشرحها سرًا".

أعاد (خالد) اليد لموضعها وأمسك الرأس الذي كان يختلف عن البشر في كثافة الشعر ووجود أنف أفقي جعله أقرب للقرود. أمسك بالرأس وأزاح بعض الشعر الكثيف وهو يقول:

-"هناك قرنان صغيران لهذا الكائن الغريب لم أر مثلها من قبل".

وضع الرأس ثم أشار للقدمين قائلًا:

-"وقدمان تكوينها يقترب من تكوين أقدام الجدي بحوافر واضحة".

-"كيف ستبدأ تشريح هذا الكائن؟"

-"سأبدأ بالرأس، وبالتحديد الفم".

أمسك بالفم وفتحه بصعوبة فانفرج على اتساعه بشكل غريب. وظهرت منه أسنان كثيرة طويلة. أما نهايتا الفم فكانتا تقتربان من الأذن التي تشبه أذن الحصان. قال (خالد):

-"الفم تزيد عدد أسنانه عن الأسنان العادية بـ.."

أخذ يعدّ الأسنان.. وبينما يعدّها، إذ فجأة...

فتح الكائن عينيه. فتراجع المأمور رعبًا وهو يشهق. نظر له (خالد) بهدوء وقال:

-"لا تخف. هذا ردة فعل للجثة. فهي تتحول من وقت لآخر من حالة التصلب إلى حالة الارتخاء والعكس".

هدأ المأمور قليلًا بينما نظر (خالد) إلى الجثة مرة أخرى وهو يتفحص الأسنان. فجأة تحركت يد الكائن ولطم وجه (خالد) بمخالبه فانفجرت الدماء من خدّه الأيمن. وسقطت كمامته. تراجع المأمور للوراء خطوة وهو يخلع كمامته بحركة تلقائية و(خالد) يتراجع ممسكًا جرحه والصدمة تسيطر عليه. نهض الكائن بسرعة من على منضدة التشريح ووقف على الأرض بقامته القصيرة. نظر حوله يتأمل الغرفة ثم رمق (خالد) والمأمور. أغمض عينيه وملامح وجهه تختفي ببطء ليحلّ محلها ملامح وجه المأمور. ظل محتفظًا بلون جلد وجهه وهو يتغير. حتى اختفت الأذنان والقرنان وأصبح وجهه كوجه المأمور.

تلوّن الجلد ليصبح قريبًا من لون جلد المأمور. خرج من جسده صوت كطقطقة العظام وتكسّرها بينما قدماه تستطيل ببطء. فجأة انفتح باب غرفة المشرحة بقوة ودخل (حامد) وعلى وجهه علامات الوقار وهو يقول بصوت جهوري مقتربًا من الكائن:

-"دخول الحمام ليس كخروجه أيها الغول. كنت تريد قتل صديق (حامد). وأنت لا تعرف من هو (حامد...."

فجأة تعثّر (حامد) ووقع على وجهه مطلقًا صرخة ألم. نظر له الكائن بدهشة لثوانٍ فرفع (حامد) وجهه وهو مازال على الأرض وقال:

-"والنبي لا تهاجم يا كابتن حتى أنهض".

لم يفهم الكائن هل (حامد) يمزح أم يتكلم بجدّية. صرخ (حامد) وهو ينظر باتجاه الباب:

-"هيا يا (رحيم) لننقضّ عليه!"

نظر الكائن للباب ثم لحامد مندهشًا فصرخ (حامد) مرة أخرى:

-"هيا يا (رحيم) لننقضّ عليه قبل أن يغتصبني".

دخل (عماد) وبجواره (يصفيدش) بهيئة بشرية لرجل في الأربعين. نظر الكائن لـ(يصفيدش) برعب بينما أشار الأخير بيده اليمنى ناحية الكائن وقال كأنه يحدّث أحدًا بجانبه:

-"كبّلوه وانقلوه معنا".

تصاعد دخان حول الكائن وغطاه. فصرخ حتى تلاشى صوته بينما الدخان يغطيه ثم يتزاح ليترك موضعه خاليًا.

نظر (يصفيدش) للمأمور المذهول وقال مبتسمًا:

-"ألم أقل لك لا تتدخل في تلك القضية؟"

قال المأمور بصوت متقطع:

-"من أنت؟"

-"أنا رجل من الجان ولي عندك حاجة.. هل تتذكرني؟"

اتسعت عينا المأمور فزعًا. هنا سمع (حامد) وهو مازال على الأرض صوت (رحيم) في أذنه وهو يقول ساخرًا:

-"ما ذلك العرض الذي قمت به عند دخولك. لم يبق إلا أن تنادي علي قائلًا: افتح يا مازينجر!"

-"هل كنتَ ستأتي لو قلتُ لك افتح يا مازينجر؟"

قالها (حامد) فنظر له الجميع. فابتسم لهم. وغادر (يصفيدش) الغرفة وهو يقول:

-"سأزورك مرة أخرى أيها المأمور. وأنت يا (عماد) اجلب (حامد) الأهطل هذا معك وهيا بنا. لا وقت لدينا لنضيعه".

***

في اليوم السابق:

عندما وضع (محمود) المحقن للمرة الثانية في ذراع (إسلام) فجأة انفجر الحائط المجاور له من جراء اقتحامه من كائن ما. بذعر رمق (محمود) و(إسلام) و(رقية) الحائط وهم يشاهدونه وقد تناثرت قوالب الطوب منه لداخل الحجرة صانعة فتحة في منتصف الجدار. عبرها كائن ما مغطى بالأتربة المتساقطة من الفتحة. يمدّ قدميه العاريتين ويعبر بجسده العاري للحجرة وسط دهشة الجميع.. هنا صرخت (رقية) من الفزع وأُغشي عليها بعدما تدبرت ما ترى. وترك (محمود) المحقن في ذراع (إسلام) مفزوعًا وهو يستدير مواجهًا ذلك الكائن. بينما (إسلام) نفسه لم يكن يُصدّق نفسه مما يرى.

كان الواقف شابًا عاريًا تمامًا. الفرق أنه لم يكن يمتلك عضوًا ذكوريًا. بل موضع ذلك المكان ممسوح تمامًا!! جسد ضخم متناسق كلاعبي كمال الأجسام. أما الوجه فكان غريبًا.. إنه وجه (إسلام) الأبيض الوسيم. لكن عينيه كانتا مشقوقة بالطول كالقطط وعسلية اللون كعين (إسلام). ومن وسط شعره يخرج قرنان بنفس لون جلده بطول 5 سنتيمترات. إنه قرين (إسلام). تقدّم من (محمود) الذي حاول أن يُوجه له لكمة. لكنّ لكمته اصطدمت بوجه القرين ولم تؤثر فيه. فجأة أمسك القرين بـ(محمود) وحمله بيديه عاليًا ثم جرى به لأقرب حائط وأخذ يضرب رأسه به. و(محمود) يصرخ والدماء تنفجر من رأسه حتى خبتت حركته بعد عدّة ضربات في الرأس. تركه القرين

يسقط جثة هامدة. وتقدم من فراش (إسلام) الذي كان يجلس مرعوبا وهو يشاهد ما يحدث. توقف القرين أمام (إسلام) ونظر في عينيه وقال بنفس صوت هذا الأخير:

-"تحت أمرك".

فجأة انفتح الباب بقوة وظهر من خلفه رجل أمن المستشفى وهو يرفع مسدسه ويهتز من الخوف.. زاد خوفه بعدما رأى القرين وقال بصوت مرتعش:

-"ارفع يديك لأعلى".

نظر القرين لرجل الأمن بلا تعبير على وجهه ثم تقدم منه ببطء. فأغمض رجل الأمن عينيه وأطلق رصاصتين عليه ثم فتحهما فوجد أنه لم يتأثر. أطلق رصاصة ثالثة اصطدمت بصدر القرين بالضبط لكنها ارتدت عنه بقوة. صرخ رجل الأمن فزعًا والقرين مازال يتقدم منه. فجأة اختفى. فدار رجل الأمن بنظره في الغرفة بحثًا عنه ولكن عينيه اصطدمت بـ(رقية) المغشي عليها. وبجثة (محمود). وقع المسدس من بين يديه وهو يرى ملامح (محمود) تتبدل وتتغير وجسده يسبح كأنه مغطى بالدهن. بينما يظهر ببطء جسد لا يتعدى مترًا ونصف. غزير الشعر يشبه القرد ويرتدي نفس ملابس (محمود) ومعطفه!!

دخلت بعض الممرضات الغرفة بعدما سمعن صوت طلقات الرصاص. وبمجرد دخولهن صرخن بفزع. حرك (إسلام) الراقد على الفراش يده بصعوبة وأشار لـ(رقية) المغشي عليها. ارتبك رجل الأمن والتقط مسدسه من الأرض موجهًا إياه ناحية (إسلام) وهو يتراجع خطوة

للوراء فاصطدم بالممرضات. اللاتي صرخ بعضهن عندما وجه ناحيتهن مسدسه خائفا.

جاء صوت رجل من خارج الغرفة يقول:

-"ماذا يحدث هنا؟"

ابتعدت الممرضات ليفسحن مكانا للدكتور (منصور) المشرف على قسم الجلدية. دخل فوجد رجل الأمن ينظر حوله بخوف وسلاحه في يده موجه للأرض. صرخ فيه:

-"اترك سلاحك يا بني. ماذا حدث؟"

نظر له رجل الأمن بخوف ثم ترك السلاح يسقط منه على الأرض مرة ثانية. كانت صدماته متتالية منذ أن أطلق الرصاص من مسدسه لأول مرة في حياته ومرورًا بذوبان دكتور (محمود) وتحوله. ونهاية بـ(إسلام) الراقد على الفراش. والذي يشبه من كان يهاجمه منذ قليل.

اتسعت عينا دكتور (منصور) دهشة من الجثة الذائبة. مرر عينيه في الغرفة حتى وقعت على (رقية). فأسرع يجثو بجانبها يحاول إنعاشها وهو يناديها. صرخ في الممرضات ليساعدنه في نقلها. بينما أراح (إسلام) رأسه على الوسادة وهو ينظر للسقف ثم يغمض عينيه.

***

فتحت (رقية) عينها فوجدت نفسها على مقعد بغرفة رئيس قسم الجلدية. والممرضات حولها والابتسامة ترتسم على وجوههن سعادة باستيقاظها. تذكّرت ما حدث وقالت بصوت متحشرج:

-"أين (إسلام)؟ ماذا حدث له؟"

-"(إسلام)!!"

قالتها إحدى الممرضات بتساؤل. فردت أخرى:

-"إنه المريض الذي نقله دكتور (منصور) لغرفة أخرى منذ قليل".

-"هل حدث له مكروه؟"

سألت (رقية) بلهفة بعدما تنحنحت لتتمكن من الحديث بعد طول فترة صمتها في الغيبوبة.

-"حالته جيدة وهو الآن نائم في غرفة جديدة بدل التي دُمّرت".

قالتها إحدى الممرضات فردت أخرى عليها باشمئزاز:

-"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. تلك الغرفة مسكونة. هل رأيتم العفريت المقتول فيها؟"

نهضت (رقية) فشعرت بدوار خفيف لكنه ذهب في ثوانٍ. وقالت لإحدى الممرضات:

-"خذيني لغرفة (إسلام) يا (عفاف)".

-"ارتاحي قليلًا واحكِ لنا عن الـ..."

قاطعتها (رقية) بخشونة:

-"(عفاف).. قلت لك خذيني الآن!"

***

شعر (إسلام) بيد تمسح على شعره. لم يكن نائمًا. بل حاول إيهام الجميع بذلك بإغماض عينيه ليفكر في كل ما مر به. عن القرين الذي زاره. وعن الطبيب الذي حاول اغتياله ثم تحول لجني.

مسحت اليد على شعره ثلاث مرات بحنان وبطء. شعر أنها يد فتاة بسبب رقتها وصغرها. فتح عينيه فوجد (رقية) تنظر له بلهفة. بمجرد أن رأته فتح عينيه ارتبكت وأبعدت يدها بسرعة. فابتسم بطرف فمه الذي يستطيع تحريكه. قالت وهي تُعيد خصلة من شعرها لخلف أذنها:

-"حمدًا لله على سلامتك".

تأملها (إسلام) بعينيه. بعض الأتربة على وجهها الأبيض من جراء ما حدث في الغرفة ولكنها لم تتأثر. ظلت قسمات وجهها جميلة وخداها يبرزان في وجهها كعلامة مميزة على تقاسيمه المحددة. برغم الخدش الأحمر على خدها الأيمن بعد أن لطمها (محمود). حتى شعرها الأصفر المعقوص خلف رأسها تحركت خصلاته لتتداخل سويًا ولكنه ظل جميلًا. توقفت عيناه عند عينيها الواسعة المجهدة. شعرت بالحرج فقالت وهي تبتعد للوراء برأسها قليلًا:

-"من هذا الذي يريد قتلك؟ ولماذا رأيت هلوسة بعد ذلك؟ وكيف تهدم الجدار بينك وبين الغرفة المجاورة؟"

نظر للسقف وقال:

-"هل يمكن أن أناديكِ (رقية)؟"

فوجئت بالسؤال ولكنها لم تجد مانعًا في ظل تلك الظروف:

-"تفضل".

-"ما شاهدتيه منذ قليل لم يكن هلوسة يا (رقية) فقد رأيته معكِ".

وضعت يدها على فمها وتقلّص وجهها.

-"المهم، أطلب منكِ أن تتصلي برقم هاتف محمول سريعًا لصديق لي يُدعى (عماد) وتخبريه بما حدث، وقولي..."

توقف عن الحديث عندما سمع طرقات على باب الغرفة فتحفز في رقدته. فُتح الباب ودخل (عماد) و(حامد) ومعهما (يصفيدش) في هيئة رجل لا يعرفه (إسلام).

-"هل يمكن أن تتركينا مع (إسلام) وحدنا؟"

قالها (عماد) لـ(رقية) فردت بعفوية:

-"مع الأسف لن أتركه".

قال لها (إسلام) هامسًا:

-"لا تخافي فأنا أعرفهم".

نظرت له فالتفت أعينهما كأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين. أشاحت بوجهها عنه وغادرت الغرفة. فقال (إسلام) بإنهاك مشيرًا لـ(يصفيدش):

-"من هذا؟"

-"أنا (يصفيدش بن ذاعات)".

لم يبدُ على وجه (إسلام) أي نوع من التعبير وقال:

-"من؟! ما معنى هذا الاسم؟"

تقدم (عماد) خطوات من الفراش وهو يقول:

-"حراستك التي وضعها عليك (حازم) أخبرتنا بكل ما حدث".

-"حراستي!! واضح طبعًا أنهم حرسوني!"

قالها (إسلام) مستهزئًا.

-"هم يحرسوك من الجان. لكن إذا تشكّل الجان بهيئة بشر فيجب عليهم أن يتشكّلوا أيضًا. وهم غير مأمورين بذلك".

قالها (عماد) لكن (يصفيدش) أضاف:

-"وبالتأكيد ارتبكوا بعدما ظهر قرينك ليقتل الغول. كيف حدث هذا؟!"

-"لا أعرف.. لكن كيف عرفت عما نتكلم؟"

جلس (يصفيدش) على طرف الفراش وقال:

-"نحن لا نعرف كيف يتحرر قرينك وأنت في عالم البشر بدون أن تموت. وكيف يكون في خدمتك ويتحدث معك".

-"المشكلة ليست في كيف تحرر القرين ولم يمت. المشكلة أنه..."

قاطع (يصفيدش) (عماد) قبل أن يكمل عبارته. وقال بصوت خشن وحاسم:

-"إنها المشكلة الوحيدة الآن. ألم تفهم بعد؟!"

رفع (عماد) حاجبيه مندهشًا بينما فتح (حامد) فمه غباء.. نظر (يصفيدش) لـ(إسلام) وقال:

-"هل سمعت باسم (يصفيدش بن ذاعات) قبل الآن؟"

-"لا".

-"هل تعرف اسم من قتل صديقك (يوسف)؟"

-"لم أعرفه بعد ولكني أبحث".

-"في أي كلية تدرس؟"

كاد (إسلام) يجيب ولكنه توقف وهو ينظر لـ(يصفيدش) بلا تعبير. ثم قال:

-"كانت على بالي للحظة. لكني لا أتذكرها الآن".

نظر (يصفيدش) لـ(عماد) وقال:

-"صاحبكم يفقد ذاكرته بالتدريج".

***

قال (عباد) لـ(حازم):

-"قبل أن يأتيني (إسلام) وجدت نقطة شبيهة بتلك النقطة تتحرك بسرعة غريبة داخل سوائل الغرفة. في البداية لم أفهم ما هي. ولكن بعد زيارة (إسلام) وجدت تحركًا غريبًا لأعداد ضخمة من القرناء يدخلون عالمنا. قرناء لرجال ماتوا. الغريب أن تلك النقطة التي تتحرك في السوائل كانت بالقرب من منطقة ظهور القرناء. ويوم اختفاء...."

توقف (عباد) عن الكلام ونظر حوله لسوائل الغرفة:

-"(حازم). ألا ترى أن هناك حركة غريبة بين سوائل الغرفة؟!"

نظر (حازم) وراءه ليرى. وفجأة انفجرت الغرفة من الداخل وطار (حازم) و(عباد) ليصطدما بالحوائط. واندلعت النيران في الغرفة من العدم مع أبخرة سوداء. لم يستغرق الأمر ثوانٍ إلا وقد انتهى الانفجار ذو الصوت المرعب وخلف وراءه الغبار والأبخرة السوداء. على الأرض زحف (حازم) وقد تمزقت ملابسه وملأت الجروح وجهه وجسده محاولاً لجثة (عباد) الذي لم امتلأ وجهه بالدماء. كان شاخص العينين. فأخذ (حازم) يهزه بكل ما أوتي من قوة حتى شاهده من

وسط الغبار يحرك شفتيه ببطء. فاقترب بأذنه من شفتيه ليسمعه بصعوبة وهو يقول بصوت هامس منهك:

-"يجب أن يكون للغرفة سيد. أنت من الآن سيد الغرفة".

بمجرد أن قال (عباد) عبارته أغمض عينيه ومال رأسه. غاب (حازم) عن الوعي لدقائق. ثم شعر بألم في مؤخرة رأسه. فتح عينيه بتثاقل ورائحة غبار تتخلل أنفه. عادت له الرؤيا فوجد الغبار يملأ الهواء. رفع رأسه قليلًا فوجد (عباد) كما هو شاخص البصر والدماء تُغرق وجهه وجروح مختلفة منتشرة بأجزاء جسده تتخلل ملابسه الممزقة من جراء الشظايا.

فكر أن هناك احتمالاً أن يكون الإسعاف في الطريق إليه الآن. نظر حوله بصعوبة وبدأ يشك أن أحدًا من سكان العمارة قد شعر بشيء من الأساس!! نهض بصعوبة فأحس بوخز بسيط في قدمه اليمنى. نظر لها ودقق.. فخذه الأيمن تسيل منه الدماء وقطعة زجاج مسدسة الشكل مستقرة في لحمه. أحس هنا بالألم يزيد. ربما لأنه شاهد موضع الجرح بنفسه. لو لم يلاحظه لما زاد الألم هكذا.

بعدما وقف على قدميه نظر مرة أخرى لجثة (عباد) ثم سار بصعوبة باتجاه الباب وعندما وصل عنده فقد وعيه ساقطًا على الأرض مرة أخرى

***

مرت عليه ثلاث ساعات فاقدًا الوعي، حتى أفاق مرة أخرى. أحس بالعطش كأنه ينام على رمال الصحراء. نهض فشعر بأن الغرفة تدور به. نظر لقدمه فوجد الدماء مازالت تسيل. قبض على مقبض الباب وفتحه بصعوبة فسمع الأصوات المميزة لإزاحته. خرج وعقله يدور. صعد السلم وهو يتخبط ويسقط وينهض ثانية. ودوران الأشياء من حوله يزيد. وصل إلى المدخل الصغير الذي يفضي إلى غرفة مكتب (عباد). فتح الباب ودخل المكتب بسرعة فاصطدم بمقعد صغير ووقع معه أرضًا. صرخ وهو ينظر حوله:

-" اذهبوا لـ(عماد) بسرعة. اجعلوه يحضر. أنا أموت!"

***

جلس الشيخ (محمد) على مقعد في صالة شقته يرتدي جلبابه المنزلي وهو يذكر الله مستخدمًا عُقل أصابعه للعدّ ناظرًا للفراغ بعقل شارد. حتى وجد نفسه في لحظات كثيرة قد توقف عن الذكر تلقائيًا وعقله يسرح في مسألة (يوسف) وموته.

سمع صوتًا يشبه الحفيف في غرفة نومه فانتبهت حواسه بسرعة. فهو يعيش تلك الأيام في أحداث غريبة لم يكد يتخيل أن يرى ربعها في حياته.

اعتدل في جلسته وأنصت. هل كان يتخيل؟

نهض من مقعده واقترب من باب الغرفة وهو يُتمتم بالذكر، خرج من الغرفة طفل صغير يسير بلا صوت.. تراجع الشيخ للوراء وعلا صوت الذكر من فمه رغمًا عنه.

في اللحظة التالية أدرك أن الدماء تُغطي وجه الطفل وقرنين صغيرين يخرجان من رأسه. لولا الدماء والقرنان لحسبه طفلًا عاديًا بجلبابه الصغير الذي يرتديه وملامحه البريئة الهادئة.

علا صوت ذكره أكثر. ومن الغرفة خرج رجل يرتدي جلبابًا ودماء على شفتيه ونفس القرنين الصغيرين أعلى رأسه.. فجأة خرج الكثير من الرجال والنساء بلا صوت. يقتربون منه وهو يتراجع أكثر حتى عاد إلى مقعده مرة أخرى وسقط علي. وانعقد لسانه عن الذكر.

اقترب الجميع منه وهم لا يكفّون عن الخروج من غرفة النوم. أغمض عينيه في استسلام لكنه سمع صوتًا مألوفًا.. صوت (يوسف) يقول:

-"هذه آخر زيارة لي يا صديقي.. جئت ومعي هديتي".

***

الفصل الأول

فيما مضى

عام 1762 لم يكن مميزًا عن بقية الأعوام في فارس. وبالتحديد في محافظة (إسفرايين) بخرسان الشمالية. ربما لم يكن مميزًا لدولة فارس ككل. ولكنه بالتأكيد كان مميزًا لـ(مهران بن حسين) الفتى ذي السبعة عشر عامًا. بعينيه البنية وشعره الأسود ولحيته النامية الصغيرة التي يحاول أن يربيها كي تعطي لوجهه الهيبة التي يفتقدها بين أقرانه. ساعد موت أبويه على تقليل قيمته بين أبناء جلدته. ربما حصل على تعاطف كبار السن. لكنه كان مهانًا بين أبناء الحي الذي يقطن فيه مع خالته العجوز. فمهما تلقى من إهانات لن يظهر له والد قوي ليرد على من أهانه. وخاصة أنه لم يعرف له أعمامًا.

في ذلك اليوم المشمس استيقظ في غرفته وهو يسمع المؤذن يُعلن حلول موعد صلاة الظهر. نهض من فرشته التي يفترشها على الأرض بتثاقل. بدّل ملابسه وارتدى جلبابًا كحلي اللون ووضع على رأسه طاقية من القطن كانت هدية له من الشيخ (جعفر) الذي رباه روحيًا. وضع قدميه في النعل وغادر المنزل ذا الطابق الواحد ليسير نحو المسجد. مرّ على منازل حيّه التي لم يكن يعرف أنها تشبه منازل الفقراء في القاهرة في ذلك الوقت. لكنه سيعرف لاحقًا. الحركة بطيئة في ذلك الحي. وتكاد تكون منعدمة برغم انتصاف شمس النهار. ولكن أمام أحد الدكاكين التي تبيع الحلوى وقف ثلاثة شباب في نفس عمر (مهران) يتحدثون. نظر له أحدهم بعد أن انتبه لوجوده ونبّه البقية أيضًا. حاول (مهران) أن يسرع في خطواته. ولكن الثلاثة أحاطوا به في ثوانٍ. وقال أحدهم:

-"هل تذهب للصلاة يا (مهران)؟"

أجابه بقلق:

-"نعم يا (بيرقدار)".

-"لماذا لا تدعو لنا أن يهدينا الله؟"

-"حاضر سأدعو. ابتعد عن طريقي الآن لألحق بالصلاة".

رد أحد الشباب بعنف:

-"هل تأمره بالابتعاد؟! أتجرؤ على أن تأمره يا كلب!"

-"لا والله لا أقصد. لكن..."

قاطعه أحدهم وهو يلكمه بقبضته قائلًا:

-"وترد علينا ايضًا!"

وقع (مهران) أرضًا وهو يصرخ بيأس

-"أرجوكم لا أريد عراكًا".

ضحك الثلاثة وابتعدوا عنه ليقفوا في موضعهم السابق. نهض وهو ينفض ملابسه من الأتربة وينظر لهم بحرقة. سار في طريقه إلى أن وصل إلى بوابة المسجد. شعر بأن عينيه تحرقه. وضع إصبعه على عينيه فوجد الدموع تخرج منها على استحياء. نظر لباب المسجد الذي يدخل منه المصلين ولكنه لم يستطع الدخول. سار حتى ابتعد قليلًا عن المسجد وجلس على الأرض مرتكنًا إلى أحد حوائط المنازل. نظر أمامه وانفجر بالبكاء. كان معتادًا على البكاء بسبب إهانة الجميع

له. وبمجرد أن يبدأ في البكاء يتذكر فقره وعجز خالته ومستقبله غير المحدد الملامح. وعمله ليلًا في محل العطارة الذي لا تكاد النقود القليلة التي يتحصل عليها من صاحبه تكفي إطعامه هو وخالته. يتذكر جوعه الدائم الذي لم يستطع أن يسدّه. وهو يُبدّي إطعام خالته العجوز على سدّ جوعه. يتذكّر كل هذا بالإضافة إلى إهانته الدائمة من قبل كل من بالحي من الشباب فيزداد بكاؤه.

شعر بمن يجلس بجانبه على الأرض فانتفض ناظرًا إليه فوقعت عيناه على رجل عجوز في الستين يرتدي عمامة بيضاء مهلهلة. وجلبابًا أبيض متسخًا وعباءة سوداء مثقوبة في أكثر من موضع. له لحية بيضاء تُضيف الطيبة على ملامحه الوسيمة المرهقة. في يده اليمنى كيس من القماش وفي يده اليسرى عصا ضخمة. قال الرجل بصوت رخيم:

-"أحييك على شجاعتك. بكاء الرجل في حد ذاته ليس ضعفًا كما يشاع. بل شجاعة على التعبير عن نفسه".

ثم نظر العجوز أمامه وقال:

-"لكم تمنيت أن أبكي.. ولكني لست شجاعًا مثلك".

مسح (مهران) دموعه بخجل وقال:

-"لم أرك هنا من قبل؟"

-"كنت أسير في طريقي الطويل. حتى غلبني التعب والجوع. فجئت أجلس بجانبك".

-"وأين هي وجبتك؟"

ابتسم العجوز وقال:

-"الموت يا (مهران)".

-"هل تعرف اسمي؟!"

-"لا يهم. هل تعرف ما الذي أتمناه الآن؟"

-"لا"

-"أتمنى أن آكل ثم أنام".

-"هيا لداري لأطعمك".

قالها (مهران) ثم نهض. فقال العجوز مبتسمًا:

-"ولكنك فقير".

-"وأنت مثلي.. ولكنك تحتاج الطعام أكثر مني. هيا بنا".

للحظة سأل نفسه هذا السؤال. لمَ يساعده؟ فوجد الاجابة تقفز لعقله. لأنه يشعر بألفة مع من هو أقل منه حالًا. فلو استطاع مساعدته لشعر بالسيطرة بقوة زائفة يحتاجها ليتقبّل فقره. ساعد (مهران) العجوز على الوقوف ثم سار وهو يتكئ على عصاه بجانبه عائدين لطريق المنزل. في طريق العودة مرا على الشباب الثلاثة. فقال أحدهم:

-"من هذا يا (مهران)؟ هل نبت لك أب من جديد؟"

لم يتوقف (مهران) ولكن خطواته صارت مرتبكة وسريعة حتى كاد أن يتعثر. لكن الرجل العجوز توقف ناظرًا للشباب مبتسمًا.

-"يبدو أن قريبك مجنون يا (مهران). واضح فعلًا أنه من عائلتك".

ظل العجوز ينظر للشباب مبتسمًا لحظات فنظر الثلاثة لبعضهم البعض بدهشة. زادت ابتسامة العجوز وفجأة ضحك ضحكات متقطعة بصوت عالٍ. كان صدره يتحرك أثناء الضحك كأنه يبذل مجهودًا. والسعال يتخلل الضحكات حتى انتهى منها.

توقف (مهران) والخوف يظهر على ملامحه. بينما العجوز يعتدل أكثر مستندًا على عصاه وهو ينظر إلى أحد الشباب ويقول:

-"كيف حال أمك يا (عباس). يبدو أنك تركتها لترتاح مع عشيقها (أحمد) العلاف أثناء سفر أبيك هذا الشهر للتجارة في بلاد العجم.. العجيبة أنك تعرف وتصمت. بل وتتسكع هنا لتتركها بلا إزعاج".

اتسعت عينا (عباس) ونظر الاثنان الاخران إليه. ولكن العجوز أكمل:

-"الأعجب يا (عباس) أنك تتسكع مع (بيرقدار) الذي سرقت سوار أمه الذهبي أول أمس عند زيارتك له. ألا تخجل؟"

رمق (بيرقدار) (عباس) بفزع يختلط بالشك. فنظر العجوز بنفس الابتسامة إلى الثالث وقال:

-"وأنت يا (منصور) الم تخبر صاحبيك بعد بأنك تغتصب أطفال هذا الحي ليلًا بعدما ترتدي اللثام. وبسببك عاش أهالي الحي في فزع طوال العام المنصرم؟"

هنا صرخ (بيرقدار) في (منصور) قائلًا:

-"هل أنت من اغتصب ابن أختي؟"

-"إنه يكذب. هل ستصدّقه؟"

نظر (بيرقدار) للعجوز وتقدم منه بغضب وهو يقول:

-"من أنت يا هذا وكيف عرفت ما تقول؟"

-"لا يهم كيف عرفت المهم أنه صحيح".

-"لا دليل عندك".

-"أنت الدليل".

توقف (بيرقدار) والعجوز يكمل:

-"أنا أعرف أنك تشرب النبيذ كل ليلة في غرفتك قبل أن تنام. ولا يعرف أحد هذا السر غيري".

لم يظهر أي تعبير على وجه (بيرقدار).. نظر العجوز إلى (مهران) وأكمل سيره بينما (مهران) يرمقه بخوف.

***

جلس (حامد) يتململ على مكتب الاستقبال في شقة (عباد) وهو يهرش في رأسه وينظر للساعة ليجد أن ساعتين مرتا عليه بدون أن يستقبل سوى زبون واحد اعتذر له بلباقة. أمسك بهاتفه المحمول وهو يقول لـ(رحيم) بخجل:

-"أعرف أن الوقت غير مناسب. لكن الملل سيقتلني. يجب أن أفعل شيئًا".

سمع صوت (رحيم) في أذنه يقول:

-"لا تقل إنك ستستمع لأغانٍ من على هاتفك!"

-"كيف عرفت؟! هل قرأت أفكاري؟"

-"لا.. لكنني توقعت أغبى شيء يمكن أن تفعله في هذا التوقيت بهاتفك".

تعالى من الهاتف المحمول صوت الأغنية التي قام (حامد) بتشغيلها:

((يا عيني يا ليلي يا عيني يا ليلي يا ليييييييييل))

صرخ (رحيم) في أذن (حامد) بدهشة:

-"الريس متقال!!!"

هز (حامد) رأسه طربًا ونهض من على مقعده.

((يا رب من له حبيب ماتحرموش منه.. ماتبهدلهوش يا زمن إلا إن شبع منه))

فجأة رفع (حامد) يده اليمنى كأنه يمسك عصا وأخذ يرقص على النمط الصعيدي على نغمات الأغنية.

((ضيعت مالي وأنا مالي.. ضيعت مالي وأنا أعمل إيه.. البت بيضا بيضا بيضا. البت بيضا وأنا أعمل إيه))

فجأة نظر (حامد) لغرفة المكتب وهو يُحدّث نفسه بأنه تخيل سماع صوت من داخلها. فتح بابها بحرص لينظر داخلها..

((آه يا ولدي يا ولدي أنا حبيت.. وبنار الهوى انكويت))

دخل الغرفة وهو يخفض صوت الأغنية قليلًا لكن صداها مازال يتردد. ركز سمعه ففهم أن الصوت يأتي من وراء الباب المؤدي للغرفة النحاسية. فتح الباب ونزل الدرجات وصوت يُشبه الاحتكاك المعدني لمعدات ميكانيكية يتصاعد كلما نزل درجات السلم. حتى وصل لباب الغرفة النحاسية المفتوح..

((يا حلو داري داري جمالك.. داري جمالك وأنا اعمل إيه))

دخلها بحذر فشعر بضغط على أذنه كأنها ستنفجر. لكنه لم ينتبه للضغط بقدر انتباهه للغرفة النحاسية وأجزائها المبعثرة. كانت الغرفة مظلمة إلا من ضوء بسيط لا يعرف مصدره ينير جزءًا صغيرًا منها.

أجزاء وشظايا منثورة على الأرض ترتفع في الهواء من تلقاء نفسها وتلتصق بأجزاء أخرى في الحوائط. قطع زجاجية تتجمع وتلتصق بالحائط وسائل يسير داخلها. الأصوات تزداد كأنها تروس تدور داخل

آلة عملاقة، وبعض القطع الزجاجية المحتوية على سائل تُضاء بضوئها السابق.

((البت بيضا بيضا بيضا.. البت بيضا وأنا أعمل إيه))

كل الشظايا التي تناثرت على الأرض عادت لهيئتها الأولى ملتصقة بالحوائط، وعادت بعض الحوائط تدور في حين رأى (حامد) جثة (عباد) الملقاة في ركن الغرفة فاقشعر بدنه. وقبل أن يدقق سمع صوتًا يتكلم من داخل الغرفة. كأنه صوت معدني يقول عبارة غريبة على أذنه.

جاءه صوت (رحيم) في أذنه خائفًا يقول:

-"الغرفة تتكلم".

لم يكن (حامد) أقل منه خوفًا وهو يسأل هامسًا:

-"ماذا تقول؟"

-"تقول بالسريانية (تمت إعادة الغرفة)".

فجأة تحشرج صوت الأغنية وانغلق الهاتف من تلقاء نفسه. وانغلق باب الغرفة في نفس الوقت.. نظر (حامد) برعب إلى الباب. نفس الصوت الميكانيكي قال عبارة طويلة ولكنه ميّز فيها نطق اسمه جيدًا.

-"ما الذي قيل يا (رحيم)؟"

لم ينطق (رحيم) إلا بعد فترة وجاء صوته مذهولًا:

-"(تم قبول السيد الجديد للغرفة (حامد). وجساسه)".

-"أحيه!"

***

هرش (طه) في ذقنه الكثيفة وهو يقف خارج سيكشن مادة (protection) في قسم الكهرباء بهندسة شبرا. ومن يمر عليه يرفع يده محييًا إياه بود وهو يرد لهم التحية بهز يديه بحركة عصبية.

أخرج علبة سجائره المكرمشة من جيب بنطاله الجينز الضيق وأخرج منها سيجارة أشعلها بولاعته وأخذ ينفث دخانها بغضب. مر عليه أحد المعيدين بالقسم فوقف بجانبه قائلًا:

- "التدخين ممنوع في الكلية".

-"اخرس!"

ابتسم المعيد الذي كان صديقه وزميله في نفس القسم منذ سنوات. وقال:

-"لا تقل لي إن دكتور (سلماوي) طردك من جديد".

نفث (طه) دخان السيجارة كأنه يبصقه وقال بعصبية:

-"لن أتخرج من تلك الكلية المشؤومة إلا بموت (سلماوي) هذا!"

-"اخفض صوتك كي لا يسمعنا!"

-"طظ!"

قالها بصوت عالٍ رن في أروقة المبنى ولكن لم يعره أحد اهتمامًا، فكل من في المبنى يعرف (طه) وطباعه ويتحاشى إغضابه. الجميع يعرف حكايته منذ أن كان طالبًا عبقريًا عند دخوله قسم الكهرباء بكلية الهندسة، وحصوله على المركز الأول على دفعته في السنة الأولى والثانية. والجميع يعرف أن دكتور (سعيد سلماوي) تعارك معه كلاميًا، وأن (طه) قدّم محضرًا في القسم يتهمه فيه بالسب والقذف. صحيح أن المحضر حُفظ لأن الشهود تراجعوا عن أقوالهم. ولكن (سلماوي) حكم حكمًا نهائيًا لا استئناف فيه على (طه) بأن يظل حبيسًا في السنة الثالثة من دراسته حتى يُفصل دراسيًا.

وها هو عامه الثامن في نفس السنة الدراسية يقضيه بعد أن أوصى (سلماوي) بعضًا من أساتذة القسم عليه. اعترض البعض الآخر لكن اعتراضاتهم ظلت بلا طائل. كل من دخل هذا القسم كان يعرف حكاية (طه) ويُنكر تصديقها في البداية. لكن سرعان ما يتأكد له الأمر.

كم من أصدقائه وزملاء دراسته أصبحوا معيدين في نفس القسم وبعضهم حصل على الدكتوراه، وكم منهم تعاطف معه لكن قوة (سلماوي) وسيطرته على القسم منعت الجميع من التدخل اتقاء لشره.

والغريب أن الجميع كان يستعين بـ(طه) في مشاريع التخرج وفي شرح المواد المختلفة لكافة السنوات الدراسية حتى السنة الرابعة. بل ظهرت عبقريته في مساعدة أصدقائه المعيدين في رسائل الدكتوراه.

لم ينس الجميع دخوله مباحث أمن الدولة لأيام بسبب جهاز صممه يرسل موجات إذاعية حتى 30 كيلومترًا. استخدمه في التحدث مع طلاب المبنى بشكل ساخر في برنامج كوميدي لمدة ساعة يوميًا. كان يتحدث فيه بحريته عما يحدث في أقسام الكلية. واشتهر لأسبوع بين الطلاب الذين استقبلوا موجته الإذاعية على راديوهات صغيرة أحضروها معهم يوميًا للاستماع إليه. وخاصة أنه كان يبث برنامجه من مقهى بجانب الكلية يجلس عليه وهو يحمل جهازه ويتحدث إليهم.

حتى قيل إن مباحث أمن الدولة تركته لإعجابها بعبقريته. والبعض قال لخفة دمه.

صار أسطورة بين جميع الطلاب الذين اندهشوا في بداية تعرفهم به من لحيته وحاجبيه الكثين وشعره المتطاير. الذي لا تعرف إن كان يمشطه والهواء يبعثره أم لا يهتم به من الأساس.

لكن بمجرد اقترابهم منه تنهار الحواجز ويشعر الكل أنه يعرفه منذ مولده.

انتهت المحاضرة وبدأ الطلاب في الخروج. فجذب المعيد السيجارة من فم (طه) ورماها بسرعة وهو يجذبه ليبتعد عن قاعة المحاضرات كي لا يشتبك مع (سلماوي) كعادته.

طاوعه (طه) حتى ابتعدا قليلًا.

-"اتركني الآن يا (سامح)!"

قالها (طه) بعصبية وهو يفلت ذراعه من بين يدي صديقه

-"أرجوك لا تعد لدكتور (سلماوي)".

-"لا تخف.. سأعود لمنزلي".

-"كما تحب. المهم أن تبتعد عنه".

أشاح (طه) بيده بحركة ليس لها معنى وهو يهز رأسه بالإيجاب. غادر المبنى سريعًا وهو يرد التحية لكل من يلقيها عليه. حتى وصل إلى سيارته المصفوفة بجوار الكلية. استقلها وهو يفكر فيما سيفعل في يومه الذي أنهاه مبكرًا. لم يكن ذا مزاج رائق ليكمل أبحاثه التي بدأها منذ ست سنوات في الغرفة التي يعتبرها كورشته في منزله. قرر أن يفكر في خطته اليومية عند وصوله للمنزل.

لم تكن الشقة التي يقطنها بعيدة. فهي على بعد عدة شوارع من الكلية. هي في الأصل شقة والده التي تركها له ليعيش فيها منذ ثلاثة عشر عامًا. فهو يحسب السنوات جيدًا منذ تركه والده بعد وفاة أمه بالكبد.

قبل وفاة والدته كان يعيش معهما. يعود متأخرًا كل يوم لكن حضوره يكفيه. لكنه فجأة بعد العزاء قرر الابتعاد والاطمئنان عليه تليفونيًا.

كانت صدمة تفوق صدمة وفاة أمه مع هذا البعد المفاجئ غير المبرر. حاول استيعاب الصدمة ففشل. تركه يعيش وحيدًا وهو في المرحلة الثانوية وأخبره بأنه سيسافر بعيدًا في عمل مجبر عليه. وترك له وديعة بنكية بقيمة مليون جنيه تدر عليه شهريًا ما يقارب التسعة

آلاف جنيه. علّمه كيف يصرف نقودها وكيف يدفع فواتير الكهرباء والغاز وغيرها. ثم اختفى.

بكل بساطة.. حتى الآن لم يفق من صدمة ابتعاده. فلم يشعر بقيمة النقود وحيدًا. تحمل مسؤولية نفسه في وقت لم يُعدّ له عدته.

كان والده يُحدّثه هاتفيًا كل فترة ويزوره في بعض الأحيان. حتى الأحاديث والزيارة لم يمنعوا الكره الذي نمى يومًا بعد يوم. لدرجة أن آخر أربع سنوات تجاهل تمامًا كل اتصالاته. والغريب أن والده لم يزره أيضًا. ولأنه لا يعرف شيئًا عن أقارب والده سوى أنهم من الصعيد: فقد حاول التقرب من أقارب أمه في البداية. لكنهم لفظوه لسبب لم يعرفه وإن شكّ أن والده السبب. فعاش وحيدًا يائسًا لم يجد ملاذًا له سوى حبه لهندسة الكهرباء.

جاء موعد تجديد وديعته فجدّدها لعشر سنوات أخرى بعدما استلمها وأصبح رصيده البنكي بجانب وديعته ذا رقم لا يحلم به أي شاب في عمره.

قاد سيارته لمطعم (مؤمن) ليُحضر غداءه المكوّن من بعض الشطائر، وأوقف سيارته أسفل العمارة التي يقطن بها.

صعد السلم بسرعة إلى شقته التي دلف إليها لكنه شعر بشيء خاطئ.

بمجرد دخوله وإشعاله الأنوار أحس بوجود كيان داخل الشقة. تحرك بخطى ثابتة كي يكتسب ثقة حتى سمع لهاثًا يأتي من طرف الصالة.

نظر باتجاه الصوت ففوجي بجسد يشبه القرد يجلس مستندًا على الحائط. رفع هذا القرد يده المخلبية وقال بصوت رفيع:

-"لا تؤذني فقد جئت من طرف (عباد).. أنا الجساس القديم.. خادم والدك.. رحمة الله".

***

-"فشلت خطة قتل (اسلام) سيدي. هل تريد التفاصيل؟"

قالها الجنّي (للمخلبي) الجالس أمام (قصعان). فهز الأول رأسه بهدوء وأشار بيده له ليرحل. نظر لـ(قصعان) المبتسم قائلًا:

-"لا تفرح هكذا".

-"أعتقد أن سطوتك لا تشمل عالم البشر".

ابتسم (المخلبي) بسخرية واقترب برأسه من (قصعان) وقال:

-"هل تعرف يا صديقي أنني توقعت هذا الفشل؟"

-"جيد أن تعرف أنك فاشل".

-"لا.. هناك فرق. توقعت هذا الفشل وانتظرته ولا يهمني كيف حدث. الأهم أنني أشغل أصدقاءنا في عالم البشر وأشغل (يصفيدش) بصراعات جانبية كي لا ينتبهوا لتحضيراتنا لخروج الملوك من أسرهم".

-"أرى أنك تستهين مرة أخرى بقوة البشر كما استهنت بها قديمًا".

-"البشر أغبياء. يمتلكون القوة ويخافون استخدامها".

-"على حسب كلام رجالك فإن أحد البشر هو من تسبب بسجنك".

اختفت ابتسامة (المخلبي) وقال:

-"يبدو أنك كونت صداقات مع رجالي!"

اعتدل في جلسته مكملًا كلامه:

-"لو كنت تقصد (اسماعيل الحلاج) فأنا لم أنسه. وعاقبت حفيده بما يستحقه".

-"عاقبت حفيده وتركته (إسماعيل) نفسه في حماية (يصفيدش)".

-"سيحين دوره هو الاخر. لا تشغل بالك بهذه التفاهات وحضر نفسك لليوم المنتظر. فكل شيء سيتغير للأفضل. حتى بالنسبة لك. فأنا لا أنسى فضل من ساعدني".

-"سنرى".

دخل فجأة أحد خدام (المخلبي) مهرولًا وهو يقول:

-"هناك مصيبة تحدث".

-"تكلّم".

قالها (المخلبي) بعصبية فرد الخادم:

-"الغرفة النحاسية تختفي تدريجيًا عنا مرة أخرى بعدما كانت ظاهرة".

صدم (المخلبي). ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال:

-"حاول إرسال أحد أتباعنا ليخترق المنفذ ويدخل إليها، أريد أن أعرف ما يحدث الآن".

-"المنفذ القديم أغلق. ولا منافذ نراها حتى الآن".

***

-"أعجز عن الشكر يا دكتورة (رقية)".

قالها (عماد) وهو يقف خارج غرفة (حازم) في المستشفى. فنظرت له (رقية) قائلة بنبرة قلقة:

-"لا داعٍ للشكر. الطبيب الذي يضمد جراح صديقك بالداخل صديقي منذ زمن وسيلتزم الصمت حول جروحه. ما يقلقني هو ما سيحدث عندما يتابعه أحد الأطباء هنا. سيندهش من عدم إبلاغ الشرطة عن طبيعة جروح صديقك".

-"هل يمكنه الخروج من المستشفى بعد تضميد جراحه ومتابعته في المنزل؟"

-"بعد دفع فاتورة المستشفى يمكنه أن يخرج بعد أيام. جسده لن يتحمل الحركة بهذه السرعة".

نظرت حولها ثم قالت بصوت خافت:

-"هل ستخبرني الآن بما يحدث مع (إسلام) وصديقك؟"

مرر (عماد) أصابعه بين شعره وزفر متنهدًا وقال:

-"أعتقد أن الموضوع يطول شرحه. حتى إن شرحته لن تصدقيه بسهولة".

-"بعد ما رأيته يحدث لـ(إسلام) سأصدقك أي شيء".

-"هل يمكن أن أؤجل الشرح الآن وأعدك أن تعرفي كل شيء غدًا على الأكثر؟"

•

لم تعجبها إجابته ولكنها هزت رأسها متفهمة. في نفس اللحظة خرج الطبيب من غرفة (حازم) ترافقه ممرضة تحمل طبقًا. نظر لـ(عماد) ببرود ثم طلب من (رقية) أن ترافقه. ابتعد بها عن (عماد) أمتارًا قليلة وقال لها همسًا:

-"أرجو أنك تعرفين هذا المريض جيدًا. فقد أخرجت من جسده الكثير من الشظايا. كأنه تعرض لانفجار قنبلة".

•••

-"افتح الباب".

قال (بصفيدش) العبارة وهو يقف أمام بوابة ضخمة نُقش عليها نقش لرمح طويل مقدمته على شكل عقرب. مخاطبًا رجلًا من الجان يقف أمام الباب يحمل سيفًا في نطاقه.

فتح الرجل الباب وهو ينحني لـ(بصفيدش) احترامًا. ودخل معه لغرفة ضخمة لا تحتوي إلا على طاولة في منتصفها مسجى عليها جسدان وعليهما محفة سوداء.

دخل في تلك اللحظة رجل آخر للغرفة. فأشار (بصفيدش) للحارس كي يسمح له بالعبور. وقف الرجل بجانبه وهو يتأمل الطاولة.

-"قل لي رأيك في خطوتنا القادمة".

قالها (بصفيدش) فقال الواقف بجانبه:

-"لا أعرف يا سيدي لكن الوقت يمر سريعًا و(المخلبي) يقترب من هدفه".

-"هل وافق المجلس بعد على طلبي لتنشيط رجالنا؟"

-"أعتقد سيرفضون. نقاشاتهم تنبئ بذلك. يرون أنها مخاطرة ستكشفهم للمخلبي".

-"ورأيك أنت؟"

-"(المخلبي) حلم منذ زمن بمعرفتهم ليستخدمهم في تجهيزه لفتح البوابات. وأعتقد أن المجلس صادفه الصواب في خوفه من تلك النقطة".

-"أخي تعوّد دائمًا على أن يُنفّذ المهمات الهامة بنفسه. هل تتذكر كيف أتى بـ(قصعان) من سجنه البحري بنفسه؟"

-"أتذكر".

تقدم (بصفيدش) حتى وقف أمام الطاولة وقام بنزع المحفة من عليها ليظهر جسد (يوسف) و(إسماعيل الحلاج) النائمين.

-"أصدر أمرًا بتنشيط رجالنا في مصر".

قالها (بصفيدش) وهو يتأمل الجسدين.

-"ورأي المجلس.. هل ســ.."

قاطعه (بصفيدش):

-"قلت لك نشط رجالنا. لا تنتظر رأي أحد. الوقت له ثمنه الآن. ويجب أن نستغل كل ما نعرف".

-"وبعد التنشيط. هل سنطلب شيئًا محددًا منهم؟"

-"لا شيء أكثر من أن يصبحوا جاهزين.. قل لي. هل وجدنا حلًا بعد لإيقاظ (يوسف) و(إسماعيل)؟"

نظر الرجل لهما برهة وقال:

-"التحام القرين بالجسد يفشل باستمرار".

أعاد (بصفيدش) المحفة على الجسدين ونظر للرجل وقال بجدية:

-"إحدى آمالنا في عودة (إسماعيل) وحفيده".

سمع الاثنان صوت عراك خارج الغرفة ليكتشفوا أنه أحد رجال (بصفيدش) يتعارك مع الحارس. صرخ (بصفيدش) كي يدخل رجله فدخل هذا الأخير وهو يصرخ:

-"الغرفة النحاسية طردتنا وأغلقت منافذها لتختفي عن عالمنا. والسيد (حامد) و(رحيم) اختفوا معها عنا".

•••

-"قل لي إني أحلم".

قالها (حامد) لـ(رحيم).

-"أنت تحلم".

-"الحمد لله. كنت واثقًا".

ضرب (حامد) بيده اليمنى على رأسه فرحًا وهو يقفز في موضعه داخل الغرفة النحاسية. فجاءه صوت (رحيم):

-"لكنك لا تحلم".

-"ألم تقل لي إنني أحلم؟"

-"أنت طلبت مني ذلك".

-"غبي".

-"أرجوك لا تتحدث عن الغباء. فلم أكن أنا من نزلت للغرفة النحاسية في هذا الوقت".

فجأة توهجت دائرة خلف منضدة الغرفة. توهجت باللون الأزرق الشفاف.

-"تقدم وقف في الدائرة".

قالها (رحيم) فرد (حامد):

-"يا سلام.. ولماذا لا تقف أنت؟"

-"لأنك سيد الغرفة النحاسية. ويبدو أن الدائرة تناديك".

-"وما أدراك بهذا!! ربما كانت الدائرة للاحتفال ليس أكثر. من قال لك إنني يجب أن أقف بداخلها؟ أليس هناك كتالوج لهذه الغرفة؟"

صرخ (رحيم) في أذنه:

-"كفاك ثرثرة وقف في الدائرة".

اشتعلت دائرة أخرى أمام المنضدة بنفس اللون فأشار (حامد) إليها قائلًا بفرح:

-"هذه دائرتك يا (رحيم) هيا قف أنت بها أولًا".

ظهر جسد (رحيم) بشكل مموّه داخل الدائرة. بينما وقف (حامد) في دائرته.

-"لم يحدث شيء".

قالها (حامد) بدهشة وهو ينظر يمينًا ويسارًا.

-"(رحيم).. هل حدث لك شيء؟"

لم يتلق من (رحيم) إجابة فكرر السؤال. فجأة اختفت معالم الغرفة من حوله.

وجد نفسه في نفس الغرفة لكن بلا أثاث أو زخارف على الحائط. وفي ركن الغرفة رجال يرتدون الجلابيب والعمائم ماعدا واحد فقط لا يرتدي عمامة. يتهدل شعره الناعم ويغطي أذنيه.

كان يشير لهم بيده كأنه يرشدهم وهم يتحدثون فيما بينهم. وهو يشير بإصبعه إلى نقطة ما في الحائط. أحدهم يحمل معه لوحة مزخرفة ويقوم بتثبيتها على الحائط الذي أشار إليه.

الجميع يتحدث بلهجة تُشبه المصرية إلى حد مدهش. أما هو فكان يتحدث العربية الفصحى بركاكة كأنه تعلمها لتوه.

-"نقش الرجل ذو العشرة أجنحة هو رمز سيد قبيلة العفاريت (الجناخ) الذي قال لسيدنا (سليمان) (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين). ولن يتحرك النقش على الأرجح لأن (الجناخ) وقبيلته اختفوا بعد موت (سليمان) ولم يتدخلوا في عالم البشر من وقتها".

قالها مرشدهم فسأله أحدهم:

-"هل يمكننا استدعاءه لإحدى غرفنا النحاسية؟"

-"اسمعني يا معلم (جرجس). طائفة العفاريت لا تُسخر ولا تُقرن ولا تُستدعى. الجان يتحاشونهم والبشر لا يعرفون لهم طريقًا. لو تحرك هذا النقش ودخل عفريت لعالم البشر أو تعارك مع أي قبيلة من

قبائل الجان سيعني هذا أن العالم ينهار. ونصيحتي لكم ألا تحاولوا استدعاءهم، فهم قادرون على تدمير الغرف النحاسية في طرفة عين. سأقرن لكم طلسمهم على هذا النقش لكنكم لن تحتاجوا لمتابعته".

تأكد (حامد) أنهم لا يلاحظون وجوده وخاصة عندما دخل رجل من فتحة في الغرفة هي موضع الباب حديثًا، يحمل بين يديه ألواحًا تمتلئ بالنقوش، مارًا على (حامد) بدون أن يلحظه وهو يقول لهم:

-"أحضرت لكم أربعة نقوش انتهيت منها منذ قليل".

قالها وهو يعطيها للمرشد الذي تأملها قليلًا، في تلك اللحظة قرر (حامد) أن ينادي عليهم كتجربة:

-"بست.. كابتن.. هل يسمعني أحدكم؟"

لم يعره أحدهم انتباهه، هنا تأكد مما تخيل، الغرفة النحاسية تعيد له ذكرياتها القديمة منذ بناءها ليتعلم كل شيء عن طريقة عملها.

عليه أن يحفظ كل شيء يسمعه، فهذه فرصته الوحيدة.

***

وصل (مهران) والعجوز إلى المنزل، أخرج (مهران) مفتاحًا كبيرًا من ملابسه وأدخله في رتاج الباب وفتحه وهو ينظر للعجوز برهبة، والخيالات تدور في عقله تُزاحم الأسئلة التي تكوّنت منذ دقائق بعدما قاله للشباب الثلاثة، كان يجب أن يشعر بالفرحة لأن العجوز فضحهم لكن المشكلة الآن لا تتعلق بهم، بل تتعلق بالعجوز:

-"لا تخف يا بني فأنت غيرهم".

قالها العجوز بعدما دخل المنزل وأغلق (مهران) الباب. تسمر هذا الأخير في مكانه ودار بخلده أن العجوز قد استمع لأفكاره.

-"قلت لك لا تخف.. والآن أين كرم الضيافة؟"

تغلب (مهران) على خوفه من العجوز وقال:

-"آسف. يمكنك الجلوس في أي مكان ريثما أحضر لك الطعام".

نظر العجوز لصالة المنزل فوجد مصطبة صغيرة من الطين اللبن وبضعة وسائد قديمة على الأرض. جلس على المصطبة بينما دخل (مهران) إلى غرفة صغيرة كانت خالته تضع بها أواني الطبخ وبها الفرن الطيني القديم. فتح حلة صغيرة فوجد بها بعض الأرز القديم. كمية لا تكفي لسد رمق جائع. بحث عن أي شيء بين الأواني فوجد رغيفين كبيرين.

تركه وخرج من الغرفة ومرّ على الصالة متجهًا إلى باب المنزل. وهو يقول للعجوز:

-"لن أتأخر عليك".

ترك باب المنزل مفتوحًا وخرج جريًا حتى وصل لشارع مقابل للشارع الذي يسكن فيه. فوجد (الطاهر) الذي يبيع الجبن واللبن يجلس على جانب الطريق في موضعه الذي يعرفه منذ أن وُلد. يجلس بين أواني فخارية تراصت بها قطع الجبن الأبيض ووعاء كبير يمتلئ باللبن يسبح فيه كوب فخاري صغير.

جرى عليه فقال له (الطاهر):

-"ما بالك يا (مهران)؟ هل يجري أحدهم خلفك؟"

-"لا يا عم (الطاهر). لكن أريد قطعتين من الجبن بسرعة".

-"وهل معك شيء لتأخذ فيه؟"

خبط (مهران) على رأسه وقال:

-"نسيت. ولكن هناك مشكلة أصعب من هذه.. ليس معي نقود وكنت أطمع أن تصبر عليّ حتى الغد".

نظر (الطاهر) إلى الأرض بحزن وقال خجلًا:

-"والله يا (مهران) كنت أريد ذلك لكنني لا أملك تلك البضاعة. فأنا أبيعها وأسدد ثمن ما أبيع لصاحبها كل ليلة".

نظر (مهران) لملابسه يتفحصها، ثم تذكر فخلع طاقيته التي يحبها وأعطاها (للطاهر)قائلًا:

-"خذ هذه وأعطني مقابلها الجبن".

مسح الطاهر يده في جلبابه وأمسك الطاقية يتأملها. فجاءه صوت (مهران) نافد الصبر:-

-"لن تجد مثلها هذه الأيام. فهي هدية من شيخي".

-"سأعطيك مقابلها خمس قطع من الجبن".

وضع (الطاهر) قطع الجبن في وعاء فخاري كبير. وأعطاهم لمهران مبتسمًا وهو يقول:

-"ووعاء مدية أيضًا".

أخذ (مهران) الوعاء وقد أفلتت منه نظرة إلى طاقيته التي تُذكّره بشيخه. وشعر بالخجل وهو يسير باتجاه منزله يؤخر رجلًا ويقدم رجلًا. ولكنه حاول أن يقنع نفسه بأن شيخه هو من كان يقول (أكرم الضيف ولو بعت نعلبك). قال ساخرًا في نفسه (ها أنا أبيع طاقيتي يا شيخي).

دخل (مهران) المنزل فوجد العجوز جالسًا في موضعه ينظر إليه ويبتسم. ابتسم له (مهران) وهو يدخل لغرفة الطبخ ويفتح حلة يضع بها قطعتين من الجبن. ثم يأخذ الوعاء الفخاري بما بقي فيه من الجبن الأبيض ويسحب الرغيفين ويخرج للعجوز.

جلس (مهران) بجانب العجوز ووضع الطعام بينهما. وقطع أول رغيف وأعطاه للعجوز ليأكل. الغريب أن العجوز كان مبتسمًا طوال الوقت بلا سبب. لم يمدّ (مهران) يده في الطعام إلا لقمة أو اثنتين كأنه يُمثّل الأكل. برغم جوعه منذ الليلة السابقة. بينما العجوز يأكل بشراهة مبتسمًا.

-"هل لي أن أسأل عن اسمك؟"

قالها (مهران) فابتسم الرجل أكثر وقال:

-"اسمي القديم أم الجديد؟"

-"لا أعرف؟"

فجأة انفتح باب غرفة نوم خالته فنظر (مهران) لها وهي تُحاول الوقوف لاهثة. كانت ترمق العجوز وتقول بدهشة امتزجت بالخوف:

-"(حسين).. كيف عدت؟"

نظر العجوز لها مبتسمًا ثم نظر لـ(مهران) قائلًا:

-"هذا هو اسمي الحديث. أما اسمي القديم فهو (القصاب بن شادق).. والدك".

***

لم يندهش (عماد) الجالس في مقهى المستشفى في الطابق الأرضي يحتسي القهوة من كوب زجاجي أمامه عندما وجد (يصفيدش) بهيئته البشرية يجلس فجأة أمامه. كأن جهازه العصبي تعوّد على تلك الصدمات وتقبلها.

-"كيف حال (حازم)؟"

-"جراحه لم تكن بالسوء الذي توقعناه. سيتعافى في خلال أيام. هل جدّ جديد عندك؟"

قالها (عماد) وهو يتلمظ القهوة بين شفتيه. فعاجله (يصفيدش) بجدية:

-"الغرفة النحاسية عادت للعمل".

-"!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!"

-"و(حامد) اختفى داخلها".

نهض (عماد) وهو يقول:

-"هيا بنا لنعرف ما يحدث".

ظل (يصفيدش) في موضعه وقال:

-"طالما الغرفة النحاسية عادت للعمل فلا يمكنني الاقتراب منها. فلا أحد منا يأمن غدرها. اذهب أنت وحاول أن تعرف ما يحدث. وسأنتظر أنا هنا لأطمئن على (إسلام) وأحاول مساعدة (حازم)".

نادى (عماد) على النادل ليحاسبه فقال (يصفيدش):

-"احذر يا (عماد). فالأحداث تسير أسرع مما نتخيل".

ثم أخرج من جيبه مفتاحًا أعطاه لـ(عماد) وقال:

-"هذه نسخة من مفتاح الشقة. حصلت عليها من مساعد (عباد)".

***

ظل (طه) ثابتًا في موضعه يحمل كيس الطعام وصوت لهاث الجساس يملأ فراغ الشقة. الغريبة أن (طه) كان مصدوما بعض الشيء. لكنها صدمة لا تتوافق مع رؤية جني لأول مرة. كأنه كان يتوقع هذا الحدث أو كأنه تعامل مع الجان من قبل. فجأة انتبه لعبارة موت والده.

-"هل مات والدي؟"

ردّ الجساس بصوت متقطع:

-"قُتل.. وأنا سألحق به في كل الأحوال".

-"من قتله؟"

-"مارد من الجان يدعى (المخلبي).. سأشرح لك ما تريد، لكن أرجوك أنقذني".

-"لا أفهمك".

قالها (طه) وهو مازال محتفظًا بوجهه الجامد.

-"أنا أعرف طبيعة تجاربك".

اتسعت عينا (طه) فأكمل الجساس:

-"أرجوك. لقد أصبت لحظة الانفجار الذي قتل والدك".

-"لا أرى إصابات في جسدك".

-"سيتلاشى جسدي الآن تدريجيًا وأعود لحالتي. والدك كان يتابعك يومًا بيوم وأنا من تجسست عليك. هو من ترك لك الكتب التي بدأت منها تجاربك. أنا أعلم أنك تفهمني جيدًا".

فجأة تصاعد ضباب غلّف جسد الجساس الذي قال بضعف شديد:

-"افتح ألبوم صور طفولتك الذي تحتفظ به في مكتبك. وأخرج صورتك التي تجمع بينك وبين والدك. ستفهم كل شيء. لكن أسرع لأنني أحتضر.. والدك كان سيرفض ما أفعله لكنني مجبر كـ..."

انقطع صوته مع إحاطة الضباب بجسده. جرى (طه) لغرفة مكتب والده التي حولها لغرفة مكتبه وفتح الدرج الأخير للمكتب وأخرج الألبوم.

قلب في صوره سريعًا حتى توقف عند الصورة الوحيدة التي تجمعه بوالده.. (عباد). سحبها من غلافها البلاستيكي فوجد خلفها ورقة مطوية. أخرجها وفضها ليجد خطابًا من سطور قليلة:

(جزء مني يتمنى أن تعثر على هذا الخطاب. والجزء الآخر يرفض ذلك احترامًا لرغبة والدتك التي ماتت منذ يومين. والدتك عرفت كل شيء عني قبل موتها بأشهر. اعترفت لها بالسرّ الذي توارثته من أجدادي. أنني كُتب عليّ كما كُتب على والدي وجدي ومن سبقه بإدارة غرفة تتحكم بعالم الجان وترصد حركتهم. الغرفة النحاسية. نعم يا بني فأنا أتعامل مع عالم الجان منذ علمني والدي قبل موته وأورثني سرّه. وكان لزامًا عليّ أن أورثك السر من بعدي. لكن والدتك أوصتني قبل موتها مباشرة بأصعب الأمور على نفسي. أن أبتعد عنك تمامًا كي لا تطالك شرور تعاملي مع الجان. وحتى لا ترث ما ورثته أنا عن أبي. في الأيام القادمة سأضع وديعة في البنك باسمك. وبعدها سأبتعد عنك. لا أعرف من أين ستواتيني القدرة على ذلك لكنني لن أخالف الوصية. سامحني يا بني على ما هو قادم. والدك).

أغلق (طه) الخطاب وأخذ نفسًا عميقًا وهو يحاول أن يقاوم الدموع التي تجمعت في مقلتيه.. جرى إلى صالة الشقة وصاح:

-"يا من كنت خادم أبي. إن كنت مازلت حيًا ادخل لورشتي".

قال (طه) العبارة السابقة ودخل للورشة الملبنة بالأجهزة الكهربية والأوراق المبعثرة. وأخذ ورقة فارغة وقلمًا وكتب (تردد الجسد الحالي) ثم صرخ بصوت عال:

-"إن كنت معي في الغرفة قف هنا".

قالها وأشار بيده ناحية لوحين من الخشب العريض بواجهان بعضهما. تفصل بينهما مساحة فارغة تُقارب المترين. وعلى كل لوح من الخشب حفر دائرية يلتفّ داخلها سلك عريض بشكل حلزوني مكونًا عشرات الدوائر حول بعضها البعض.

وقف (طه) بجانب اللوحين الذي يتدلى من أحدهما أسلاك تتصل بجهاز مربع الشكل لتشغيل التيار الكهربي. أحضر جهاز (المالتيمتر) وأوصله كي يستطيع قياس شدّة التيار. نادى على الجساس قائلًا:

-"إن كنت تقف سأشغل الجهاز الآن. حاول أن تُقاوم المجال المغناطيسي الذي سيحيط بك".

ضغط أحد الأزرار فظهر بين اللوحين شرر كهربي. أخذ مؤشر المالتيمتر في الارتفاع على الجهاز حتى استقرّ عند رقم دوّنه (طه) بسرعة وطرحه من حجم التيار الساري في الأسلاك وأخرج رقمًا وضعه بجانب عبارة (تردد الجسد الحالي). أوقف الجهاز عن العمل وانفصل التيار الكهربي عن الأسلاك.

جرى وهو يبحث بين الورق المبعثر بسرعة حتى عثر على ورقة كتب عليها بعض المعادلات منذ فترة. توقف عند رقم في إحدى المعادلات. وعاد لجهازه وهو يقول:

-"لا تحاول أن تُقاوم هذه المرة".

كتب على الورقة أمامه (تردد الجسد الطبيعي) وقام بمعادلة بسيطة وأخرج رقمًا تأمله لثوانٍ. ثم ضغط على زر تشغيل الجهاز وأدار مؤشر التيار لرقم محدد.

كانت هناك ساعة ملقاة بإهمال بين الأوراق. تلك الساعة التي تُشبه الساعات القديمة التي كانت تُعلّق بسلسلة. الفرق أنه هو من صنعها من البورسلين الخالص كي لا تتأثر أثناء تجاربه بالمجال الكهرومغناطيسي. استغرق شهرين في صنعها على طريقة الساعات القديمة التي يدار زنبركها كل اثنتي عشرة ساعة.

أدار الجهاز ليسري التيار الكهربي داخل الأسلاك النحاسية وأخذ ينظر لساعته منتظرًا أن تمر دقيقة وعشرين ثانية. في تلك الأثناء توهّج جسد (الجساس) داخل الحقل المغناطيسي عدة مرات قبل أن يطفئه (طه) بعد مرور الوقت المحدد.

فجأة ظهر جسد (الجساس) منتصبًا وقال بصوت قوي:

-"شكرًا يا (طه). لقد عدت لسابق عهدي بفضلك".

-"شكرك لي أن تُعرّفني بقاتل والدي".

-"الآن فوتت إشارتي في عالمي وستتبعني من بطشت بهم قديمًا بأمر والدك. يجب أن أهرب. لاحقًا سأخبر..."

انقطع حديثه فجأة عندما أدار (طه) الحقل المغناطيسي ببرود وقال بصوت عالٍ:

-"بعد ثوانٍ جسدك لن يتحمل الطاقة المنبعثة به وستنهار ذراته. لن تتحرك من مكانك قبل أن تُخبرني".

أغلق الحقل ونظر لجسد (الجساس) وهو يبتسم:

-"هل تريدني أن أكمل أم ستتكلم؟"

***

الفصل الثانى

قرين

تتابعت التخيلات في عقل (عماد) عما يحدث داخل الغرفة النحاسية لـ(حامد). كل الاحتمالات تراصت تباعا بعقله وهو يقف أمام الغرفة يضرب بيده على نقوشها محاولا بيأس زحزحة الباب الضخم.

صرخ مناديًا باسم (حامد) لنصف ساعة بلا جدوى. توقف الزمن عنده عند هذه اللحظة فلا هو يستطيع مغادرة المكان بدون (حامد) ولا هو يقدر على عبور الباب.

صرخ باسم (حامد) للمرة الأخيرة بكل ما أوتي من قوة حتى بح صوته. فجأة سمع صوت (حامد) يأتيه من الداخل:

-"من ينادي؟"

تسمر (عماد) في موضعه من الدهشة ثم قال بأعلى ما استطاع:

-"أنا (عماد)".

-"كيف حالك يا صديقي؟"

-"افتح هذا الباب".

-"ثانية واحدة".

لم يقدر مخ (عماد) على تخيل سبب برود لهجة (حامد). كأن هذا الأخير في الحمّام و(عماد) يطلب منه الإسراع لا أكثر.

انفتح الباب فتحة صغيرة وظهر من خلفه رأس (حامد) المبتسم وهو يقول:

-"ربع ساعة وسأنتهي. انتظرني على القهوة التي على أول الشارع. قل للقهوجي أنك جئت من طرف (حامد)، واطلب..."

لم يمهله (عماد) ليكمل جملته عندما ركل الباب بعنف بكل ما استطاع تجميعه من قوته. لم ينفتح الباب على مصراعيه بسبب ثقله. لكن تلك الركلة كانت كافية ليصطدم الباب برأس (حامد) الذي تراجع متألمًا.

-"ما هذه الغباوة يا أخي؟"

قالها (حامد) وهو يتراجع لداخل الغرفة و(عماد) يدخلها وهو يتأهب للصراخ فيه. لكنه توقف مذهولًا وعيناه تتسع تدريجيًا تتأمل الغرفة التي عادت لما كانت عليه ما عدا بعض الأجزاء.

-"ما... ما الذي حدث؟"

قالها (عماد) ساهمًا وعيناه ماتزال تتحرك في الغرفة حتى توقفت عند موضع ما في ركنها. ضيّق عندها عينيه متأملًا (رحيم) الذي ارتدى ملابس سوداء وتضخم جسده قليلًا وأمسك بيده اليمنى سوطًا يتدلى على الأرض يُشعّ لونًا قرمزيًا. وسأل (حامد):

-"ما الذي حدث لـ(رحيم)؟"

-"نيو لوك".

نظر (عماد) بعينين لا تريان إلى (حامد) الذي تنحنح وذهب ليقف خلف المنضدة وقال:

"-حاول أن تتمالك أعصابك. أنا أصبحت سيد الغرفة النحاسية الجديد. و(رحيم) هو الحساس. ولو أني غير مرتاح لاسمه. سنطلب من الغرفة أن نطلق عليه سويًا اسمًا أوريجينال. ما رأيك باسم"

"-كيف حدث هذا؟"

قال (عماد) تلك العبارة مخاطبًا (حامد) الذي رد بسرعة:

"-لا أعرف. كل ما أعرفه هو أن الغرفة أخبرتني أنها تعيد نفسها مرة أخرى. ثم قالت بأني السيد الجديد لها"

قالها (حامد) مبتسمًا.

"-كيف!! أنت لا تفقه شيئًا عن الغرفة النحاسية؟"

"-صلِّ على النبي. ما فائدة قطع العيش يا (عماد)؟"

صرخ (عماد) بعصبية:

"-توقف عن مزاحك!"

"-(رحيم). أملني الكلمات لخروج أحد أصدقائنا".

قالها (حامد) وهو يتناول زجاجة موضوعة على الرف خلفه من زجاجات المختبرات الكيميائية مغلقة بسدادة من الفلين أعلاها. نزع السدادة ووضعها على المنضدة أمامه.

رأى (عماد) (رحيم) وهو يقف بجانب (حامد) ويحدثه فيقول هذا الأخير:

"-لباخيم كعكلم أمويل سليمان".

في الدائرة المزخرفة الكائنة وسط الغرفة ظهر جني يجلس على ركبتيه وهو ينظر يمينًا ويسارًا ببطء مندهشًا.

-"أنت قلت الآن اظهر بحق عهد (سليمان) بقسم سرياني قديم!"

قالها (عماد) فابتسم (حامد) بفخر وسحب نفسًا عميقًا ليتكلّم بعمق. لكنه فجأة سعل بلا قصد.

-"كيف عرفت هذه الطريقة؟"

أشار (حامد) له لينتظره حتى ينتهي من سعاله. مرت ثوانٍ طويلة إلى أن انتهى. فنظر لـ(عماد) بعينين حمراوين وقال وهو يحاول إعادة ابتسامته:

-"الغرفة أرتني كل شيء منذ بنائها. علمت بأن هذا الموضع كان ديرًا لرهبان مسيحيين يدعى دير الراهب (شمعان السائح). رأيت شابًا يتحدث بلغة عربية بلكنة غريبة يساعد ثلاثة رجال على بناء هذه الغرفة".

-"من هم؟"

-"المعلم (جرجس) وراهب اسمه (مينا) و(عبد الله). علّمهم الشاب كل شيء يتعلق بالغرفة النحاسية ورأيت النقوش تُوضع لأول مرة وكيفية قراءة كل نقش وكيف يمكن لسيد الغرفة أن يتلاعب بعالم الجن. قبل أن يتهدم الدير سلّم (مينا) عهدة الغرفة لـ(عبد الله) الذي اشترى الأرض بعد فترة وبنى عليها بيته وأصبح هو سيد الغرفة النحاسية. يتعاقب عليها أحفاده حتى وصلت لرؤية حفيده (عباد)".

وكأن (عماد) قد تذكر شيئًا فقال بلهفة:

-"أين جثة (عباد)؟ لا تقل لي عاد للحياة!"

-"مازال ميتًا. لكن الغرفة نقلت جثته لبعد آخر لحمايتها".

-"(حامد) لن أنتظر لأراك جثة مثله. عليك بمغادرة الغرفة والابتعاد عنها. (المخلبي) عرف كيف يُجبر الجساس على إدخاله لها. وسيحدث لك مثل ما حدث لـ(عباد)".

ابتعد (حامد) عن المنضدة قائلًا:

-"لا تخف. لقد ابتدعت الغرفة نظام حماية جديد لها. سدّت ثغرات الدخول لها وسلّحت (رحيم) بسلاح جديد يمكنه من السيطرة على الجان بسهولة".

-"تقصد السوط الذي يحمله بيده!"

نظر (حامد) لـ(رحيم) يتأمله وقال:

-"اعتقدته حبل غسيل ملوّن ليخنق به أعداءه. المهم.. عندما يأتي (رحيم) بجنّي لن يستطع الدخول للغرفة إلا بعد أن أفتح له أنا المنفذ عندما أراه. وهو أيضًا أرته الغرفة كل جساس تعاقب عليها وطرق حركته وتتبعه للجان. أنا حفظت ما استطعت من أقسام يستخدمها سيد الغرفة. و(رحيم) سيذكّرني بما نسيته".

أخذ (عماد) نفسًا عميقًا تبعه:

-"يمكنني أن أصدق أن (يوسف) لم يمت وأن حربًا بين الجان ستبدأ قريبًا وتنتقل لعالم البشر. يمكنني حتى أن أصدق أن الهرم الأكبر بناه المقاولون العرب. لكن أن تكون أنت سيد الغرفة النحاسية!"

-"الغرفة تُعيد نفسها بعد تدميرها ومن تجده يقف في نطاقها تقبله كسيد لها. كأنك تُعيد تهيئة كومبيوتر فقد كل بياناته وتُحمّله ببرنامج تشغيل جديد فتكتب اسمك كـ admin جديد له لأن بيانات الـ admin القديم انتهت بعد تهيئة الكومبيوتر".

-"إذن فقد أصبحتَ أنت سيد الغرفة مصادفة؟"

-"ربك!"

أفلتت من (عماد) ضحكة ساخرة واتجه إلى باب الغرفة قائلًا:

-"سأذهب لأخبر (يصفيدش) بما حدث، هل ستأتي معي؟"

-"سأبقى هنا قليلًا لأرتب بعض الأمور".

ابتسم له (عماد) وخرج من الغرفة غير مصدق لما عرفه. أما (حامد) فقد نظر للأرض مفكرًا ثم رمق (رحيم) وقال:

-"أتعرف بمن تذكرني وأنت تمسك السوط بيدك؟"

-"الست محاسن الحلو؟"

-"انتظر.. لقد نسينا الجني الذي حضّرته".

نظر (حامد) بدهشة للجني الواقف في الدائرة يبادله النظر بدهشة مماثلة. فجأة أخرج (حامد) لسانه يغيظ الجني الذي لم يفهم مغزى الحركة. عندما قال (حامد) لـ(رحيم) بملل:

-"يا (رحيم).. اشحنه على قمقمه ثانية".

***

وقفت الخالة ناظرة (للقصاب) لثوانٍ طويلة والدماء تهرب من وجهها والشحوب يغطي قسماتها. بينما (مهران) ينقل بصره بينهما لا يدري ما يقول.

-"لماذا عدت؟"

قالتها بصوت ممتزج بالخوف. فنهض (القصاب) بصعوبة وسار نحوها وهو يقول:

-"طريقة غريبة لترحبي بزوج شقيقتك الغائب".

تراجعت الخالة بسرعة وكادت أن تسقط وهي ترفع يدها أمامها لتوقفه من التقدم. وقالت بعصبية:

-"ابتعد".

غزت وجه (القصاب) ابتسامة ساخرة وتوقف.

-"ما الذي رونه زوجتي عني ليرعبك هكذا؟"

-"كل شيء أيها الشيطان".

ضحك بصوت عالٍ وهم بقول شيء لولا أن قال (مهران) بارتباك:

-"ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم".

-"ابتعد عنه يا (مهران). ولا تقـ."

-"اصمتي يا امرأة".

قـال (القصـاب) العبـارة الأخيرة بلهجـة أمـرة وصـوت أجـش قـوي جعل الخالة تبتلع بقية عبارتها وهي تشهق. في حين قال (القصاب) بنفس الصوت:

-"دعيني أشرح له ما حدث".

أفلت منه سعال ولكنه تمالك نفسه ونظر لمهران وهو يقول بصوت لين:

-"أعرف أن ما تمر به في تلك اللحظة يحتاج مني محاولة تهدئتك لأيام. لكن لا وقت عندي. فالمرض ألمّ بي منذ زمن وأشعر بنهاية العمر وأعتقد يا بني أنه حان الوقت لتعرف عني كل شيء وترث ما معي من عـ."

قاطعته الخالة بغضب:

-"تنعته الأن بابنك وبالأمس أنكرت نسبه؟"

نظر لها (القصاب) بغضب وهمّ أن يقول شيئًا. إلا أنه تراجع ولان وجهه ثانية وقال بأسف:

-"معك كل الحق في هذا. أنا أخطأت.. وتركت (مهران) مضغة في بطن أمه وأنكرت نسبه لي. ولكنك لا تعرفين كل الحقيقة برغم ما قالته زوجتي لكِ".

-"بل أعرف.. أخبرتها بأنك عاجز عن الإنجاب. أي كلام يُعقل هذا! رجل يعجز عن الإنجاب برغم استطاعته المعاشرة؟"

هنا نظرت الخالة لـ(مهران) بحرج وقد أحست بأنها تكلمت بكلام لا يصح أمامه. بينما قال (القصاب) بصوت خافت:

-"أنتِ لا تعرفين شيئًا".

خيم الصمت للحظات قبل أن يقطعه (مهران) وهو ينظر للأرض قائلًا بصوت أجش:

-"ما الذي عاد بك أيها العجوز؟"

لم يجب (القصاب) لثوانٍ. إلا أنه نهض بصعوبة وهو يتنحنح واتكأ على عصاه وبيده اليسرى كيسه القماشي، سار حتى باب المنزل وفتحه وهو ينظر لخارجه قائلًا:

-"لا وقت عندي للمجادلة. الموت ينتظرني بعد أيام أو شهر على الأكثر. يجب أن تتسلّم ميراثك. لا أطلب منك العفو. بل أطلب مرافقتي حتى تتسلّم كل حقوقك.. في حارة (قهستان) ستجد منزلًا يقابل حانوت (مختار) تاجر الأعلاف. على باب المنزل ستجد نقشًا لأسد. أنتظرك هناك الليلة بعد صلاة العشاء".

أخرج من الكيس الذي يحمله صرة من النقود وقذفها ناحية (مهران) الذي تلقّفها.

-"ستجد فيها ما يُغنيك أنت وخالتك. ولكنها ليست ميراثك. ميراثك أعظم من هذا. إن اكتفيت بما فيها ولم تأتني الليلة فلا حرج عليك".

غادر (القصاب) المنزل في نفس اللحظة التي فتح فيها (مهران) الصرة ليجدها تمتلئ بالجنيهات الذهبية.

***

انتهت صلاة العشاء في المسجد فتعالت أصوات المصلّين وبعضهم يتحدث إلى الآخر والبعض ينهض ليُصلّي صلاة السنّة. وخادم المسجد ينهض ليزيد البخور في مبخرة المسجد لتعلو الرائحة الزكية في أنوف الحاضرين. نهض (مهران) بتثاقل يجرّ قدميه والتفكير فيما حدث ظهرًا يكاد يُفجّر رأسه. غادر المسجد وهو يدسّ قدميه في نعليه وصوت خالته مازال يتردد في أذنه يُحذّره من الذهاب لأبيه وهي تستحلفه بأضرحة الأئمة بألا يذهب. رفضت أن تُخبره سبب خوفها منه ولكنها لم تهدأ قبل أن يحلف لها بما أرادت. لم يكن من الصعب عليه أن يوافقها فيما شاءت. فقلبه انقبض منذ معرفته بأن هذا العجوز الغريب والده. لقد كان يهرب من المشاكل منذ مولده فكيف يذهب إليها بقدمه هذه المرة.

ابتعد عن المسجد وهو يسير بين الحارات عائدًا للمنزل وهو يفكّر في كيفية تعامله مع الجنيهات الذهبية التي صارت ملكه الآن. توقف فجأة ناظرًا خلفه وقد شعر بشيء غريب. كأن هناك عينًا تتبعه. نظر

في وجود السائرين خلفه فلم يجد ما يبرر ذلك. عاد للمسير مرة ثانية ولكن الشعور راوده أكثر وخاصة وهو يمر في حارة ضيقة خالية من المارة. كاد أن يقسم لنفسه أن شيئًا ما سيحدث. عليه أن ينظر خلفه مرة أخرى. ولكن هل النظر الآن سيُبدد مخاوفه أم ستزداد؟ نظر لخلفه بترقب.

فجأة وجد (بيرقدار) خلفه تمامًا يمسك بملابسه ويدفعه حتى اصطدم ظهره بحائط منزل جانبي. أخرج (بيرقدار) من ملابسه سكينًا صغيرًا ووضعه أمام رقبة (مهران) وهو يقول بعصبية:

-"أين العجوز الذي سرت معه اليوم؟"

شعر (مهران) بنبضات قلبه كأنها تدق في أذنه تمامًا وتسارعت أنفاسه. فعاجله (بيرقدار) بضربه من مقبض السكين على وجهه وهو يُعيد السؤال. فردّ (مهران) محاولًا تمالك نفسه:

-"ذهب في طريقه. لا أعلم لأين".

عاجله (بيرقدار) بضربة أخرى بمقبض السكين وهو يقول بعصبية:

-"من الأفضل لك أن تعلم طريقه لأنه إن غادر فأنت باقٍ. وإن لم أصل له فسأصل لك.. هيا تكلّم".

تسارعت أنفاس (مهران) ولكنه نظر فجأة خلف (بيرقدار) وقال متوسلًا:

-"انقذني منه يا سيدي".

نظر (بيرقدار) خلفه بسرعة فلم يجد أحدًا. دفعه (مهران) بكل ما استطاع من قوة وجرى بأسرع ما تخيله عقله مغادرًا الحارة بلا هدى. لم ينظر خلفه ولو لمرة واحدة حتى بعدما دخل حارات امتلأت بالمارة والحوانيت. وفي عقله تبلورت فكرة واحدة.. والده.

***

جلس (القصاب) داخل منزله مفترشًا الأرض مواجهًا الباب. لم يتحرك من ساعة على هذا الحال. إلا من بعض السعال الذي كان يأتيه من حين لآخر. حتى من قبل صلاة العشاء وهو ينتظر. أمله لم ينقطع في أن يسمع طرقات الباب. الأوراق الباقية من عمره في دنيا البشر قاربت على السقوط من شجرة الحياة. ابتسم بداخله لهذه الخاطرة. لو لم يختر هذه الحياة لعاش لمئات السنين. لكنه فضّل خدمة عائلته على أن يعيش وسطهم في راحة.

طرقات الباب أتت فجأة فلم يجفل ولكنه تنفّس في راحة وهو ينهض بسرعة حتى كاد أن يتعثر. لكنه تمالك نفسه وفتح الباب ليفاجأ بمهران يتصبب عرقًا بملابس غير مهندمة تحتلّها بقع العرق وصوت لهاثه يعلو بشكل غير طبيعي.

-"ادخل يا بني وأغلق الباب خلفك".

تبعه (مهران) لداخل المنزل محاولًا السيطرة على لهاثه كأنه يريد أن يقول شيئًا ما:

-"دفعت إيجار هذا المكان شهرين مقدمًا لصاحبه. برغم أنني لن أعيش للشهر القادم".

قال (القصاب) عبارته واختار مقعدًا ضخمًا في ركن المنزل جلس عليه وهو ينظر لـ(مهران) الواقف بارتباك قائلًا:

-"خالفت توقعي وأتيت. ما الذي أجبرك على المجيء؟"

-"ألم تطلب مني ذلك؟"

-"طلبته وأردته بشده. لكنني أعرف في وجوه البشر. وجهك اكد لي أنك لن تأتي. فما الذي أجبرك على ذلك؟"

تراجع (مهران) خطوة وهو يقول:

-"إذن سأرحل".

-"لن ترحل لأي مكان. اجلس وتعقّل. وحدّثني عما هربت منه؟"

نظر (مهران) يتأمل المنزل.. صالة واسعة مثل صالة منزله لكن سجادًا كثيف الشعيرات يغطي أرضها مع بعض الزخرفات البسيطة على الحوائط والنوافذ. أما السقف الخشبي فتدلّت منه القناديل الملوّنة التي أضفت إضاءة مريحة للمنزل. بالإضافة إلى مقاعد الجلوس المبطّنة وقعت عيناه على صندوق كبير من الذي يُستخدم لوضع الملابس من الخشب يمتلئ بالزخارف والنقوش.

-"قلت لك اجلس وحدّثني عن سبب مجيئك إليّ".

قالها (القصاب) بحزم فجلس (مهران) على أحد المقاعد وقال بعد أن ابتلع ريقه:

-"(يبرقدار) الذي فضحته اليوم هددني بسكين ليعرف مكانك. وكاد أن يقتلني لولا هروبي".

-"ولمَ لم تخبره بمكاني برغم نيتك ألا تراني مرة أخرى؟"

صمت قليلًا ولكن (القصاب) عاجله قائلًا:

-"لا تعرف الإجابة.. (يبرقدار) لن يمثل لك أي مشكلة في الأيام القادمة، فلا تخف وهيا لنبدأ".

-"نبدأ!!"

-"نعم.. وستعرف كل شيء في حينه.. اذهب لهذا الصندوق وافتحه".

-"لم تركت أمي؟"

-"سأجيبك، لكن نفذ ما أقول. فالوقت هو أثمن ما أمتلكه الآن".

فتح (مهران) الصندوق فوجده يمتلئ بالكتب والمحابر ولفائف من القماش مغلقة.

-"اسحب محبرة وريشة وقرطاسًا نظيفًا".

نفذ (مهران) ما قاله وجلس بالأشياء:

-"افتح المحبرة واغمس الريشة واكتب في القرطاس ما سأمليه عليك".

نهض (القصاب) وتخلى عن عصاه. وسار حتى وقف أمام (مهران) وهو يقول بجدية:

-"أسماء ملوكنا العلوية الموكلون بالعهد الذي أخذه (سليمان) منا على باب الهيكل، هم.."

نظر (مهران) له مصدومًا وهو يقاطعه متسائلًا:

-"ملوكنا!!"

-"نعم.. فأنا لست من البشر يا بني. أنا من الجان. وأنت أيضًا".

***

انتهى الجساس من رواية كل ما عرفه (عباد) عن (يوسف) وأصدقائه وعلاقاتهم بمخطوطة ابن إسحاق و(المخلبي)، حتى توقف عند موت والده ونجاة (حازم).

-"قل لي يا (جساس). ما الذي أجبرك على عدم الهروب فجأة؟"

-"قلت لك إنني أعلم بشأن أبحاثك. وأعلم أنك أخذت بصمة ترددية لجسدي عن طريق حقل الطاقة الذي صنعته".

-"هل تعلم عن الهندسة الكهربية؟"

-"لا. لكن كل أبحاثك من البداية وأنا أراها تتطور يومًا بعد يوم وأعرف أن هذا الحقل من الطاقة قد أخذ ما يشبه البصمة لجسدي، يمكنك منها أن تحدد مكاني وأن تستدعيني له. غرفة والدك النحاسية تُشبه كثيرًا طريقة عمل هذا الحقل".

كان (طه) يجلس على الأرض و(الجساس) يقف أمامه داخل حقل الطاقة الخامل

-"لم ترك والدي هذه الكتب مخبأة وتمنى عثوري عليها؟"

-"لا أعرف السبب لكنه حلم بدخولك لهذا العالم. برغم خوفه عليك من ميراث الغرفة النحاسية. لكنه لم يكن ليتخيل أن تصل لما وصلت أنت إليه".

نظر (طه) للأرض مفكرًا يستعيد أحداثًا قديمة.

(منذ ست سنوات عندما زاره صديقه (هيثم) الذي كان يُعدّ رسالة الماجستير في هندسة الكهرباء بدأت الأحداث. (هيثم) في الأصل زميل دفعته لكنه تخطاه بسبب دكتور (سلماوي) الذي أوصى على (طه) بعض الأساتذة ليظلّ في عامه الثالث في الكلية. استعان (هيثم) بـ(طه) كثيرًا في رسالته. وقد عرض عليه هذا الأخير المبيت معه في الشقة لأسبوع كي لا يضطر لزيارته يوميًا.

في اليوم التالي أقنع (هيثم) (طه) بعد الكثير من الإلحاح بأن يستخدما غرفة مكتب والده. (طه) يكره هذه الغرفة ولا يُفضّل الاقتراب منها حتى أنه طلب مؤخرًا من المرأة التي تأتي كل أسبوعين لتنظف الشقة بألا تقترب منها تاركة الأتربة لتأكل محتوياتها إن أمكن.

هالة والده المتبقية في الغرفة ضايقته كثيرًا. حتى إنه تمنّى أن تُحذف هذه الغرفة من الشقة.. في نفس الوقت لم يجرؤ على التخلص من

محتوياتها ولم يعلم السبب من قبل. فتح المكتب لزميله وأزالا بعض الأتربة من على المقاعد والمكتب سريعا.

مر يوم واثنان وهما يستخدمان المكتب في وضع الأوراق وبعض المراجع الأجنبية التي أحضرها (هيثم). في نهاية هذا اليوم طلب (هيثم) أن يستخدم أحد أدراج المكتب ليمكنه وضع بعض أوراقه.

أشار (طه) بيده له أن يستخدم الأدراج كما يحب. فتح (هيثم) أحد الأدراج فوجده يمتلئ بأوراق. أخرجها ليراها (طه) الذي قال:

-"ضعها في أي مكان لألقيها في القمامة في وقت لاحق".

اندهش (هيثم) من ردة فعل (طه) لكنه رفع حاجبيه ووضع الورق جانبا. وضع بالدرج خمسة كتب. ثم فتح الدرج الثاني ليخرج منه ثلاثة كتب ذات غلاف سميك. جذبه ملمس الأغلفة. لم يكن قد أمسك بجلد مدبوغ من قبل ولم يعرف خامة غلاف هذه الكتب. لكن ملمسها جذبه.

رفعها عاليا وهو يقرأ أسماءها بصوت عالٍ:

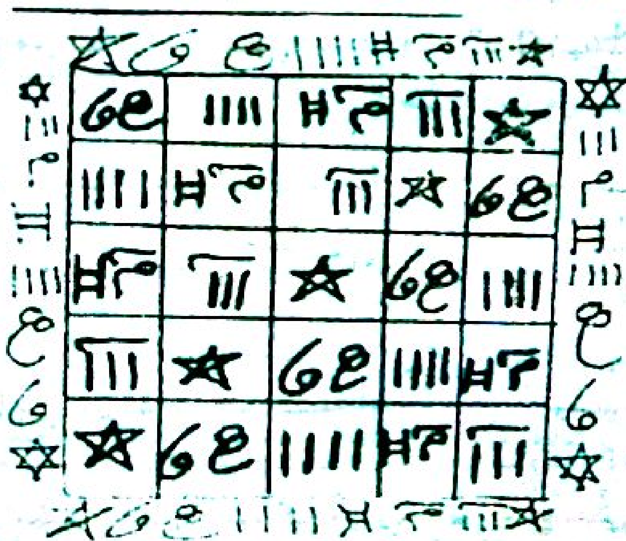
-"رسائل ابن موسى الحاوي.. السحر العظيم.. رياضة ابن حيان في حديث الجان".

نهض (طه) من على مقعده وقد جذبته أسماء الكتب. أمسك هو بكتاب "رياضة ابن حيان في حديث الجان" وفتحه يتأمله. الكتاب من الداخل مكتوب بالحبر الأسود كتابة يدوية واضحة مع بعض العبارات

باللون الأحمر، ورق مقوى كُتب عليه من وقت قريب لكن الغلاف من مادة سميكة جدًا شكَ أنها جلد مدبوغ.

فتح بعض صفحاته وقرأ من صفحة بشكل عشوائي يطالعها سريعًا:

(واعلم أيها السالك إلى خلوة كشف الطاهر (إليا بن ملكان) أنك تصوم عن كل روح وكل ثقيل. فإن ثقل بدنك قلّت عزيمتك وضعف صبرك. فاصلب ظهرك باللبن والتمر ونواشف الخبز. وتحصين نفسك وخلوتك واذن شيخك لتنهل من مدده مدّة رياضتك. وقل بعد كل صلاة بسم الله أنا الأسد سهمي نفذ منه المدد. لا أبالي بأحد ولا يقدر علي أحد إلا الواحد الأحد بحق قل هو الله أحد. داوم عليها فإنها مددك عند الفتح. واكتب خاتم (أليا بن ملكان) على جدران خلوتك كما تراه)



تأمل (طه) الرسومات لدقيقة محاولًا استنباط أي شيء يفهمه من الرموز. جاءه صوت صديقه متسائلًا:

-"كتب تحضير كما توقعت. أليس كذلك؟"

أشار (طه) برأسه علامة الإيجاب وهو يمدّ يده في ملابسه ليُخرج علبة سجائره ويتناول إحداها ليُشعلها مفكّرًا. أما صديقه فقد قلّب في الكتب الباقية سريعًا وهو يقول:

-"أثق أن هذا الكلام هراء. لكنني أحمل له بعض الرهبة".

-"الجنّ مذكور في الأديان".

قالها (طه) بتلقائية وهو ينفث دخان سيجارته ويقلّب في صفحات الكتاب الذي تكلّمت كل فصوله عن الخلوة. لكن في كل فصل كانت الخلوة تؤدي لشيء جديد. وكل خلوة لها شروطها وأيامها وطلاسمها. جلس (طه) على مقعده مرة أخرى وهو يجري بين صفحات الكتاب بعد أن شعر بفضول مفاجئ لهذا العالم برغم عدم اهتمامه سابقًا بمعرفته.

بينما جلس صديقه على مقعد المكتب وهو يتصفح الكتابين ويتنقل بينهما بسرعة. يقرأ بضعة أسطر من كل صفحة فإن لم تستهوه قلبها، وإن أعجبته تعمّق في السطور ومرّر عليها نظره أكثر من مرة ليستوعبها.

-"استمع لهذه العبارات في أول صفحات كتاب (رسائل ابن موسى الحاوي) يا (طه).. (وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى جنّ عليه الليل أي ستره. وبه سُمي الجنّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار. ومنه

سُمي الجنين لاستتاره في بطن أمه. أما في وصفهم ففي الجنّ قولان. الأول أنها أجسام هوائية قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة. لها عقول وأفهام وقدرة على أعمال شاقة وصعبة. والثاني في الأرواح الفلكية المجردة. هي كما يزعم البعض أرواح عالية قاهرة قوية وهي مختلفة بجواهرها وماهيتها. كما أن لكل روح من الأرواح البشرية بدنًا معينًا، فكذلك لكل روح من الأرواح الفلكية بدن، وهو ذلك الفلك المعين، وكما أن الروح البشرية تبدأ أولًا بالدماغ، ثم بواسطته يتعدى أثر ذلك الروح إلى كل البدن، فكذلك الروح الفلكي يتعلق أولًا بالكوكب ثم بواسطة ذلك التعليق يتعدّى أثر ذلك الروح إلى كلية ذلك الفلك وإلى كلية العالم، وكذلك ينبعث من جرم الكواكب خطوط شعاعية تتّصل بجوانب العالم وتتأدّى قوة تلك الكواكب بواسطة تلك الخطوط الشعاعية إلى أجزاء هذا العالم، وكذلك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبعثة من الكواكب الواصلة إلى هذا العالم)".

انتهى صديقه من القراءة ونظر لـ(طه) ليجده واقفًا ينظر إليه.

-"ما بالك يا (طه)؟"

-"ألا تجد شيئًا غريبًا فيما قرأته؟"

-"الحقيقة لم أفهمه كله".

ترك (طه) الكتاب الذي يحمله وجرى إلى خارج غرفة المكتب ليأتي بمطفأة السجائر وهو يقول:

"ألم تنتبه لكلام الرازي القريب من العلم الحديث؟"

قال (طه) العبارة السابقة وهو يجلس على المقعد ويضع المطفأة على فخذه وهو ينظر للأسفل بعينيه ويفتحهما على اتساعهما. علم صديقه لحظتها أنه يجمع أفكاره بتركيز عالٍ كما تعوّد على رؤيته كثيرًا من قبل على هذه الحال. تركه حتى يتكلم. لكن (طه) ظل ثابتًا وهو يسحب أنفاس السيجارة بقوة حتى انتهت وأطفأها. لم تغمز نظرة عينيه وهو يقول بهدوء شديد كأنه يحاول أن يُسيطر على سيل من الأفكار يهاجمه:

"تفسير الجن هو كل ما لم يشاهده الإنسان. أي إن إطلاق تلك الكلمة بشكل عام فهو يعني كل ما خفي ولا يعني فقط طائفة الجان. أي إن النبي (سليمان) عندما ذُكر عنه أنه يُسيطر على الجن فلم يكن المقصود الجان الذي نعرفهم فقط. بل كل ما خفي عن أعيننا. كالطاقة مثلًا".

"كلامك يبدو لي خياليًا".

"انتظر. كلمات الرازي القديمة عن الخطوط الشعاعية. ألا تُذكرك بما نعرفه عن الإشعاع. الطاقة المنبعثة من مادة تسير عبر الفراغ في خطوط مستقيمة. إنها الموجات الكهرومغناطيسية التي تتحرك في الفضاء بسرعة الضوء".

"وضح نظريتك".

-"الطاقة شحنات لا ترى ولكن يظهر أثرها إذا اتصلت بجسم مادي. كذلك الجان نحن لا نراهم لكن عند اتصالهم بجسم مادي نرى التأثير. مثل الطاقة تمامًا. عند حدوث التفريغ الكهربي تنشأ الغازات التي تخرج منها الألوان التي تختلف من غاز لآخر. والموجات الصوتية الصادرة عن هذه الغازات مختلفة الترددات. فلكل لون تردد معين. ويغلب لون التردّد الأكثر كثافة على لون الضوء. ولأن لكل غاز طيف خاص به يُعرف بأخذ خطوط هذا الطيف. فتنتج الألوان التي تظهر من الطيف الذري. والتي تتراوح بين اللون الأحمر والبنفسجي. الأحمر تردده أقل من تردد أي لون آخر. أما البنفسجي فتردّده الأعلى".

-"كل ما تقوله أعرفه.. ما الذي..."

قاطعه (طه) بعصبية:

-"ششششش. الموجات الكهرومغناطيسية تردّدها أعلى من البنفسجي. وأقل من الأحمر. لذلك فهي غير مرئية. وتُسمىٰ الموجات القريبة من اللون الأحمر بالأشعة تحت الحمراء. والقريبة من البنفسجي بالأشعة فوق البنفسجية. فإذا ارتفع التردّد أكثر من البنفسجي تصدر ما نسميه الأشعة السينية. وإذا أصبح التردّد أقل من الأحمر تنتج الموجات المستخدمة في التلفزيون والراديو".

هذه المرة سكت صديق (طه) كي لا يُحرج نفسه مرة ثانية. بينما أكمل هذا الأخير:

-" ألم تفهم ما أقصد؟ كل هذه موجات كهرومغناطيسية. أنا أتحدث عن شكل من أشكال الطاقة. الموضوع يتعلق بهندسة الكهرباء. بمجالنا.

ما الذي سيحدث لو أمكننا دراسة فرضية وجود الجنّ كشكل من أشكال الطاقة!!"

***

فتح (إسلام) عينيه لينظر حوله بدهشة يتأمل غرفته. نهض فشعر بثقل أطرافه. وضع يده على الضمادات التي لفّت أجزاء وجهه يتحسسها وهو يحاول التذكّر ما الذي أتى به هنا.

نزل من على فراشه والتنميل يغزو قدميه. لكنّه تحامل على نفسه وسار حتى باب الغرفة وفتحه. إحدى الممرضات جرت عليه وهي تنهره على خروجه ونظرات الدهشة تملأ عينه.

- "ما الذي حدث لي؟ وما هذه الضمادات؟"

توقفت الممرضة تنظر له تحاول أن تفهم ردّة فعله الغريبة.

- "أستاذ (إسلام). هل نسيت ما الذي حدث اليوم؟"

نظر للأرض مفكرًا. ثم هز رأسه نفيًا.

- "هيا بنا لندخل غرفتك وسأفسّر لك كل شيء".

دفعته الممرضة برفق ليدخل غرفته. ونظرت إلى الممر وهي تنادي على احدى زميلاتها تسألها عن دكتورة (رقية) وتطلب منها أن ترسلها لغرفة (إسلام) حالًا.

مرت عشر دقائق حتى دخلت (رقية) الغرفة لتجد (إسلام) يتحدث بعصبية مع الممرضة وهي ترد عليه بنفاد صبر. عند رؤيتها توقف (إسلام) عن الحديث ونظر لها يتأملها

-"دكتورة (رقية)! أنجديني!"

قالتها الممرضة وهي تلوح بيدها. تجاهلتها (رقية) وهي تركز عينيها على عيني (اسلام) المستفيئة. كأنه طفل مرتبك وجد نفسه في منزل يمتلئ بالغرباء، وينظر لعينيها طالبًا منها طمأنته.

ابتسمت له فقال لها:

-"هل أعرفك؟"

كانت (رقية) قد قابلت من قبل مرضى تحت تأثير الصدمة يتخذون ردود أفعال غريبة. لكنها لم تكن لتندهش من أي ردة فعل لـ(إسلام) بعد كمية الغرائب المتعلقة به هو وأصدقائه.

-"تذكرتني!"

هتف بها (إسلام) وهو يشير إليها. فزادت ابتسامتها وهي تطلب من الممرضة مغادرة الغرفة. أجلست (اسلام) على فراشه وجلست على المقعد بجانبه وهي تقول:

"ما الذي تتذكره؟"

نظر للسقف متذكرًا لحظات وقال:

-"أتذكرك.. رأيتك من قبل وتحدثت معك. لكن التفاصيل غير حاضرة في ذهني".

-"ألا تتذكر كيف جئت للمستشفى؟"

-"لا".

-"ما الذي تتذكره عن نفسك؟"

-"كل شيء. اسمي (إسلام...)".

توقف عن الكلام واتسعت عيناه وهو يُحرك شفتيه بلا صوت يحاول أن يتذكر اسمه بالكامل.. اختفت الابتسامة من وجه (رقية) وهي تعتدل في جلستها:

-"ما هي آخر ذكرياتك؟"

-"مخطوطة ابن إسحاق"

-"ماذا؟"

نظر (إسلام) لعينيها طويلًا وقال بصوت خائف:

-"شيء لا أدري هل يجب أن تعرفيه أم..."

قاطعته قائلة:

-"يجب أن أعرف كل شيء تتذكره الآن".

نهضت وساعدته على الاستلقاء على الفراش ليرتاح، وجلست مكانها مرة أخرى قائلة:

-"احك كل شيء ولا تخف. أنت في حالة صدمة بسيطة وتذكر المعلومات العالقة بذهنك سيجر بقية ذكرياتك ويعيدها لعقلك".

نظر لعينيها طويلا والراحة تغزو عقله. وبدأ يحكي كل ما يتذكره عن مخطوطة ابن إسحاق.

***

الفصل الثالث

أصدقاء قدامى

(اليوم التالي)

استيقظ الأستاذ (عبد الكريم مصطفى) مدرس التاريخ في فراشه فتململت زوجته في نومها. ربّتت على رأسها بحنان كي لا تستيقظ فسكنت. نهض من فراشه بتثاقل وهو يعدل منامته كي يتقي أثر برودة هواء الصباح. ارتدى (الشبشب) الموضوع بجانب الفراش ونهض وهو يسير ليخرج لصالة الشقة ومنها إلى الحمام ليستعد لذهابه إلى المدرسة الثانوية التي يُدرس فيها. وقف أمام مرآة الحمّام يتأمل وجهه الممتلئ وشاربه الضخم الذي تعوّد على تسريحه كل يوم. بالطبع لم يستطع تأمّل وجهه جيدًا لأن نظارته الطبية مازالت في غرفة النوم. وقف بجانبه أمام المرآة وهو يتحسّس كرشه ويقول في نفسه (النظام الغذائي الذي تخضعني له زوجتي لأفقد وزني لا يعمل. بل ربما زاد وزني أكثر). وقعت فرشاة الأسنان من على الحوض إلى الأرض محدثة صوتًا صغيرًا. فقفز (عبد الكريم) فزعًا من الخوف ولكنه تمالك نفسه مرة أخرى وهو يضحك على أعصابه التي صارت منفلتة في ردات فعلها بعد وصوله الخمسين. ساهم في ذلك أمراض الضغط والقلب التي أصيب بها.

***

وصل (عبد الكريم) بسيارته (128) موديل السبعينات إلى سور المدرسة وصفها بجوار الرصيف. والطلاب يسيرون بجانب السور إلى بوابة المدرسة وبعضهم يلوح له فرحًا والآخر يناديه محيبًا بسخرية. برغم أن الطلاب يعتبرون أن شخصيته ضعيفة في السيطرة عليهم إلا أنهم يحبونه لطيبة قلبه معهم.. لوّح لهم وهو يجاهد ليخرج من السيارة

الضيقة وبعض الأنظمة الغذائية التي لا يستطيع السير عليها. وبعض سيارته القديمة بصعوبة خرج من السيارة وأغلق أبوابها جيدًا ثم فتح غطاء السيارة وفصل عنها بطارية الكهرباء لأنه يعرف أن عمرها الافتراضي انتهى منذ عام ولو تركها موصولة لأكثر من ساعة لنفدت وسيحتاج لشحنها مرة أخرى.

دخل المدرسة والطلاب يتبارون للسير بجانبه وتحيته. وبعضهم يلقي تعبيرات ضاحكة فيبتسم لها رغمًا عنه وهو يحاول أن يرسم الوقار على ملامحه. كان يحبهم برغم استخفافهم به في بعض الأحيان. ويشعر أنهم يعوضونه عن الأبناء بسبب فقده للقدرة على الإنجاب. رن جرس طابور الصباح في نفس وقت دخوله فجرى الطلاب من حوله ليلحقوا بالطابور. رأى من بعيد أستاذة (زينب) وكيلة المدرسة وهي تحمل الجرائد اليومية كعادتها. فلوح لها ككل صباح بيده فلوحت له بالجرائد. من اكثر من عشرة أعوام وهي تشتري الجرائد في طريقها للمدرسة وتقرأها. وفي الفسحة المدرسية يأخذها (عبد الكريم) ليكمل قراءتها.

بعد نهاية الطابور اتجه إلى حمام المدرسين وهو يفكر في أن يشتري اليوم الكشري ويكسر النظام الغذائي بلا علم زوجته. مرة واحدة كل يومين ولن يلاحظ أحد. ألقى تحية الصباح على بعض المدرسين السائرين من حوله حتى وصل لباب الحمام المفتوح. دخل فانغلق باب الحمام من تلقاء نفسه. توقف لثوانٍ وهو ينظر له بدهشة. أشاح بيده بلا اهتمام وهو يتجه إلى إحدى الدورات. سمع صوت أحدهم وهو يحاول أن يفتح باب الحمام من الخارج ويفشل ثم يطلق سبة بصوت

منخفض. ولكنه سمعه ورحل! جرى (عبد الكريم) وهو يحاول فتح الباب من الداخل. ولكن المزلاج علق ولم يعد يدور. شعر بسخونة تلفح ظهره فرفع رأسه للأعلى وفمه ينفتح لا إراديًا من الخوف والدهشة. صوت كفحيح الأفعى يأتي من خلفه. ابتلع ريقه ونظر خلفه ليرى دائرة من الدخان بلا رائحة.

-"لا.. لا يمكن".

قالها برعب وهو يتراجع للخلف ويصطدم ظهره بالباب. انقشع جزء من الدخان ليظهر خلفه كائن متوسط الطول يحمل قرنين صغيرين أعلى رأسه ووجه مثل وجه القرد. يقول:

-"كيف حالك يا صديقي؟ لم أرك منذ ... م ونصف تقر... و بعمر سنينكم هنا.. اثنان وعشرون عامًا".

تسارعت أنفاس (عبد الكريم) وهو يقول بيأس:

-"ليس بعد كل هذه الأعوام!"

ابتسم الكائن قائلًا:

-"اجهز يا (سعيد) فلقد عدت للخدمة".

***

-"بم تخرف يا والدي؟"

ابتسم (القصاب) وقال:

-"في البداية لن تصدق، ثم سأريك بعض الأدلة فتصدم. وبعد زمن ستتقبل هذا، والآن اكتب وتعلم ما سأمليه عليك وستعرف تفاصيل كل شيء أثناء التعلم. اعتبرني مخرفًا مؤقتًا حتى يظهر لك الحق. ولن نخسر شيئا. بل سأهبك أسرار عالم الجان، والآن اكتب"

شعر (مهران) أن عليه الاعتراض ولكنه تراجع لسبب لم يعلمه ونظر في القرطاس وكتب ما يمليه (القصاب):

-"روفيانيل، جبرانيل، سمسانيل، ميكانيل، صرفيانيل، عنيانيل، كسفيانيل".

جلس (القصاب) بجانبه وقال وهو يتأمل الفراغ أمامه:

-"في حضرة (سليمان) يرافقه صاحب حكمة الدهر (أصف بن برخيا) وبحضور كل عائلات الجان من كل مكان. حكى لي جدي عن هذا اليوم، عندما أخذ ملوك الجان من كل بقعة العهد السليماني بخدمة أسمائه".

ابتسم (القصاب) وهو مازال ينظر للفراغ، لكنه نهض فجأة فرحًا وهو يقف في صحن الدار بصحة لا تُناسب هيئته، وهو يشير لبقعه قائلًا بحماس:

-"كان (سليمان) يقف هنا بكل عظمة وفخر يرتدي أبهى ما رأى قومي من ملابس وعلى رأسه تاج جواهره من الأبيض والأسود، وخلفه يقف (أصف بن برخيا) يحمل قرطاس العهد ليختمه ملوك الجان، يقفان وحدهما أمام باب الهيكل بلا جيش ولا حرس".

ثم جرى بنفس الحماسة ناحية طرف صحن الدار وقال مشيرًا:

-"وهنا وقف ملوك الأيام بجانب الملوك العلوية والسفلية. وهنا وقف ملوك الغيلان الخمس، بجانبهم الرؤوس الأربعة من أسياد الجان (مازر. كطم. طيكل. قسورة). وأمامهم وقف سيد العفاريت (لاقيس الإبليسي) الذي لم يخضع هو وعشيرته لكائن من كان من قبل (سليمان) وحتى من بعده. إن ظهر لبشر تصدّع عقله من توه. نبحث عنه وعن قبيلته (الجناخ)، جانًا وبشرًا.. بلا فائدة".

ثم أشار لبقعة أخرى والحنين يغزو صوته:

-"أما هنا فقد وقفت عائلاتنا من الجان تشهد على هذا اليوم. يوم أن تبدلت حياة الجان بكل طوائفهم".

-"كيف تبدلت؟"

شعر (مهران) بسخافة سؤاله في هذا الوقت. ربما فضل أن يترك والده لجنونه يروي خيالاته. لكن حتى تلك الخيالات أصابته بالفضول لمعرفة بعض الأمور. وكأن والده ينتظر أن يتفاعل معه (مهران) ولو من باب المجاملة: اعتدل في وقفته وقال:

-"علّمنا (سليمان) و(آصف) ما غيّر حياتنا، علّمنا كيف نختلط بعالم البشر لنستفيد منه ونتطور لنواكبه. الغيلان المشهورون بالحرب والحيل علّمهم كيف يتخفّون في شكل بشر لفترات طويلة وكيف يبدلون مظهرهم بكلمات ينطقونها. واستخدمهم كجواسيس قبل بدء الحروب ليختلطوا بين الناس ويجمعوا المعلومات. وعلّم الملوك

العلوية والسفلية كيف يزيدوا من قوتهم بكلمات ينطقها البشر فنتغذى عليها لتُطيل أعمارنا".

سار (القصاب) حتى وقف أمامه وهو يكمل بنفس الحماسة:

-"تعلمنا وقف الحروب بيننا والاستقرار والبناء والسلام. كل شيء تعلمناه كان مقابل خدمة خاتمه ومن يستخدمه من بعده".

فجأة انحنى ظهره وتهدل صوته وغزا الحزن ملامحه وهو يجلس بجانب (مهران) ويقول بخيبة أمل:

-"ومات (سليمان) ورحل (أصف) فعدنا لسابق عهدنا من البطش. لكن الفرق.. أننا عدنا أقوى مما كنا".

سيطر الصمت لحظات طويلة عليهما و(القصاب) ينظر بحزن أمامه و(مهران) لا يدري ماذا يقول في مثل هذا الموقف. ولكن (القصاب) قال بصوت جاد فجأة:

-"اكمل ما كنت تكتبه. أسماء ملوكنا العلويين هل دوّنتها؟"

-"نعم".

-"دوّن عندك. أسماء الملوك السفليين الموكلين بخدمة العهد (الملك مذهب. الملك مرة. الملك برقان. الملك شمهورش. الملك بهوتر. الملك زوبعة. الملك ميمون).. أعرف أن أسماءهم غريبة عليك. ستعتادها".

-"ما الذي سأجنيه عند معرفة أسمائهم؟"

-"سؤال جيد في أولى دروسك. لكن قبل إجابته يجب أن تعرف مع من نتعامل. عالمنا ينقسم لمنطقتين. ملوك تحكم مليارات الجان في مناطقنا. وهم من يجب أن نتعلم أسماءهم. وملوك تحكم منطقة أخرى لا صلة لها بنا. أشكال الجان بها أقرب للقوقاز بين البشر. أما الملوك الذين أخبرتك بأسمائهم فلا حكم لهم علينا فعليًا".

-"ما معنى مليارات؟ وكيف تقول ملوكًا بلا حكم؟"

قالها (مهران) والغباء يرتسم صريحًا على قسماته. فابتسم (القصاب) قائلًا:

-"سأعلمك فيما بعد كل شيء عن الأرقام، لكن أريدك أن تعرف بأننا كجان في عالمنا من المستحيل أن نتصل أو نرى هؤلاء الملوك. لأنهم وهبوا أنفسهم لخدمة البشر بعد العهد السليماني. لكن في نفس الوقت لهم قوة في عالمنا من خلال خدامهم الذين لا نعرف طريقة عملهم حتى الآن".

هز (مهران) كتفيه وقال:

-"لا أفهم".

اعتدل (القصاب) في جلسته وتنحنح وهو يقول:

-"الملك برقان مثلًا هو الموكل عند البشر بالصرع والتلبيس وغير ذلك. فإذا أراد رجل من البشر أن يصرع عدوه فما عليه سوى أن ينطق بدعوة خاصة بالملك برقان فيصرع العدو. أما الجني فمهما قال من

دعوات وتعاويذ فلن يستجب رجال الملك برقان، يجب أن ينطق بها بشري".

-"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فهمت عما تتكلم، أنت تريد تعليمي السحر. أي الكفر!"

تنفس (القصاب) محاولًا السيطرة على أعصابه وبلع ريقه وهو يقول:

-"يا بني السحر المحرم هو المؤدي إلى الشر، كأن تستخدم البارود في الدفاع عن منزلك، أو تستخدمه في الهجوم على منزل رجل بريء، هل تحرّم البارود؟ غير هذا وذاك أنا لا أعلّمك السحر. أنا أُعلّمك ميراثًا من الأسرار التي حفظتها لأعيش في هذا العالم وأخدم عائلتي".

-"أنا لن أتحمل تلك التخاريف مرة أخرى. جئت إليك لتساعدني في حل مشكلتي وها أنت تتكلم منذ..."

كان (مهران) يقول العبارة السابقة وهو ينهض ويلقي بالقرطاس والريشة بجانبه. ولكن صوت (القصاب) الحاد أوقفه وهو يقول له أمرًا:

-"اجلس!"

توقف (مهران) متحفزًا حتى أكمل (القصاب):

-"اجلس قليلًا وسأريك حلًا لمشكلتك. وهذا آخر ما ستسمعه مني الليلة. وغدًا إن لم تُفلح طريقتي فلا تأتني مرة أخرى".

جلس (مهران) بشك فقال (القصاب):

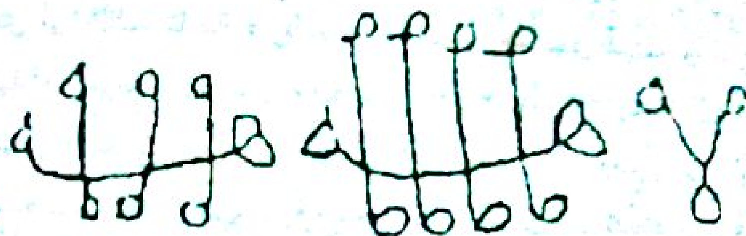
-"دوّن ما سأقول في قرطاس جديد واكتب عليه من الأعلى. (توكيل الملك برقان بالصرع)"

***

تأكد من أن خالته نائمة كي لا تسمعه. جلس بعدها في غرفته وأخرج من جلبابه القرطاس الذي أملاه عليه والده أمس وراجعه مرة أخيرة بعدما حفظ كل حرف به طوال الليل. نظر أمامه وهو يتذكر تحذير والده بأن عليه أن يصرف عمار المكان قبل أن يتلو دعوة الملك (برقان). أخذ نفسًا طويلًا ليكسبه ثقة يفتقدها في تلك اللحظة المتهورة. ثم قال فجأة:

-"باغموش. يلغموش. الغموش. مرغموش. إيلغموش. مرش. مربوش. جل الجليل صاحب الاسم الكبير. الأرض بكم ترجف والرياح بكم تقصف والأودية بكم تخفق والجبال بكم تتزلزل وأسماء الله نار محرقه محبطه بكم يا عمار هذا المكان، وإلا فتنزل ملائكة عليكم من السماء بشهب من نار فتقطع منكم الأمعاء. وتتركتكم مصروعين ملعونين مصروعين. الله الله الله. الكلام كلام الله والعبد عبد الله والأمر أمر الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. أيها الملك طارش ليس لكم منه راحة حتى ترحلوا من هذا المكان. أعزم عليكم يا معشر الأرواح والأعوان أن تنزلوا على عمار هذا المكان بالسلاسل والأغلال في الأعناق بالهيبة والوقار. اسمعوا وأطيعوا واطردوهم وأبطلوا حركاتهم واذهبوا بعمار هذا المكان وحريمهم وعيالهم من طريق الخدام. وسيروا في خدمتي حتى ينتهي عملي هذا".

دقة واضحة سمعها (مهران) من داخل غرفته. مصدرها مجهول لكنها العلامة على رحيل عمار المكان كما أخبره والده. جرى على المكان الذي يحتفظ فيه بالريشة والمحبرة وأخرجهما وهو يرسم ما دونه في



القرطاس بيده اليسرى المرتعشة على باطن كفه الأيمن..

شعر بهالة تحيط بيده بسبب هذا الطلسم الذي رسمه، ولكنه تمالك أعصابه مرة أخرى وهو ينفخ حتى يستقر الحبر على مسام جلده. مر الوقت وهو مازال ينفخ الهواء حتى شعر بأنه يتهرّب من الإقدام على الخطوة التالية. جلس على الأرض ويده اليسرى المرتعشة زادت في حركتها وأنفاسه تسارعت.

نهض وهو يقول مغمضًا عينيه:

-"بسم الله.. أقسمت بالأسماء السريانية على خدم (برقان) أن يتلبسوا يدي بالسمع والطاعة وينهضوا إلى ما أمرتهم بالقوة والاستطاعة، بحق صاحب جبل الدخان الراكب على الفيل المتعمم بالثعبان، بعزم روديانيل العفريت الهارب من قمقم سليمان. تلبسوا الكف وفرقوا الأصابع وأصرعوا من تجبر عليّ وغلب، ببركة جيش عصاب بن

الشمالقة سكان الجبال والعيون الغائرة. عيطوش عيطوش لبطوش ليطوش أروايوش أروايوش أجب يا برقان بخدمك ورجالك وتلبسوا يدي".

لم يحدث شيء! اتّهم نفسه بالغباء. كيف يُصدّق أن يحدث... فجأة، سمع صوتًا يأتي من بعيد، صوت حوافر خيول. يتعالى الصوت كل ثانية ويصبح أكثر وضوحًا. كأن تلك الخيول تقترب. تهادت لأنفه رائحة لا هي بالزكية ولا هي بالمقززة. صوت الحوافر يقترب من أذنه حتى سمعه كأنه داخل غرفته. ثم صمت وزادت الرائحة.

تفرّقت أصابعه فجأة رغمًا عن إرادته. حاول ضمهم فتفرّقوا بقوة أكثر. فجأة لانت أصابعه. هذه هي علامة تلبس يده. تعالى صوت أنفاسه الخائفة هذه المرة وهو ينظر لأصابعه بفزع. لقد حدث نصًا ما أخبره به والده.

عند هذه اللحظة تغير كل شيء. لقد امتلك لأول مرة قوة حقيقية. نظر لباب غرفته ثم إلى يده وابتسامة ترتسم على شفتيه رغمًا عنه.

***

مرت نصف ساعة وهو يدور في الحارات والشوارع باحثًا عن (بيرقدار). تعجب الجميع من مظهره وطريقته في السؤال. أقسم البعض أن عينيه أصبحت أكثر قوة وعمقًا. ومشيته القديمة بُدلت بأخرى واثقة بطيئة كأنه مصارع (كشتي) يتهادى في ساحة القتال أمام الجمهور. كان يضم يده اليمنى في شكل قبضة لفتت نظر البعض.

بعد الكثير من البحث سمع صوت (بيرقدار) ينادي عليه وهو يقف أمام مقهى يعج بالجالسين. التفت إليه ونظر إليه وابتسم. لا يعرف (بيرقدار) -الذي أخبره أحدهم أن (مهران) يبحث عنه- لم ارتبك عندما رأى تلك الابتسامة. لم تكن متوقعة منه بأية حال.

اقترب (مهران) بثقة حتى أصبح وجهه مقابلًا لوجه (بيرقدار) الذي نظر لقبضة يده اليمنى المغلقة ولم يفهم.. رفع (مهران) قبضة يده اليمنى وفتحها في وجهه فرأى الطلسم المرسوم عليها:

-"توكلوا يا خدّام الطلسم بصرع مطلوبي هذا".

قالها (مهران) وهو يضع يده على كتف (بيرقدار) الذي شعر بشيء يضغط على رأسه ثم فقد الوعي وجسده يتقوس على نفسه عكس إرادته. ورعشات متتالية تجتاح أطرافه.

ظلّ على هذه الحال لثوانٍ حتى جرى رواد المقهى يحيطون به مضطربين. أما (مهران) فقد ابتعد ليسير في طريقه مبتسمًا وهو يقول بصوت خافت:

-"اخرجوا من يدي فإنكم مأذونون وعليكم بركة من أسيادكم وحكامكم. أدوناي أدوناي. أنكير أنكير. على بساط الأسماء انصرفوا دون تأخير. بخ بخ أشليم أشليم سلام سلام".

***

جاءه صوت جرس الباب داخل حلمه. فتح (عماد) عينيه فشعر بآلام بقفا رقبته وظهره. تذكّر أنه كان يقرأ في بعض كتبه ليلًا بمكتبه عندما غلبه النعاس ونام على المكتب. رنّ جرس الباب ثانية فانتبه له ونهض

بصعوبة كي يحافظ على توازنه من السقوط عندما انخفض ضغط دمه فجأة بسبب نهوضه المفاجئ.

تثاءب وهو يخرج لصالة الشقة. فتح الباب فطالعه (حازم) تُغطي وجهه بعض اللصقات الطبية و(قاصيم) يقف بجانبه. فاحتضنه بقوة.

-"كيف خرجت من المستشفى؟"

دخل (حازم) وهو يقول ساخرًا:

-"(يصفيدش) زارني أمس في المستشفى وقام بما يُحسن القيام به".

جلس فجلس بجانبه (عماد) يهز رأسه بتساؤل. فقال (حازم):

-"أعاد لي عافيتي".

-"بهذه البساطة؟"

ضحك (حازم) و(قاصيم) يقول بالعربية:

-"ملوك العشائر وكبارنا يستطيعون التأثير على المخ ليفرز كمية جديدة من الأندروفين بشكل ثابت لأيام فينتهي الألم تقريبًا".

أكمل (حازم):

-"ألا تتذكر عندما سار (حامد) على قدمه المكسورة مبكرًا؟"

-"طبعًا".

-"قدم (حامد) كانت قاربت على الشفاء. نفس الفكرة معي. لم يشفِ جراحي لكنه أنهى ألمها فأمكنني التحرك مبكرًا".

هز (عماد) رأسه متفهمًا. ثم قال متذكرًا:

-"هل علمت بما حدث لـ(حامد)؟"

-"ما الذي حدث؟ (قاصيم) قال لي إنه اختفى فترة وعاد للظهور، وجئت لأستفسر منك".

ابتسم (عماد) وهو يقول:

-"تماسك كي لا تضحك.. (حامد) أصبح سيد الغرفة النحاسية".

-"!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!"

كاد (عماد) أن يكمل لكنّ صوت جرس الباب قاطعه. نهض ليفتحه ففوجئ بـ(حامد) وبجانبه (رحيم). يدخل الشقة وهو يرتدي بدلة وكرافت. وقد مشط شعره للأمام بشكل مضحك. بمجرد دخوله وجد (حازم) الجالس فجرى عليه يحتضنه ويقبله وهذا الأخير يبعده عنه بأدب.

-"كيف أصبحت سيد الغرفة؟"

قالها (حازم) مندهشًا فنظر (حامد) لـ(رحيم) قائلًا:

-"(رحيم)، ادخل وسلّم على عمو (قاصيم)".

ضحك (عماد) وهو يقول:

-"لا تقل لي إنك ترتدي الملابس بهذا الشكل بسبب الغرفة النحاسية!"

-" نا الآن موظف ويجب الاهتمام بمظهري".

-"هل تعرف كيفية التعامل مع الغرفة؟"

قالها (حازم) بسخرية لا تخلو من الدهشة. فقال (حامد):

-"لقد أرتني الغرفة كل ما يتعلق بها عندما نصّبتني سيدها".

قهقه (حازم) بينما ظهر جني غريب الشكل عند مدخل غرفة المكتب. وجّه خدم (قاصيم) الرماح إليه لكنه قال بسرعة:

-"سيدي (يصفيدش) يطلب منكم مقابلته أمام مشرحة زنهم الآن. الغول الذي حاول قتل (إسلام) مازال حيًا".

ثم نظر لـ(حامد) وخفض رأسه احترامًا قائلًا:

-"تحية لسيد الغرفة النحاسية وجساسه".

ثم أفلتت منه ضحكة وهو يقول:

-"سيدي (يصفيدش) يبارك لك على موقعك الجديد".

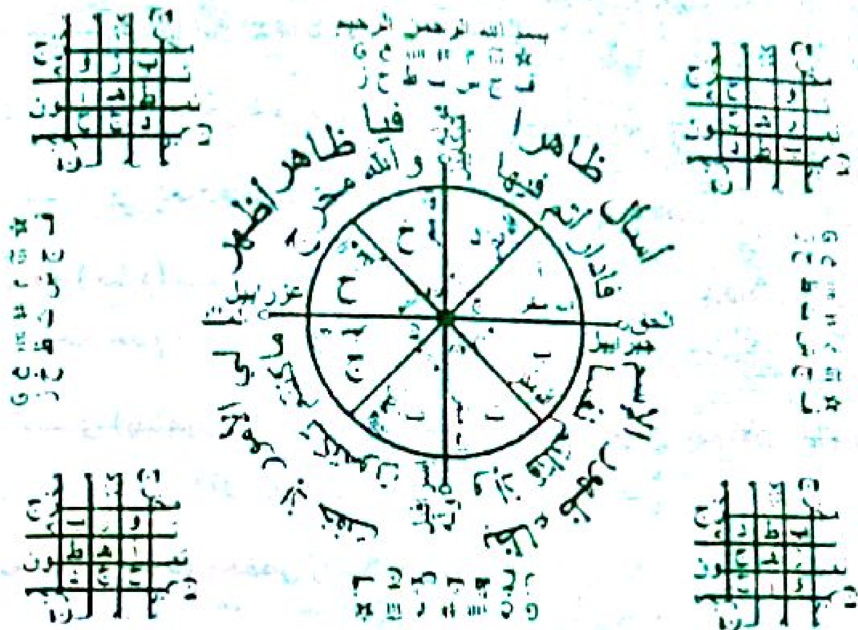
-"لِمَ يضحك الجميع عند ذكر الغرفة النحاسية؟"

قالها (حامد) بغضب. فردّ عليه (حازم) مبتسمًا:

-"يضحكون عند اقتران اسمك بها".

-"الكحكة في يد اليتيم عجبة!"

***



انتهى (طه) من الطلسم الذي أملاه عليه (الجساس) أمس. رسمه بحبر أحمر عادي على أرض الصالة بعدما أزاح السجاد. ثم نقل ألواح الخشب الجديدة التي اشتراها أمس وظلّ طوال الليل يحفر داخلها شكلاً حلزونيًا يسمح بوضع سلك نحاسي أكبر حجمًا من الذي يستخدمه في تجاربه. لوحان مربعان أبعادهما ثلاثة أمتار طولاً وعرضًا.

صنع لكل لوح مسندًا. ونصب اللوحين ليقابلا بعضهما ليصنع مجالاً كهرومغناطيسًا أقوى من السابق. أوصل الألواح بأجهزته لقياس التيار الكهربي والتحكم فيه.

اخرج الورقة التي كتب عليها الاستدعاء الذي أخذه أيضًا من الجساس وتأمل كلماتها التي تعوّد عليها من قبل. أحضر بعض أوراقه من ورشته والتي تمتلئ بمعادلاته التي عمل عليها لسنين.

ابتسم لنفسه عند رؤية بعض المعادلات التي عمل عليها قديمًا وهو يتذكّر كيف تعرّف على هذا العالم.

(مرّ يومان بعدما اكتشف (طه) الكتب في مكتب والده. وصديقه يجلس بجانبه أمام الكمبيوتر وهو يتصفح مواقع تتكلم عن الجان في التراث.

-"انظر هنا".

قالها (طه) وهو يشير لشاشة الكمبيوتر. فقرأ صديقه بصوت عالٍ:

-"يقول ابن مسعود إن الله تعالى خلق نارين فمزج إحداهما بالأخرى فأكلت إحداهما الأخرى وهي نار السموم. وهي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم. وهي نار تكون بين السماء والحجاب. لا دخان لها. والصواعق تكون منها".

أمسك (طه) هنا ببضعة أوراق كان يُسجّل فيها ملاحظاته وجرى بعينيه بينها حتى وصل إلى ورقة وقال وهو ينظر لها:

-"لدينا هنا نوعان من النار تم ذكرهما في القرآن. نار تحتاج لمصدر اشتعال. مثل الآية القرآنية (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون) وآية (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون). وهي النار التي نعرفها. والنوع الثاني ذاتي

الاشتعال كما فهم الأقدمون وهي نار السموم. التي نعرفها من وصف القدماء بأنها معادل الكهرباء في عصرنا).

قلب في الأوراق حتى وصل إلى ورقة جديدة وقرأ منها لصديقه:

-"روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله خلق الجن ثلاثة أثلاث. فثلث كلاب وحيات وخشاش الأرض. وثلث ريح هفافة. وثلث كبني آدم لهم ثواب وعليهم عقاب.. أعتقد أنه عندما تحدث عن خلق الجن في هذا الحديث قصد بها خلق كل ما خفي عن الأعين. لذلك فالنوع الثالث حددهم الرسول بأن لهم ثواب وعقاب أي إنهم عاقلين".

-"وبقية الأنواع؟"

-"انتظر سأبحث عن شيء".

ثوانٍ على الكومبيوتر وصفق بيده انتصارًا وهو يقول:

-"كلمة هفافة في لسان العرب في مادة هفهف. الهفاف: البراق. براق صيغة مبالغة فعال أي برق قوي شديد الضياء واللمعان.. كل ما قابلنا سابقًا يشير إلى أن تكوين الجن لا يصح إلا إن كان نفس التكوين الكهربي. أي إن أجسامهم طاقة كهربية. وهذا يفسر لي كيف يؤثرون في أجسامنا".

-"كيف؟"

-"هل قرأت عن التشريح من قبل؟"

-"لا".

اعتدل (طه) بمقعده وقال:

-"جسدك يستقبل المؤثرات الخارجية كاللمس مثلًا. يحوّلها إلى نبضات كهربية ويرسلها عن طريق الأعصاب التي تُمثل الحبل الذي يستقبل ويرسل تلك الإشارات الكهربية للدماغ. هل تفهمني؟"

ابتسم صديقه وهز رأسه بالإيجاب. فأكمل (طه):

-"لو أعطى المخ إشارة كهربية لأي طرف كيدك مثلًا. لو كانت الأعصاب مجرد ناقلة إشارات لتلاشى تردد الإشارة تدريجيًا حتى تصل ليدك. لكن الأعصاب نفسها تخلق نبضات كهربية لتُحافظ على الإشارة. وفي نفس الوقت لو قمت أنا بلمس يدك الآن فإن أعصابك تُحول تلك اللمسة لإشارة كهربية كي تنقلها لمركز الإحساس بمخك. لو اختل التنظيم المطلوب في ذبذبات الموجات الواصلة إلى الدماغ يحدث الصرع".

-"هل تقصد أن الجن هم المسؤولون عن الصرع؟"

-"لا أعرف. الصرع هو نشاط كهربي زائد يظهر في رسم المخ. لو كانت مادة الجن هي الكهرباء ويستطيع إصدار نبضات كهربية فيمكنه إحداث الصرع عن طريق زيادة الذبذبات الكهربية في طريقها للمخ".

هنا اتسعت عين (طه) وطرقع إصبعه وهو يقول:

-"الجن لا يدخل جسدك ليتلبسك. يكفيه أن يؤثر عليك إن كان بجانبك. لو أردت أنت أن ترفع يدك اليمنى للأعلى فأمرت مخك بإرسال الإشارة الكهربية ليدك، سيقوم الجني باعتراض النبضة المرسلة ويغيرها لنبضة جديدة تأمر يدك بالنزول لأسفل".

-"أنت تفترض".

-"لكنه افتراض منطقي. تخيّل إن كان جسد الجني من الكهرباء، سيفسّر لك قوتهم التي تتحدث الأساطير عنها. تخيّل أنهم يعيشون معنا لكن في بعد آخر بسبب طبيعة أجسادهم التي تكوّنت من الطاقة. هل يمكننا أن نسخّرهم عن طريق الطاقة نحن أيضًا؟ تخيل معي ما الذي سيحدث لو استطعت تعذيبهم بالكهرباء؟")

أخذ (طه) نفسًا عميقًا وهو يخرج نفسه من ذكرياته القديمة. اعتدل في وقفته وأخرج ساعته الخاصة وملأ زنبركها وضبطها. سمى الله ثم قرأ بصوت عالٍ وهو يقف بجانب الطلاسم التي كتبها على الأرض والتي وُضعت على جانبيها ألواح الخشب. فتح الورقة وقرأ بصوت رخيم هادئ:

-"أقسمت عليكم بقسم خطف الأرواح المكتوب عند كرسي العرش السليماني، بحق طهر طهر فقليش فقليش أندريوش أندريوش تبغات تبغات طليوت طليوت. أجب يا نيطروش سبوح قدوس ربنا رب الملائكة والروح. أجيبوا أيتها الأرواح الموكلون وتوكلوا بخطف (سنان بن عازم بن سفار) بحق الاسم الذي أوله آل وآخره آل وهو آل شلع يعيوبية يه واه آه بتكه بتكفال بكمي بصمي ممیال مطيع لك يا آل

جل زريا وزريال. توكلوا بخطف هذا العارض وأحضروه لمقامي. الوحا الوحا الوحا.. العجل العجل العجل.. الساعة الساعة الساعة.. الطاعة الطاعة الطاعة".

برغم أن الجساس كان مجبرًا على إخباره بالمعلومات إلا أنه كان يثق أنه أعطاه العزيمة الحقيقية لخطف رجل (المخلي) الأول (سنان بن عازم). لذا بعد أن انتهى وضع يده عند مفتاح تشغيل الحقل الكهرومغناطيسي.

وسط الطلسم المرسوم ظهر ظل طويل رفيع لرجل حرك رأسه يمينًا ويسارًا. ضغط هنا (طه) مفتاح تشغيل التيار الكهربي. انتشر الحقل الكهرومغناطيسي وأحاط بالظل الذي فشل في الخروج من دائرة الطلسم.

-"أعرف أن ذبذبة صوتي تصلك يا (سنان)".

قالها (طه) وهو يتكلم بصوت عالٍ. ظهرت ملامح لوجه (سنان) تدريجيًا فقال (طه) بنفس نبرة الصوت:

-"باختصار كي لا أطيل عليك. أريد أن أعرف موعد فتح البوابات وموضعها ومكان الفتاة التي اختُطفت. وقبل أن تتكلم أريد أن أُريك احتياطيًا شيئًا ما".

نظر لساعته وضغط زرًا جديدًا فانتشر شرر كهربي حول (سنان) وتداخل حتى بدأت شرارات كهربية تخرج وتدخل جسد ذلك الأخير.

مرت خمس وأربعون ثانية ثم أطفأ التردد الكهربي الذي أنشأه. ظل التيار الكهرومغناطيسي كما هو بينما (سنان) يجلس على ركبتبه وقد ظهر بقية جسده. فقال (طه) مبتسمًا:

-"أعرف أنك ستحاول فك الحزام الكهرومغناطيسي المحيط بك. لكنك ستستغرق وقتًا طويلًا حتى تجد ثغرة لتنفذ منها. وقبل أي محاولة سأقضي عليك في خلال دقيقة".

-"من أنت؟"

قالها (سنان) بصوت رفيع مرهق. فوضع (طه) يده بجانب الزر وقال:

-"ليس من شأنك، هيا اختربين الحياة والموت".

***

-"حان موعد الزيارة".

قالها (حامد) لـ(حازم) وهو ينظر لساعته. فنهض الأخير من مقعد الانتظار بالمستشفى يتبعه (حامد). الذي قال وهما يصعدان درجات السلم:

-"لكن لِمَ أخذ (يصفيدش) الغول؟ اعتقدت أنه سيقتله".

بصوت خافت رد عليه:

-"الجن الآن في حالة استعداد للحرب. كل من يعمل للجهة التي تعاديك هو كنز. يجب استجوابه لا قتله".

-"لو انتهت تلك الحرب بانتصار (المخلبي) هل سنتضرر كبشر؟"

توقف (حازم) عن الصعود ونظر لـ(حامد) مفكرًا:

-"لا أعرف.. لكن لا أحبذ الانتظار حتى يخرجوا. عالم الجن كعالم البشر. لا يجب أن تسيطر طائفة على الجميع".

نظر له (حامد) وعيناه تتسع. ثم قال فجأة:

-"لم أفهم مقصدك".

تركه (حازم) وراءه وصعد الدرجات وهو يبرطم بكلمات يتعجب بها من عمل (حامد) كسيد للغرفة النحاسية. حاول هذا الأخير اللحاق به حتى وصلا غرفة (إسلام). فتح (حازم) بابها ليجد (إسلام) يستند على فراشه ويتحدث مع طبيبته (رقية).

دخلا الاثنان وأغلق (حامد) الباب. فجأة انفتح الباب مرة أخرى من خلفهما ودخل قرين (إسلام) ليمسك بملابسهما من الخلف. تكهرب الجو ونهضت (رقية) شاهقة. بينما تملص (حامد) من قبضة القرين وهو يرمي نفسه على الأرض صارخًا:

-"صلي على رسول الله".

رفع (إسلام) يده أمامه قائلًا بفزع:

-"انتظر يا هذا".

تصلب القرين وعيناه في عيني (إسلام). فتمالك (حازم) نفسه وهو ينقل عينيه بين (إسلام) الراقد على الفراش. وقرينه الذي يمسك بقميصه من الخلف. حرك (حازم) شفتيه ببطء يطلب من (قاصيم) التصرف.

فجأة تحرك القرين مرة ثانية وهو يحيط بيده اليمنى رقبة (حازم).
فصرخ (إسلام) مرة ثانية به أن يتوقف. فتوقف قبل أن تسحق يده
رقبة (حازم).

مرت بضع ثوانٍ على الجميع وهم متجمدون، قبل أن يقول (إسلام) كأنه
يتوسل لقرينه:

-"ابتعد عنهم".

فجأة اختفى القرين حرفيًا كأنه لم يكن. تنفس (حازم) بقوة بعد أن
اختفى الضغط من على حنجرته.

-"قرينك العاري هذا مجنون!"

قالها (حامد) عندما نهض وهو ينفض الأتربة عن ملابسه. كانت (رقية)
كما هي واقفة وفمها مفتوح دهشة.

-"وكيف يظهر قريني بهذا الشكل؟"

قالها (إسلام) بدهشة. فنظر (حازم) لـ(حامد).

-"هل تتذكرنا؟"

قالها (حازم). فرد (إسلام) بسرعة:

-"طبعًا يا (حازم)".

نظر (حازم) لـ(رقية) بشك. فقال (إسلام):

-"أعرفك بـ(رقية). حكيت لها كل شيء. فتكلم أمامها كما تُحب".

-"حكيت كل شيء!! لماذا؟"

لاحظ (إسلام) اللهجة العدائية التي تسربت لعبارة (حازم). لكنه نظر ل(رقية) وقال:

-"هذا (حازم) الذي أخبرتك عنه.. الذي يمتلك جنيًا يدعى (قاصيم). وهذا هو (حامد)".

-"أمتلك أنا أيضًا جنيًا".

قالها (حامد) مفتخرًا، بينما زادت العدائية أكثر في نبرة (حازم) وهو يقول:

-"لم تجب على سؤالي!"

-"لا أعرف يا (حازم). ربما ساعدتني (رقية) على التذكر أو إيجاد حل طبي لمشكلتي".

-"لقد علمت من (يصفيدش) بحالتك".

قالها (حازم) وهو يجلس على مقعد بجوار الفراش، بينما جلست (رقية) على الفراش وظل (حامد) واقفًا وهو يلعب بإصبعه في أنفه.

-"من (يصفيدش) هذا؟"

نظر (حازم) لرقية وقال:

-"(يصفيدش) شقيق (المخلبي بن ذاعات).. يساعدنا على إنقاذ (حبيبة) وهزيمة (المخلبي)".

-"ما الذي حدث ل(حبيبة)؟"

قالها (إسلام) بلهفة وهو يعتدل على فراشه.

-"هل (حبيبة) هذه هي الفتاة التي كانت مع (إسلام) لحظة الحادث؟"

قالتها (رقيه). فهز (حازم) رأسه بالموافقة. لترد عليه:

-"لقد سأل عنها (إسلام) أمس ونسى كل شيء عنها وعن الحادثة اليوم".

نظر (حازم) لـ(إسلام) متأملا. وقال:

-"(حبيبة) خطفها (المخلبي) لمكان لا يعلمه جان ولا بشر. لكن الآن يجب أن نعرف الأهم. ما حكاية فقدان ذاكرتك التدريجي هذا. وما أمر ذلك القرين؟"

رفع (إسلام) عينيه للأعلى كأنه يتذكر شيئًا. ثم قال:

-"لا أجد نفسي أعاني من فقد أي معلومات. أشعر أن كل شيء في رأسي كما هو".

-"هل تتذكر صديقك (يوسف)؟"

-"طبعًا".

-"هل تتذكر كيف تعرفت عليه؟"

هز رأسه نافيًا بخيبة أمل. فردت (رقية) بسرعة:

-"حالة (إسلام) لم أسمع بمثيلها من قبل. فهو يتذكر تفاصيل عن حياته بشكل عشوائي من الماضي والحاضر. سأطلب فحصه على يد طبيب أمراض عصبية لنتاكد من...."

قاطعها (حازم):

-"لن يفيد. المسألة على الأرجح تتعلّق بقرينه الذي انفصل عنه".

-"لولا أنني رأيت ذلك الوحش لما كنت صدقت ما يقوله (إسلام).. ولو أنني لم أهضمه كله. إلا أن ما رأيته يكفيني.. كأنني.. كأنني في حلم!"

قالتها (رقية) وهي تُحرك يدها بارتباك. كأن الكلمات التي تخرج من فمها لا تُسعفها على شرح إحساسها.

-"ما الذي ستفعله عند مقابلة أهلك اليوم؟"

قالها (حامد) فردّت (رقية) وهي تهز كتفيها:

-"يجب أن أخبرهم أنه يعاني من فقدان ذاكرة مؤقت. أرجو أن يتفهموا لو نسى بعضهم وتذكّر الآخرون".

-"ويجب أن يخرج اليوم أو غدًا على الأكثر".

قالها (حازم) فكادت (رقية) أن تردّ عليه. لولا أنه أكمل:

-"قد ينسى (إسلام) ما حدث بيننا هذه المرة ويستدعي قرينه فيقتل أحد المرضى بالخطأ".

-"لكن جروحه تحتاج لمتابعة وربما لتدخل جراحي".

-"فليعد للمستشفى مستقبلًا. لكننا الآن يجب أن نعرف كل شيء عن قرينه وعن ذاكرته".

-"ألم تلاحظوا شيئًا؟"

قالها (حامد) فانتبه الجميع له. حينها أكمل بجدية:

-"بمجرد دخولنا جاء قرين (إسلام) ليقبض علينا. وعندما أمره (إسلام) بالتوقف أطاع أمره. لكنه أكمل هجومه على (حازم) فجأة عندما طلب مساعدة (قاصيم).. هل يتعلق الموضوع بخدامنا من الجان؟"

-"تقصد ان القرين يهب لحماية (إسلام) عند ظهور أي جان عدائيين أو تابعين لخدمة شخص؟"

قالها (حازم) فرد (حامد):

-"وعندما شعر بتحرك من (قاصيم) خالف أمر (إسلام) ليحميه".

-"يخيل لي أنه يمتلك ذكاء خاصًا به".

نظر (حازم) لـ(إسلام) وهو يقول:

-"يجب أن نخرج من المستشفى سريعًا. لنعرف أكثر عن قرينك ومدى خطورته".

***

الفصل الرابع

ابن ذاعات

-"شعور ممتع أليس كذلك؟"

قالها (القصاب) الجالس على مقعد في منزله. فرد عليه (مهران) وهو يجلس على مقعد بجانبه:

-"صدقت".

-"لقد كذبت في عمري على الكل إلا أنت".

قالها بجدية تختلط بالحزن.

-"كيف؟"

-"اتتذكر عهد (سليمان) الذي أخبرتك عنه من قبل؟"

هز (مهران) رأسه ايجابا. فأخذ (القصاب) نفسا طويلا وقال:

-"بعد ان اخذ (سليمان) العهد علينا. علم كل قبيلة منا سرا جديدا. قبيلة الغيلان كانوا يتميزون في حروبهم مع الجميع بسرعتهم في تغيير اشكالهم وصفاتهم البدنية. ولكنهم كانوا يفشلون في التشكل لمظهر بشري كامل لا يتم ملاحظته. فعلمهم كيف يتحولون لبشر كاملين بسهولة وكيف يعودون لحالتهم الطبيعية مرة أخرى إذ ارادوا. لأن التحول لبشر لفترة طويلة يحتاج لقوة كبيرة كي يحافظوا على أشكالهم. (سليمان) علمهم كيف يستمرون لأيام بنفس الشكل البشري واستخدمهم كجواسيس يرسلهم لجيوش أعدائه ليستطلعوا أحوالهم العسكرية كي يضمن أن يسبقهم بخطوات. أما نحن. بقية عائلات الجان. فقد تعلمنا الكثير. كأن نظهر في عالم البشر بشكل

مادي لفترة قصيرة جدًا لا تتعدى ساعات أو يومًا على الأكثر. وفي أكثر الحالات يتم ملاحظتنا بسبب أن طبيعتنا وحركتنا تختلف عن طبيعة الإنسان. فنصبح كالبقعة السوداء في الثوب الأبيض. والمشكلة هي أن التحول المادي يرهقنا ويعرضنا للإصابة بأمراض لم تعتدها أجسادنا. ورب مرض بسيط لا يؤذي الإنسي يؤدي لهلاكنا في ساعة إن حملته أجسادنا. هذا غير أن التحول من حال إلى حال يرهق أجسادنا ويستنفدنا أكثر من الغيلان. حتى مات (سليمان) وتحارب الجان على كثير من الكتب التي تركها. وقد نالت بعض العائلات القليل من الكتب تعلموا منها طرق كثيرة وأسرار تخص الجان. بعضها تحدث عن تحول الجان لبشر. تحولًا لا يدوم يومًا أو اثنين. لكن يدوم كامل العمر".

-"ميزة تتفوق على الغيلان".

نهض (القصاب) بلا عصاه وذهب ناحية صندوق الكتب والأدوات وفتحه وهو يقول:

-"العكس هو الصحيح. هذه الطريقة لا ينتقل بها الجان للعالم المادي لفترة ويعود لطبيعته مرة ثانية. لا. بل يظل بشرًا حتى الموت".

أخرج القرطاس والمحبرة والريشة ووضعهم بجانب (مهران) وعاد للجلوس:

-"ما المشكلة في تحول الجان لبشر لبقية العمر؟"

ابتسم (القصاب) بركن فمه الأيسر بسخرية قائلًا:

-"أعمار الجان مثل أعمار البشر في العموم. منا من يموت عند السبعين أو الثمانين. أو يصبح معمرًا ويموت في المائة. لكن الفرق أن العام الواحد عندنا بخمسة عشر عامًا من أعوام البشر".

اتسعت عينا (مهران) بينما (القصاب) يكمل حديثه:

-"بمجرد أن يتم التحول النهائي لبشر تصبح أعمارنا مثل أعمارهم. تسري القوانين علينا بشكل أكثر حدة. لذلك عندما قررت بعض القبائل والعائلات كعائلتي العمل بتلك الطريقة اعتمدوا على التطوع. لأنك تختار الموت والمرض والغربة بكامل إرادتك في سبيل حماية عائلتك وقبيلتك. عندما تكمل العشرين من أعمار الجان يمكنك التقدم للمهمة. عندما يتم تحويلك لنفس العمر من البشر. تصاب في أول أعوامك ببضعة أمراض ليكوّن جسدك البشري مناعتة ضدها. وفي بعض الأحيان تموت متأثرًا بها فيضيع كل شيء. وإذا قاومت عليك بأن تبدأ حياة جديدة باسم جديد وفكر جديد. تندمج وسط البشر كواحد منهم. وتتزوج منهم. لكن لن تنجب. وهذا أحد عيوبنا. نطفنا لا تصلح لرحم فتيات البشر".

صمت (القصاب) ليرى حاجبي (مهران) وهما ينعقدان. وقال:

-"ولأنني أحد هؤلاء المتحولين. فعندما حملتك أمك تركتها بعد أن اعترفت لها بجزء من الحقيقة.. وبعد أن اتهمتها بالخيانة".

-"وما الذي غير رأيك؟"

حمل صوت (مهران) التحفز وهو ينطق بالعبارة. فرد (القصاب) بسرعة:

-"لانك لا تحمل قريناً.. مثلي".

-"ماذا!!!"

-"عدت لأرى زوجتي قبل موتي لأن ما بيننا تعدى الزواج ووصل للحب. فوجدتك.. ولم أجد لك قريناً. هذه علامتنا. نتحول لبشر لكن لا نحمل قريناً. وانت تحمل العلامة. إذن أنت ابني. لا أعرف كيف حدث هذا. فتلك أول حالة نعرفها عن تزاوج جني ببشرية وان كان هناك أسطورة قديمة حول رجل سبقك لكنها بلا تاكيد.. راقبتك حتى علمت كل شيء عنك. وقررت تحميلك ميراثك كي تعرف من أنت وما الذي تقدر عليه".

لم يتكلم (مهران). فقال (القصاب) بهدوء:

-"أعلم يا بني أن ما تسمعه أكبر من قدرتك على الاستيعاب أو التصديق. لكنها الحقيقة. أنت ابن رجل من الجان تحول لبشر".

انتظر (القصاب) كي يتكلم (مهران) لكنه لم ينطق وظل محافظاً على وجهه الخالي من التعبير. فصمت (القصاب) هو الاخر محترماً صمت ابنه

-"اكمل حكايتك عن الجان".

لم يكن هذا الرد الذي توقعه (القصاب) في تلك اللحظة. توقع بعض الأسئلة من (مهران) عن حالته. توقع التأنيب. توقع الرفض. لكن تلك البساطة صدمته. لكنه اكمل في هدوء:

-"كل قبيلة -وبعض العائلات- يُحوِّلون القليل من الجان لبشر لخدمتهم في المستقبل. يتم التحويل بشكل سري فلا يعرف المتحوِّلون بعضهم البعض. يتابع كل متحوِّل رجل من الجان يُكلَّف بأن يكون همزة الوصل بينه وبين عائلته أو قبيلته. وإن مات الجنّي المسؤول عني أو قُتل لسبب ما يحرم عليّ الاتصال بهم وتفقدني عائلتي".

-"وما سبب كل هذا التكتم؟"

-"لحمايتنا.. مهماتنا في عالم البشر كثيرة. كلها تختص بالولاء لعائلتنا".

-"ممن تحتمون؟"

-"الكل.. الجان لا يستطيعون نطق التعاويذ والعزائم أو كتابة الطلاسم. فإن نطق الجنّي العزيمة لا يجيبه خدّامها لأن عهدهم مع سليمان يجبرهم على خدمة البشر فقط. لذلك ننطق نحن ما تريده عوائلنا وقبائلنا. إن حُبس أحد الجان نقسم على الملوك لتحريره. وإن قامت حرب بين عائلتي وعائلة أخرى عزّمت على أعدائنا من الجان ليموتوا. لو تجبّر أحد السحرة على عائلتي وقد كان متحصنًا من الجان. قتلته بيدي رجلًا لرجل".

-"إذن فأنت قاتل؟"

انتفض (القصاب) وهو يصيح:

-"قاتل وسارق ومروّع لأجل مهمتي".

صاح (مهران) به كما لم يصح من قبل:

-"وما ذنبي في كل هذا؟"

-"ذنبك أنك ولدي. ويجب أن تتعلم ما يحميك!"

-"يحميني ممن؟"

-"من الجميع".

قالها (القصاب) بأعلى صوته ثم سعل بقوة باصقًا بعض الدماء على يده التي وضعها على فمه.

هبّ (مهران) واقفًا ليربت لا شعوريًا على كتف (القصاب) قائلًا بلطف:

-"ما بالك؟"

نظر (القصاب) للدماء ثم رفع رأسه وهو يقول بجدية:

-"اقترب أجلي.. اجلس وتناول قرطاسك وريشتك واكتب ما سأمليه عليك".

أطاعه (مهران) بلا نقاش وسمع (القصاب) يقول:

-"طلسم وعزيمة التزيف".

***

استقر (بيرقدار) على فراشه منذ ساعات زائغ العينين لا يتحدث إلا قليلًا. تجلس بجانبه أمه بعدما حمله بعض الرجال إليها، لم تتمالك نفسها عندما علمت بصرعه في الطريق. وها هي تجلس منذ ساعات تُحدّثه ولم تفهم منه شيئًا.

دخل أبوه الغرفة بعدما عاد من عمله بالجباية. كانت الأم قد حاولت أن ترسل له أكثر من شخص ليحضر لكنها فشلت لتنقله الدائم بين الأسواق. بمجرد دخوله نهضت الأم تحدثه بصوت خافت بما حدث. فأشار إليها بالخروج وجلس هو على طرف الفراش.

ربت على قدم ولده بحنان وقال:

-"قل لي ما حدث اليوم؟"

-"لا شيء".

-"أمك تقول إن الجميع شاهدك تتحدث مع فتى في عمرك قبل أن يُغشى عليك. ما الذي قاله الفتى؟"

لم يرد. اقترب أبوه منه أكثر وهو يقول:

-"لقد ربيتك وأعرفك أكثر من نفسك. وجهك يقول إنك تخطط للانتقام من هذا الفتى.. أليس كذلك؟"

ظل على صمته فأكمل الأب:

-"هذه المرة لن أمنعك، بل لك مساعدتي إن أردت. لكن يجب أن أعرف التفاصيل".

-"اتركني لأنام يا أبي".

قالها (بيرقدار) مغمضًا عينيه وهو على نفس وضعه. فربت الأب على رأسه وتركه.

***

مرت عشرة أيام على بدء تعليم (مهران). وقد باع ثلاثة عملات ذهبية مما تركه والده فأصبح في يسر من العيش. وأحضر طبيبًا شهيرًا لخالته وأقنعها بانه يذهب يوميًا إلى حانوت العطارة كي لا يثير الشبهات عن مصدر نقوده. بينما يذهب من الصباح إلى المساء إلى دار والده ليتلقى العلوم. كل يوم يُطبَق بعض ما تعلمه. إما مع والده أو وحيدًا في غرفته.

هذه المرة خرج من منزله يحمل حجابًا حول رقبته صنعه لنفسه ليجرب طلسمًا جديدًا. كان في طريقه لوالده يفكّر كيف يُجرّبه. حتى لاحت له امرأة في الأربعين تقف أمام بائع فاكهة. اقترب منها وقرص مؤخرتها فنظرت بسرعة خلفها لكنها لم تر شيئًا. تلفتت يمينًا ويسارًا واستعاذت بالله من الشيطان وعادت تنظر للبائع مرة أخرى. هذه المرة صفعها على مؤخرتها فانتفضت وهي تنظر للوراء فلم ترَ أحدًا. لم تتحمل فأغشي عليها وهي تشهق.

سار (مهران) حتى وصل لمنزل والده وطرق الباب. بمجرد فتح الباب قال (القصاب) وهو يضحك:

-"اخلع حجابك يا بني".

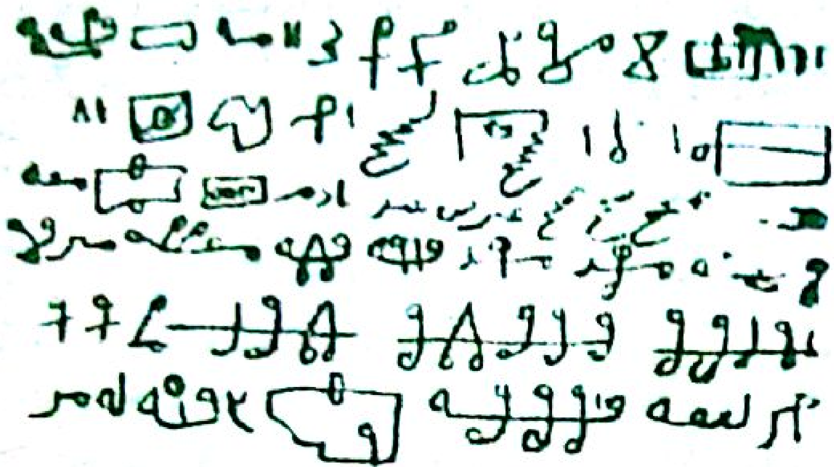
ظهر (مهران) في صحن الدار فجأة حافيًا وهو يخلع الحجاب عن رقبته. تأمله (القصاب) مبتسمًا وقال:

-"تسير حافيًا لتُجرّب طلسم الإخفاء؟ أراهن بعمري أنك جربته على الفتيات".

-"امرأة واحدة.. كيف عرفت على أية حال؟"

-"لأني كنت سأفعل المثل. ناولني الحجاب لأتأكد".

أخذه وفضه بحرص وهو يتأمله..



-"خطوطك مرتعشة يا بني. يجب أن تتمرن على كتابة هذا الطلسم أكثر من مرة. واستخدم عودًا من الخشب لتضبط رسوماتك".

اقترب (مهران) منه بينما (القصاب) يُشير بأصابعه إلى بعض الكلمات في الطلسم. أعطاه الحجاب وهو يتجه لمقعده ليجلس ويقول:

-"قل لي أسماء الدعوات والأقسام التي حفظتها عن ظهر قلب".

جلس (مهران) في موضعه المعتاد على المقعد المجاور له وهو يعد على أصابعه قائلًا:

-"من الأقسام حفظت (قسم خطف الأرواح). (قسم خلخلة الهواء). (قسم الزجر). (قسم الإضمار).. ومن الدعوات (الدعوة الجلجوتية).

و(الدعوة البهونرية). و(دعوة الطهاطيل). و(دعوة السبوح). و(دعوة المرتل)".

هز (القصاب) رأسه مشجعًا حتى انتهى (مهران) من عبارته. فقال:

-"بالطبع أنت تعرف العمل بالطلاسم وتصاريف الأيام لكل قسم ودعوة".

-"أعرف".

-"اليوم سأعطيك الدعوة البرهتية بلا تصريف. اكتب ورائي".

فتح (مهران) المحبرة ووضع الريشة الجديدة بها وهو يفرد القرطاس على المسند الخشبي كعادته.

-"برهتية برهتية. كربر كربر. تتلية تتلية. طوران طوران. مزجل مزجل. بزجل بزجل. ترقب ترقب. برهش برهش. غلمش غلمش. خوطير خوطير. قلنهود قلنهود. برشان برشان. كظهير كظهير. نموشلخ نموشلخ. برهيولا برهيولا. بشكيلخ بشكيلخ. قزمز قزمز. أنغللبط انغللبط. قبرات قبرات. غياها غياها. كيدهولا كيدهولا. شمخاهر شمخاهر. شمخاهير شمخاهير. شمهاهير شمهاهير. بكهطهونية بكهطهونية بشارش بشارش. طونش طونش. شمخاباروخ شمخاباروخ".

سعل (القصاب) وزاغت عيناه للحظات وهو يحاول أن يظهر بمظهر الهادئ. لكن صوته المبحوح خانه وهو يكمل قائلًا:

-"هذه آخر دعوة أعلمها لك من الدعوات السريانية. ستجد في هذا الصندوق قراطيس وكتب تمتلئ بالأقسام والدعوات. وسأعلمك طرق نطقها بسهولة. أحضر قرطاسًا آخر واكتب ما أقول".

كانت الحالة الصحية للقصاب تزداد سوءًا يومًا عن الآخر. ولذلك فإن (مهران) لم يراجعه أو يكسر له كلمة. هذه المرة قرّر بعد أن تنتهي جلسة اليوم أن يفاتحه في فكرة أن يأتي له بطبيب.

-"اكتب ورائي. كي تضبط التعازيم السريانية نطقًا فلتتّبع الآتي. إن كان ثنائيًا فافتح الأول واكسر الثاني مع التنوين مثل (قشٍ). وإن كان ثلاثيًا فإن كان بعد الأول ألف نحو (شال) أو واو مثل (طوح) فالأول مفتوح والثاني ساكن. وإن كان رباعيًا فإن كان بعد الأول ألف فالثالث مكسور والرابع مجرور مع التنوين مثل (ماجد). وإن كان بعد الأول واو فالأول مرفوع والثالث والرابع أيضًا مع التنوين مثل (طورش). وإن كان بعد الأول ياء فالأول مفتوح والثالث مكسور والرابع كذلك مع التنوين مثل (حيلة). وإن كان بعد الأول حرف صحيح فالأول مفتوح والثاني ساكن والثالث منصوب والرابع مجرور مع التنوين مثل (هشلشٍ). إن كان خماسيًا وكان بعد الأول حرف من حروف العلّة والرابع حرف علّة كذلك فحكمه حكم حرف العلّة من الرباعي مثل (خيلود). وإن كان سداسيًا أو سباعيًا فإن كان الثالث والخامس حرف علّة فحكمه حكم ما تقدّم في ضبط ما قبل حروف العلّة. وما خالف غير ما قلت فهو شاذ".

سكت (القصاب) يلتقط أنفاسه ناظرًا إلى (مهران) والأخير يبادله نظرة إشفاق. كاد أن يحدثه لولا أن رفع (القصاب) يده مانعًا إياه من الكلام وقال بوهن:

-"لا يعلم سر وجودك غيري".

-"وجودي!"

-"أنت أول ابن بشري لجان. لو علم قومي بوجودك أشك أنهم سيتركونك لحالك".

-"أنا مجرد بشر طبيعي".

اعتدل (القصاب) في مقعده بضعف قائلًا:

-"لا يا بني. أنت غريب في عالم البشر وغريب في عالم الجان. علمتك ما علمتك لأحميك من بطش العالمين. أنت خطر على إحداهما. ولكن لم تظهر خطورتك بعد".

-"ما الذي يجعلك تقرر هذا؟"

-"قلبي.. قلبي هو ما ينبئني بهذا يا ابن (شادق)".

-"(شادق)؟"

-"نعم يا بني. فأنا (القصاب بن شادق)".

***

تأكد (بيرقدار) من انشغال أمه في غسيل الملابس وتحرك بخفة حتى دخل لغرفة نوم والده. فتح صندوق الملابس بحرص شديد باحثًا عن (غدارة) والده. وجد صندوقها النحاسي. أخرجه وأعاد الملابس كما كانت بهدوء. عاد لغرفته ونبضات قلبه تتسارع. صحيح أنه فكر في خطته الأيام السابقة عشرات المرات لكن وقت التنفيذ فكر بالتراجع كثيرًا.

عليه أن يردّ الصاع صاعين لمهران. لكنه لن يشتبك معه وجهًا لوجه مرة ثانية. فمهران اكتسب قوة غريبة. على ما يبدو أنها من العجوز الغريب. صرعته بمجرد لمسه. لذا يجب أن تكون المواجهة على مسافة آمنة تحفظه مما قد يحدث له إن اقترب منه. راقبه الأيام الثلاثة السابقة من أبعد مسافة وهو يسير من منزله صباحًا إلى منزل آخر ويغادره بعد صلاة العشاء. هناك مرة وحيدة لم يره وهو يغادر المنزل. لكن الغريب أنه عاد لمنزله ليلًا.

فتح العلبة بحرص وأخرج المسدس المزخرف وكيس البارود الأسود وثلاث طلقات. كان يعرف طريقة تعميره بالنظر. والتي كانت بسيطة.

ما كان ينقصه هو تحديد كمية البارود التي يجب أن يصبها في الماسورة. فتح كيس البارود وصبّ بعضه بالتقريب. ثم أخذ قطعة من القماش دائرية صغيرة من العلبة ووضعها على حافة الماسورة واضعًا الطلقة فوقها. أخرج عصا الضغط من المسدس وكبس بها الطلقة لداخل الماسورة بحرص حتى استقرت فوق البارود. أغلق العلبة وأخفاها تحت فراشه بينما أخذ طلقتين وكيس البارود وخبأها في ملابسه مع المسدس.

لم يبق له إلا تنفيذ آخر جزء من الخطة.

***

خرج (مهران) من منزل والده ككل ليلة محمر العينين من كثرة التركيز فيما يكتب ويقرأ. يحمل كيسه القماشي الذي يحوي ما يدونه كل ليلة وكتابا أو اثنين يعطيه والده له. سار بخطى متهادية وهو يعبر حارة تغرق في الظلمة بلا قناديل أمام منازلها. خرج منها لحارة أخرى ذات بضعة قناديل والناس تملأها.

دخل زقاق جانبي فجأة لم يكن في خط سيره كل ليلة. دخل خلفه (بيرقدار) وهو يخرج كيس البارود من ملابسه ويفتحه ويتناول المسدس. توقف (مهران) عن السير وابتسم وهو يقول بصوت وصل لـ(بيرقدار):

-"أعرف أنك تراقبني كل يوم. لكنك هذه المرة اقتربت أكثر من اللازم".

ارتعشت يد (بيرقدار) وهو يسحب مطرقة المسدس للخلف ويضع أمامها بعض البارود ليساعد على انتقال الاشتعال لداخل ماسورة المسدس. وقع بعض البارود أرضًا لكنه لم يعبأ.

-"ما الذي تنوي عليه اليوم. قتلي؟"

قالها (مهران) ساخرا وابتسامته تزداد وهو يلتفت ليواجهه. لتتجمد الابتسامة على وجهه وهو ينظر للمسدس الذي يصوبه (بيرقدار) نحوه. لم يكن في نية هذا الأخير قتله. بل اعتمدت خطته أن يصيب قدمه برصاصة تصيبه بالعرج بقية عمره. وجّه (بيرقدار) ماسورة

المسدس ناحية قدم (مهران) والمسافة بينهما لا تتعدى الستة أمتار. نظر في عينيه وضغط الزناد لتتحرر المطرقة مطلقة شرارة الاحتكاك التي أشعلت البارود. ما لم يحسب له (بيرقدار) رد فعل المسدس الذي ارتفعت ماسورته للأعلى عند خروج الطلقة وصوت الفرقعة يشبه انطلاق قذيفة المدفع.. يبدو أن البارود أكثر من اللازم. انتشر الدخان أمام عين (بيرقدار) لكنه استطاع أن يرى من خلاله (مهران) وهو ملقى على ظهره وقد ابتعد عن موقعه الأول.

جرى ناحيته ووقف على رأسه ليشاهد ثقب الرصاصة في منتصف معدته. اصطدمت عيناه بعيني (مهران) لثوانٍ. لكنه لم يجد حلًا سوى الهروب.

الخطة فشلت. وترك (مهران) خلفه جثة هامدة.

***

أخذ (عبد الكريم) يقلّب بين أوراقه التي احتفظ بها في صندوق تحت فراشه منذ سنوات عديدة عندما كان يدوّن كل أسفاره. سافر كثيرًا إلى مناطق تاريخية أثرية تتعلق بالتراث الاسلامي، وكان غطاءه هو حبه للتاريخ بصفته مدرس تاريخ.

حتى وإن لم يتفهم البعض ذلك لكونه يُدرّس لطلاب الثانوي قشور التاريخ. لكنهم تقبلوا ذلك. حتى زوجته كانت تعوّدت في الماضي على سفره لبعض قرى الصعيد لزيارة قبور الأولياء أو كثرة ذهابه للمساجد المشهورة وحيدًا. لكنها لم تعرف سر تقرّبه للطرق الصوفية والروحانيين. لم تعرف أنها مهمته الأصلية في البحث وراء بعض

الطلاسم وفكها من البشر الذين تعلموا العلوم الروحانية شفاهه من شيوخهم.

لكنه توقف عن البحث منذ سنوات. شعر بالملل وبأن ما عرفه وجمعه غير هام. كان ينتظر اتصال المسؤول عنه لكنه تأخر. قال في نفسه سينتظر أن يتصلوا به كي يعرض ما توصل إليه.

اليوم استيقظ من النوم وتعلل بمرضه كي لا يذهب للمدرسة. أخذ أجازة عارضة بالهاتف وطلب من زوجته أن تذهب لأمها ككل يوم كما تعودت حين يكون في المدرسة. رفضت في البداية لكنه طمأنها على صحته وأكد عليها أنه سيُحضّر بعض الدروس لطلابه وسيسبقها لمنزل أمها عصرًا ليتناولوا الغداء هناك لأنه لم يزر أهلها منذ شهر.

والآن هو يُرتب أوراقه جيدًا متوقعًا أن يحدث اتصال أخر في أي وقت في نهار اليوم.

أعد لنفسه كوبًا من القهوة وأخذه ليتناوله في الصالون وهو يحمل أوراقه تحت إبطه. بمجرد دخوله الصالون سمع صوتا يقول:

-"لا تُسقط قهوتك يا (سعيد)".

اهتزت القهوة بيده وهو ينظر للجني الجالس على مقعد الصالون يبتسم له.

-"طريقة حضورك الدرامية مخيفة".

قالها (عبد الكريم) وهو يجلس على المقعد المقابل له:

-"لن يعجبك لو ظهرتُ لك فجأة.. لا أعرف ماذا حدث لك؟ هل أصبحت تخاف منا كالبشر؟!"

-"مرت سنوات طويلة واعتقدت أنكم نسيتموني".

-"تغيرت كثيرا عن يوم تجنيدك. لقد تطوعت بكامل ارادتك وبكل حماس. ألا تتذكر؟"

-"لا تنس فرق السنوات بين البشر وعالمكم".

ضحك الجنّي وقال:

-"عالمنا؟ تقصد عالمك".

ابتسم (عبد الكريم) ساخرا وهو يقول:

-"أنا لا أعلم ماهيتي الآن.. بشر أم جان.. المهم قل لي ما يحدث في عالم الجان. قلتم لي إنكم ستتصلون بي في حالة الحروب والتمردات".

-"أتتذكر (المخلي بن ذاعات)؟"

-"طبعا.. السجين".

-"تحرر.. ويحضّر لفتح البوابات السبع للقيام بحرب شاملة على كل القبائل".

هز (عبد الكريم) رأسه كأنه ينفض تلك الفكرة عن رأسه لكن الجنّي أكمل بسرعة:

-"في وقت آخر ستفهم كل شيء. المهم قل لي أخبار بحثك عما طُلب منك".

وضع (عبد الكريم) القدح جانبًا ووضع أوراقه أمامه يقلّب فيها وهو يقول:

-"تقصد أي شيء. توصّلت في السنوات السابقة للكثير من روحانيات البشر. في أسيوط عند مسجد (جلال الدين السيوطي) قابلت شيخًا أخبرني بـ..."

قاطعه الجنّي:

-"لا أقصد هذا.. هل نسيت مهمتك الأصلية التي كُلّفت بها؟"

نظر لعينيه لثوانٍ قبل أن يقول (عبد الكريم):

-"تقصد الأمر المطلوب من كل من تحوّلوا لبشر؟"

-"بالضبط".

قلّب (عبد الكريم) في أوراقه مرة ثانية حتى أخرج ورقة وهو يقول بدون أن ينظر للجنّي:

-"بحثت عن طريقة للوصول لهم من ثاني عام لي في عالم البشر. المشكلة لم تكن في الوصول لهم بقدر تعريفهم. الكثير ممن لهم خبرة في السحر والعلوم الروحانية كما يسميها بني آدم يقولون إن تحضيرهم سهل. بل وبعضهم يلمح أنه اتصل بهم. كل طرقهم

اكتشفت زيفها. اللهم إلا واحد فقط قال أنه تعلم على يد (عبد الفتاح الطوخي) يقول..."

قاطعه الجني متسائلا:

-"أليس هذا الساحر الذي عاقبته قبيلة (فهدان)؟"

-"نعم هو.. تلميذه يقول بأنه حصل منه على صورة لكلمات كتبها (أصف بن برخيا) بعد موت سليمان الحكيم. الكلمات من المفترض أنها تتعلق بهم وبطريقة استدعاء سيدهم. أعطاني الكلمات في شكل رسوم على ورقة وهو متأكد أنني لن أستطيع قراءتها لأن (عبد الفتاح الطوخي) نفسه أقر له بأن هذه الكتابة ستظل بلا ترجمة".

أخرج ورقة قديمة ونهض من مكانه ليعطيها للجني. الذي أخذها ونظر فيها بلا اكتراث وهو يهز رأسه:

-"هل هذا كل ما توصلت له بخصوصهم؟"

-"نعم".

فجأة قال كأنه تذكر شيئا:

-"هناك شيء لا أعرف هل سيفيدكم أم لا بخصوصهم. أخبرني نفس الرجل أن هناك رجلا قديما أطلق عليه لفظ ابن الجن. هو من كان معه سر استخدام تلك الكلمات. وأنه سمع ذلك من (عبد الفتاح الطوخي)".

-"ابن الجن؟! أهو لقب عائلته أم كنية أم ماذا؟"

-"لا أعلم. هناك من حملوا في التاريخ هذا الاسم كعالم لغة عربية اسمه (ابو الفتح عثمان ابن الجني) وهناك (عمرو بن الجن) ابن شقيقة الملك النعمان".

-"أشعر بأن هذا الرجل وراءه أمر ما".

-"ربما كان مثلي وافتضح أمره فأطلق عليه هذا اللقب".

-"ربما.. المهم أن تنتظر أوامري الجديدة لأني سأرحل الآن. زوجتك عادت سريعا وهي الآن على باب الشقة".

ثم غمز بعينيه وقال:

-"ربما اعتقدت أنك تخونها".

سمع (عبد الكريم) صوت الباب يُفتح وزوجته تنادي عليه فابتسم لفكرة خيانته لها. ماذا لو علمت بأن كل حياتهما الشخصية غطاء لحقيقته. اتسعت ابتسامته وهو ينهض ويجيبها:

-"أنا هنا يا حبيبتي".

***

-"هل حصرت عدد الجان المتخفين في صورة بشر؟"

قالها (المخلي) لأحد أتباعه، الذي أجاب على الفور:

-"حصرنا الكثير.. هل نهاجمهم؟"

-"لا".

قالها بحزم ثم أردف قائلًا:

-"تنشيط كل جواسيس الجان في عالم البشر عمل لن يوافق عليه مجلس الجان لأنه يكشف الجواسيس لي. هذا العمل المجنون أشعر بيد (يصفيدش) تُحركه".

-"لكننا لو صبرنا عليهم ربما هاجمونا. هم يمتلكون الكثير من التعاويذ والطلاسم والعزائم والأقسام التي يستخدمونها كبشر".

-"أعرف أنهم كذلك. لكنهم كالكمين لي في نفس الوقت. (يصفيدش) ينتظر أن أهاجم أحدهم فيوقع بمزيد من رجالي.. على سيرة رجالي. هل من جديد عن اختفاء (سنان)؟"

-"لا يا سيدي.. ولو أني أشك أن لـ(يصفيدش) علاقة بذلك".

-"(سنان) أقوى من أن يُختطف أو يدخل في قتال مع جني ويُهزم. اختفاء (سنان) من الأمس يقلقني. من هذا الذي يمكن أن يكون وراء ذلك. وما هي قوته؟"

***

دخل (عماد) لمكتب (عباد) معتمدًا على نسخة المفتاح التي أعطاها له (يصفيدش). بعدما حدثه (حامد) هاتفيًا طالبًا منه الإتيان. جاء بأسرع ما استطاع.

دخل لفتحة السلم الضيقة بهدوء ونزل درجات السلم حتى سمع صوتًا يأتي من الغرفة النحاسية ذات الباب المفتوح. تأهب وهو يُدقق في

الصوت ليُميز نبراته قائلًا في نفسه إن (حامد) أسر جنيًا ولابد أنه أخبره بشيء.. في تلك اللحظة توقف عند الباب قبل أن يدخل وهو يسترق السمع..

(يا متولي.. يا جرجاوي يا جرجاوي.. المعلم راح لمتولي.. قاله يا أخينا داير بكا مالك.. ما كنت قاعد بكمالك.. ياك خدوا من البوك مالك)

دخل للغرفة فوجد (حامد) يجلس على الأرض يأكل من طبق كشري وبجانبه هاتفه المحمول تتصاعد منه أغنية..

-"هل تسمع أغانٍ في الغرفة النحاسية؟"

انتبه له (حامد) وهو يقول:

-"سيرة شفيقة ومتولي للريس حفني. ما رأيك فيها؟"

-"الريس حفني!!"

-"عندي مواويل أخرى للريس أمين الحنش. لحظة أشغلها لك".

-"انتظر عندك.. لم تأتِ بي لأسمع المواويل. ثم كيف تأكل كشري في الغرفة النحاسية؟!"

-"تفضل معي".

زفر (عماد) من فمه زفرة طويلة وحاجبيه ينعقدان غضبًا. لكن (حامد) أزاح طبق الكشري جانبًا وهو ينهض ليقف خلف المنضدة ويقول:

-"يا جساس، أغلق الباب".

انغلق باب الغرفة.

-"لم تقل لي كيف تدخل المنزل هنا من الأساس؟"

-"(رحيم) يدخل ثم يفتح لي الباب من الداخل".

-"أشعر بأنك تهين عالم الجان بطفولتك هذه!"

-"المهم.. أتيت بك هنا لتعرف شيئًا لا أستطيع تقدير قيمته بالنسبة لنا. الغرفة علمتني أن لكل طائفة من طوائف الجان اتصال برموز داخل الغرفة. حتى لو مات سيد عشيرة أو عائلة فسأعرف عندما ينطفئ الضوء الخاص به ويتحوّل للأسود. هذا يعني موتًا طبيعية. أما لو تحوّل للأخضر فهذا يعني أنه قتل من البشر. أما اللون الأحمر فيعني أن الجنّ قتلوه. رأيت منذ ساعة حالة قتل. في الغالب تلك الحالات غير مهمة. لكن طريقة القتل أدهشتني، لذلك طلبت من (رحيم) أن يبحث عن شخصية المقتول لأعرف أنه (سنان بن عازم بن سفار) سيد عائلة (سفار). هي عائلة عادية كما أخبرني الجساس. لكن (سنان) نفسه هو صديق (المخلبي) منذ زمن وذراعه الأيمن".

-"شيء طبيعي في هذا الوقت أن تتقاتل القبائل ضد بعضها البعض".

أشار (حامد) بإصبعه لرمز في أخر الغرفة النحاسية فنظر له (عماد). رأى فتاتًا معدنيًا على الأرض. أعلاه رمز لا يظهر منه الكثير.

-"لقد خرجت شرارة كهربية من هذا الرمز وانفجر بعدها. الغريب أن الغرفة تعيد بناء نفسها في حالة التدمير. لكنها لم تفعل هذه المرة. طريقة الموت غريبة وأثرت على الغرفة مباشرة.. لم أعد أحصي

الغرائب التي تقابلنا من كثرتها. لكن من هذا الذي استطاع فتل الذراع اليمنى (للمخلي) بتلك الطريقة!"

نظر (عماد) لـ(حامد) وقال:

-"لو كان ما تقوله صحيحًا. فهناك لاعب جديد ظهر. إن كان في صفنا فأنا مطمئن".

-"وإن لم يكن؟"

هز (عماد) كتفيه وابتسم سخرية وهو يغادر الغرفة.

***

الفصل الخامس

العائد

شعر (مهران) بألم في قلبه. عاد وعيه فجأة وعادت آخر ذكرى له. الرصاصة المقذوفة من غدارة (بيرقدار) والدخان يحيط بها. لجزء من الثانية تذكر صوت البارود المنفجر وسقوطه على ظهره. تذكر أنه لم يشعر بألم الرصاصة بل قوة الصدمة هي كل ما شغله

اختلطت الذكرى بألم قلبه فأخذ نفسًا عميقًا. شعر بتراب يدخل لفتحتي أنفه فزفر ليتخلص منه. كل ما فات حدث في ثانية. الثانية التالية أدرك أنه مكفن. فتح عينيه فدخلهما التراب.

لقد دُفن. حرك يده اليمنى التي اصطدمت بالتراب فوجدها تخترق طبقاته بسهولة. لم يتوقف ليندهش فجسده يحتاج الهواء. حرك يده الأخرى وسط الطبقات بسهولة وبهدوء فطاوعه جسده بسلاسة. كان يخترق الطبقات الترابية كأنها مياه ثقيلة حتى اصطدم من الأعلى بطبقة صلبة مسطحة. لكنه وسط الظلام والتراب وجد مساحة صغيرة فارغة بين الطبقة الصلبة وبين الأتربة صنعتها خلخلة جسده لطبقات التربة. استنشق منها نفسًا عميقًا أدار رأسه للحظة. استنشق مرة أخرى ودق بيده اليمنى على الطبقة الصلبة. فسمع صوت تشقق بسيط.

***

نهضت (مروى) من نومها تشعر بألم في عنقها اعتادت علي منذ انتقلت هي ووالدها من أيام إلى إيران. لم تُحبَّ المنزل البسيط الذي أجره والدها ولم تتكيف على طقس البلاد منذ حضرت مرافقة والدها في تجارته.

-"أنت من أصررت على الذهاب معي. تذكري أنني حذرتك من قبل".

قالها والدها الشيخ (يونس الحرابي) وهو يقف أمام باب غرفتها مبتسمًا وهو يرتدي جلبابه وقفطانه ويتعمم بعمامته الكبيرة التي يحب التباهي بها بين تجار الفرس. كان الجميع يطلق عليه لقب الشيخ بسبب دراسته الأزهرية وعمله بتدريس العلوم الشرعية بأروقة الأزهر. لكنه اتجه للتجارة وعشقها. تاجر منذ شبابه بكل شيء بين المحافظات المصرية. العطور والسجاد والبخور والدقيق والأقمشة وكل ما استطاع أن ينقله بين وجه بحري وقبلي. اتسعت تجارته وثروته وخرج للشام وبغداد وبلاد الفرس. تزوج من الصعيد وأنجب ابنته الوحيدة. لكن زوجته ماتت بالملاريا قبل أن تتمَ ابنته الخامسة. لم يتزوج ثانية واكتفى بمروى التي كانت له الونيس والرفيق والأم والأخت.

لم تتركه في رحلات تجارته داخل مصر وخارجها. وكل مرة يُثنيها عن مرافقته تزداد عنادًا. حتى في رحلته هذه إلى بلاد الفرس كما يحب أن يطلق عليها أهل مصر. والتي يقوم بها كل ثلاثة أعوام. أصرت على مجاورته في تجارته. وتعللت بأنها لم ترافقه في رحلاته السابقة لتلك البلاد.

جاء واتفق على صنوف مختلفة من البضاعة تُحمل على أربعين جملًا. لم يبق له إلا أيام قليلة على العودة لمصر. وخاصة أن (مروى) تعودت على العيش في المنازل المريحة. لكنه لم يجد من يقبل أن يؤجّر له منزلًا لأيام إلا هذا.

-"انتظر لأرتدي ملابسي لأرافقك".

قالتها (مروى) وهي تنهض من الحشية المفروشة أرضًا بتثاقل.

-"لا يا حبيبتي. فأنا لن أذهب للعمل. سأذهب للمقابر. توفي والد (علي القزاز) صباحًا. سأذهب لمنزله الآن لنصلي الظهر على والده وندفنه وأعود إليكِ".

-"أليس هذا التاجر الذي قابلناه أول أمس".

اتجه (يونس) إلى باب المنزل وهو يقول:

-"نعم يا حبيبتي هو. هل تريدين شيئًا من الخارج؟"

-"شكرًا يا أبي".

غادر (يونس) المنزل وهو يتأكد من اعتدال هندامه وسار حتى وصل إلى منزل صديقه التاجر. فوجد تجمعًا لبعض التجار ورجال عائلته. كان يعرف بعضهم فسلّم على الجميع بحرارة وأخذ يستفسر منهم عن مكان (عليّ) الآن باللغة الفارسية التي كان يتقنها. خرج (عليّ) من المنزل وهو يخبر الجميع بأن الخشبة التي تحمل والده ستخرج الآن. عزاه البعض سريعًا وخرجت الخشبة تحمل الجثة يحملها بعض الرجال.

رافقها الجميع حتى المسجد القريب. صلّوا الظهر ثم صلّوا عليه وخرجوا إلى المقابر يرافقهم البعض من الأحياء والعطوف المجاورة. سواء من عرفوا المتوفى أو من جهلوه.

كان (يونس) يرافق (علي) ويشد أزره طوال الطريق. حتى إنه رافقه وهو ينزل الجثة للقبر.

وقف الجميع أمام القبر وهو يغلق وهم يهمهمون بالأدعية واللحاد يستعد لبناء ضريح صغير.

سمع الجميع صوت دقة يأتي من أحد أضرحة القبور المجاورة. نظروا لها مستفسرين. فجأة تشرخ الضريح من دقة أخرى كأنها تأتي من داخل القبر. تعالت أصوات الاستعاذة من الجميع.

انكسر الضريح من منتصفه بصوت فرقعة ضخم وصعد من القبر شاب يغطي الغبار والأتربة كل ما فيه كأنه بلا ملامح.

***

دق (مهران) بقوة أكثر على الطبقة الصلبة فسمع صوت تكسّر. استجمع عزيمته ودق بقوة أكثر فغزا الضوء عينيه وآلمها. عبأ رئتيه بالهواء وهو يغادر القبر وأقدامه تغوص بعض الشيء في الرمال. صعد ووقف على أرض صلبة يفرد جسده العاري والكفن يقع عن جسده السفلي. وأصوات مختلطة لرجال على مقربة منه تصرخ وتتحدث بسرعة.

في البداية لم ير جيدًا. بقع ضوء ورؤية مشوشة. ثم تحسنت الرؤية وهو يلتقط أنفاسًا سريعة.. تراخى جسده رغمًا عنه وسقط أرضًا لكنه استند على يديه وعاد للنهوض وهو يترنح.

عادت الرؤية بسرعة تدريجيًا ليرى رجالاً بعضهم يجري مبتعدًا والبعض يتراجع وهو يهمهم بكلمات دينية مختلطة. في البداية تخيل أن رؤيته

مازالت مشوشة، لأنه يرى لكل رجل خيالاً صغيراً شفافاً يحيط به يميل للون الأحمر

فتح عينيه وأغلقهما أكثر من مرة فوجد نفس الخيال يحيط بهم.

حرى الجميع وبقي أربعة رجال، أحدهم تقدم منه وهو يرفع يده أمامه ويطلب منه أن يهدأ. كانت ملابسه غريبة عن ملابس أهل بلاده، ولغته الفارسية غير متقنة، اقترب منه الرجل أكثر وخلع قفطانه وهو يردد بارتباك

-"اهدأ يا ولدي لا عليك.. اهدأ".

تركه (مهران) يقترب حتى أحاطه الرجل بقفطانه.

-"مياه"

قالها (مهران) بضعف فلم يسمعها الرجل. صرخ بها فهز الرجل رأسه متفهماً وطلب منه السير معه. سار (مهران) معه مستسلماً. تشجع بقية الرجال الواقفين وأحاطوا به وهم يغادرون المقابر.

ظهر الناس من العدم تجري ناحية المقابر ليشاهدوا (مهران) الممتلئ بالأتربة. لا يقتربون منه لكن عيونهم المتسعة وهمهماتهم العالية غير المفهومة. وهم يُزيحون له وللمحيطين به الطريق. صنعت مشهداً مهيناً يعجز خيالهم عن تصور حدوثه.

بعضهم جرى لداخل المقابر ليطالع القبر المكسور كما سمعوا من الرجال الهاربين منذ قليل. من دخلوا وسط المقابر عادوا لجمع الناس بعد أن ابتعد (مهران). وأخذوا يصيحون:

-"(ابن القصاب) حي. (ابن القصاب) حي".

***

تعاون الجميع على إدخال (مهران) لمنزل (يونس). وبعض الناس ممن لم تصل أخبار خروجه من القبر يلقون بالأسئلة عليهم معتقدين أنه مصاب أو مريض أو حتى مجذوب.

أدخلوه للمنزل و(يونس) يصيح بابنته بأن تحتشم لأن معه غرباء. ميّز (مهران) كلمة من لغته العربية من كثرة قراءته للقرآن فتأكد أنه غريب. أجلسوه على مقعد و(يونس) يدثره أكثر بقفطانه كي لا تظهر عورته عند جلوسه. كانت عين (مهران) نصف مفتوحة من الإرهاق وينظر إلى الأرض دائمًا. نادى على ابنته مرة ثانية بطلب الماء.

خرجت (مروى) من غرفتها ترتدي جلبابًا رماديًا وتلف طرحة من نفس اللون على رأسها غير مهندمة. كانت ذاهبة لتحضر المياه لكنها توقفت تنظر لمهران بدهشة. فصرخ بها أبوها لتحضر الماء.

جرت وأحضرت القلة وناولتها لأبيها الذي أخذها وطلب من (مهران) بلطف ألا يشرب كثيرًا. طاوعه هذا الأخير وأخذ رشفة لكن معدته لم تتحمل وحاول التقيؤ. لكن لم تخرج من بطنه لا الرشفة ولا شيئًا آخر.

ناوله رشفة أخرى فتقبلها.

-"هل عندنا ماء يكفي للتحمم؟"

قالها (يونس) لـ(مروى) فردت بسرعة:

-"عندنا الكثير. فقد جاء السقا منذ قليل".

-"حضري الماء للتحمم وأخرجي لي جلبابا نظيفا من صندوقي".

جرت (مروى) لتنفذ ما قاله بينما نظر (يونس) لـ(مهران) قائلا:

-"كل شيء على ما يرام يا بني. قل لي ما اسمك؟"

-"(مهران)".

قالها وهو يرفع عينيه له. لكن عينيه تعلقت بشيء خلف (يونس). شيء يشبه القرد يتحدث مع اثنين يماثلانه الهيئة. حرك عينيه فوجد الكثير منهم يتحركون في صحن المنزل ولا ينتبهون له.

***

لم يشأ (يونس) أن يزعج (مهران) بالأسئلة. ساعده على التحمم ليزيل الأتربة العالقة بجسده ووجهه. ثم ألبسه جلبابه وطلب من (مروى) أن تطبخ بعض الطعام. لكنه لم يخف دهشته من نظرات (مهران) الزائغة وحركة عينيه الغريبة كأنه يتابع شيئا ما ببصره بلا إرادته.

صرف الرجال الذين ساعدوه لإحضاره وحاول أن يشعره بالراحة كي يزول عنه وقع صدمة لا يعرف سببها. وإن كان قد كوّن فكرة عن أنه

ربما دُفن منذ يوم أو اثنين بالخطأ واستيقظ فجأة.. وبرغم أن تلك الفكرة ساذجة لأنها لا تُفسر له كيف يُدفن في التراب بلا هواء وكيف كسر الطبقة الأسمنتية من الداخل بيده.

أجلسه على مقعد وجلس بجانبه.

-"شكرًا".

ابتسم (يونس) له عندما نطقها وكاد أن يرد عليه لولا صوت الطرقات العالية على الباب. فتحه فصُدم من عدد الواقفين رجالًا ونساءًا يتقدمهم رجل عجوز ذو لحية كثيفة بيضاء. مهيب الهيئة يتكئ على عصا ويرتدي ملابس علماء الشيعة كما عرفها.

-"أنا الشيخ (جعفر). هل لي أن أقابل الشاب المقيم عندك؟"

-"أهلا بك. تفضل. لكن هل لي أن أستأذنك أن تدخل ومعك نفران فقط؟"

-"كما تريد يا بني".

قالها الشيخ ونظر خلفه يطلب من رجلين فقط الدخول معه. نهض (مهران) بعدما رأى شيخه الذي رباه وهو يدخل. جرى عليه الشيخ بشكل لا يتناسب مع سنه. احتضنه بقوة وهو يربّت على ظهره.

من خلف الشيخ تصاعدت تكبيرات الرجلين والشيخ يقود (مهران) للمقعد ليجلس. لم يشعر هذا الأخير بمثل هذه الراحة منذ خرج من القبر إلا عند رؤية شيخه الذي رباه روحيًا.

هذه الراحة انتقلت لـ(يونس) عندما وجد استجابة (مهران) لشخص لأول مرة. قال في نفسه إن الموضوع أصبح بسيطًا. سيرحل مع أهله سواء كان هذا الشيخ أو من سيأتي لاحقًا.

-"ما الذي حدث لك يا بني؟"

قالها الشيخ بتأثر وهو ينظر لوجه (مهران). فرد هذا الأخير:

-"لقد أصابني (بيرقدار) بالبارود يا شيخي".

نظر الشيخ خلفه للرجلين ثم نظر لـ(مهران) بأسى وقال:

-"نعرف يا بني. أهل البلد علموا ما حدث".

"الحمد لله".

قالها (مهران) وهو يريح رأسه للوراء. ثم انتبه ثانية وقال:

-"أين خالتي؟"

في تلك اللحظة خرجت (مروى) من غرفة النوم وتوقفت تنظر لـ(مهران) الجالس.

-"ماتت!"

قالها أحد الرجلين الواقفين فلم يبد على (مهران) أي تعبير سوى أنه نظر أمامه لتصطدم عيناه بعيني (مروى)

-"عظّم الله أجرك".

قالها (يونس) بتلقائية بالعربية. لكنه تذكّر معادل العبارة في الفارسية وقالها.

-"كيف ماتت؟"

قالها (مهران) بصوت متهدج وعيناه مثبتة على (مروى). فقال الشيخ:

-"ماتت حزنًا عليك يا بني. لكن ليست تلك المشكلة الآن".

-"أين (بيرقدار) الآن يا شيخي؟"

-"قتل هو وأباه وأمه... قتلهم أبوك (القصاب)".

لم يرد (مهران) بينما أكمل الشيخ قائلًا:

-"رحمهم الله جميعًا. كلهم صعدوا لخالقهم. لكن المشكلة أن كل هذا حدث منذ تسع سنوات. أنت في القبر يا بني منذ تسع سنوات!"

***

أنهى (حازم) المكالمة وهو ينظر لـ(عماد) الجالس على الأريكة في صالة شقته:

-"دكتورة (رقية) أخبرتني الآن أنها استطاعت إخراج (إسلام) وأقنعت أهله باحتياجه لعلاج طبيعي وبعض الوقت ليتذكر كل شيء. ومن الغد ستحضره لنا ليمكننا أن نعرف أكثر عما يحدث له".

-"لا أرتاح لإدخال تلك الفتاة لدائرة المعلومات. هناك خطورة على حياتها الآن".

-"أوافقك لكن ما باليد حيلة. أخبرها (إسلام) وهي أفادتنا بشكل جيد حتى الآن. وتقبلت كل ما عرفته بطريقة أدهشتني بالنسبة لطبيبة تأخذ كل مسلم به عن طريق العلم الحديث".

قالها وهو يجلس بجانب (عماد) ويتحسس بعض الضمادات في وجهه كأنه يعبث بها. بينما قال (عماد) مبتسمًا بسخرية:

-"لا تندهش من تقبلها. معظم الناس يختبئ داخلهم خوف أقوى من عالمنا. عالم الجن. الأرواح. الأشباح. المهم أن يشعر الإنسان بأن هناك عالمًا آخر. لأن وجود مثل هذا العالم يعطيه شعورًا بالإيمان بالله، يعطيه أملًا فيما بعد الموت. حتى من ينكرون وجود الله يحتاجون لعالم آخر كعالم الكائنات الفضائية. لأن بذرة الإيمان بالعوالم الأقوى وجدت منذ طفولتنا".

-"والله زمان.. اشتقت لدروسك في الفلسفة التي كنت تلقيها عليّ أيام الجامعة. هل تتذكر تلك الأيام؟"

ابتسم (عماد) وهو يُرجع رأسه للخلف ويُغمض عينيه:

-"كنا نتخيل أننا نبحث عن أقوى أسرار الكون. لم أكن سأصدق لو قلت لي إننا سنشترك في الإعداد لحرب بين قبائل الجان".

-"سألني (حامد) هل إن بدأت الحرب سيتضرر البشر؟ لم أجد إجابة حقيقية أجيبه بها".

-" أعتقد أننا سنعاني بشكل أو بآخر. هل نسيت أن البشر يستطيعون التحكم في الجان بالطلاسم والأقسام والتعاويذ. سيطلب طرفا الحرب المساعدة في إبادة الآخر. وربما تطور الأمر أكثر مما نتخيل".

-"أكثر مما تتخيل يا (عماد)".

جاء الصوت من اللامكان فنظر (حازم) و(عماد) لموضع في صالة الشقة. ثوانٍ وتشكلت في هذا المكان صورة (يصفيدش) البشرية.

-"تأخرت عن موعدك".

دخل (يصفيدش) ليجلس على مقعد يقابلهما وقال:

-"استقرت الأمور نسبيًا ويمكننا أن نضع خطة لخطواتنا القادمة".

-"أتسمّي ما حدث لـ(يوسف) و(حبيبة) و(إسلام) استقرارًا؟!"

قالها (حازم) بعصبية فرد عليه (يصفيدش) ببرود:

-"الحرب قادمة لا محالة. هذا الاستقرار هو الهدوء الذي يسبق العاصفة كما تقولون. ويجب أن نستغل هذا الوقت في التحضير لوقت اللقاء".

-" لا حرب قبل أن تُفتح البوابات. هذا هو ما يجب التركيز عليه".

قالها (عماد). ثم استدرك قائلًا:

-"أبلغت أنك تريد مقابلتنا لأمور هامة. هل هناك جديد بخصوص (يوسف) و(حبيبة)؟"

-"(حبيبة) مازالت مختفية عن أعيننا وإن كنا نشك في فرضية أنها لم تغادر عالمكم بعد".

-"ماذا!!!"

-"مجرد فرضية أرجو صحتها".

-"و(يوسف)؟"

-"مازال جسده في عالمنا. نحاول أن نجد طريقة لإعادة قرينه مرة ثانية إن أردناه أن يعود لكم".

-"هل فشل علماؤكم في ذلك؟"

قالها (حازم) فابتسم (يصفيدش) له وهو يقول:

-"جيد أنك تعرف علماءنا. وإن كان من الواجب على (قاصيم) أن يخبرك بأن الفيزياء التي تحكمنا تختلف قوانينها عن فيزياء عالمكم".

-"أعرف.. وأعرف أيضًا بأن الكثير من علمانكم قاموا على مدار آلاف السنوات بأبحاث عن أجسادنا".

-"كل هذا لا يهم. فدخول البشر لعالم الجان لم يحدث كثيرًا وإن كنت أمل بأن أجد حلًا".

-"أخبرنا بما تريد.. وعلى كلٍ كنت سأطلب مقابلتك لأمر ما حدث بداخل الغرفة النحاسية سأخبرك به لاحقًا".

قالها (عماد) فهز (يصفيدش) رأسه بالموافقة. ثم قال:

-"تعلمت قبائلنا منذ زمن الكثير من الحيل أو العلوم بمفهومكم جعلتنا نطور من استخدام قوانينا الفيزيائية. والنتيجة أن الكثير من القبائل حصلت على طريقة لتحويل الجني لبشر".

تأهب (حازم) في جلسته بينما ضيّق (عماد) عينيه و(يصفيدش) يكمل:

-"حولنا الجني لبشري لكنه ناقص. لا يُنجب ولا يحمل قرينًا. وفي بداية تحوله يصبح عرضة لأمراضكم. فيحاول جسده تكوين مناعة عند إصابته بالأمراض. وربما مات في أول أيامه بينكم. طوّرنا مع الوقت أساليبنا واعتمدنا على تطوركم في مواجهة الأمراض وحللنا مشكلة مناعة جسده.. لكننا لم نحل مشكلة عمره القصير الذي لا يتناسب مع أعمارنا. فهو يموت مثلكم بسرعة ومع اختلاف نسبة أعمارنا لأعمارك فهو يموت بعد 6 أو 7 سنوات على الأكثر من أعمارنا. لكنه مفيد جدًا. فهو الذي يستطيع جمع المعلومات عن كل ما نريد معرفته وقراءة التعاويذ للسيطرة على أعدائنا بسبب كونه بشرًا".

-"وكيف لا نلاحظهم؟"

قالها (عماد) فردّ (يصفيدش):

-"مستحيل تفرقتهم عنكم. يندمجون بينكم ولا يلاحظهم إلا البشر ذوو الخدمة. مثلك يا (حازم)".

نظر لـ(حازم) وأكمل:

-"لذلك فهم يبتعدون عمن هم مثلك على قدر المستطاع، حتى وإن اقتربت منهم فلن تلاحظهم إلا إن طلبت من خدمتك من الجان التواصل مع قرينه فستفشل خدمتك ولن نعرف السبب".

-"استراتيجية أبهرتني بحق".

قالها (عماد) وهو يرفع حاجبيه إعجابًا بما سمعه.

-"أمرت بتنشيط كل جواسيسنا في مصر لأضرب عصفورين بحجر واحد.. أولًا (المخلي) يخاف منهم لقدرتهم على محاربة رجاله وتعطيلهم. لذلك سيحاول اصطيادهم بنفسه ولن يقتلهم لأنه يأمل أن يكونوا قد توصلوا لما نبحث عنه منذ زمن".

-"وما هذا الشيء الهام؟"

-"العفاريت".

-"لِمَ تبحثون عنهم وهم يعيشون بينكم؟ أليس العفريت درجة في عالمكم؟"

-"العفريت لقب يُطلق مجازًا على بعضنا. أما العفاريت الحقيقية فقد اختفوا بعد موت (سليمان) الحكيم، وأخذوا معهم أسرارهم رافضين الاختلاط بنا".

-"وما السبب؟"

قالها (حازم) بشغف.

-"لا نعلم. يقول البعض إنهم الوحيدون الذين التزموا بالعهد الذي أخذناه على باب الهيكل وقرروا عدم التدخل بعلومهم الخاصة في حياة البشر والجان. والبعض يقول إن سيدهم (لاقيس الإبليسي) أخذ كل ما دونه (آصف بن برخيا) مساعد (سليمان) الحكيم قبل رحيله. منتظرًا عودته ليسلمه ما كان له".

هنا اعتدل (عماد) وقال متسائلا:

-"أليس (آصف بن برخيا) هو المذكور في الآية القرآنية بلفظة (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)؟"

-"هو نفسه.. أما (لاقيس) فذكر في الآية التي تسبقها".

-"(قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين)".

قال (حازم) الآية بدهشة تختلط بالانبهار. ثم تبعها قائلًا:

-"اعتقدت أن الآية تتحدث عن عفريت نكرة. لم أتوقع أنكم تعرفونه".

-"نعرفه ونعرف أن قبيلته تتكون من 250 عفريتًا. أطول منا عمرًا وأكثر منا قوة. عفريت واحد يساوي قوة قبائل كاملة متحدة. عاملهم (سليمان) الحكيم معاملة خاصة فأخلصوا له الولاء. ول(آصف) من بعده. لأنه علم (لاقيس) الكثير".

-"هل الأسطورة التي تقول بأن الجن هم من أخذوا كتب (سليمان) عليه السلام بعد موته من تحت عرشه حقيقية؟"

قالها (عماد) فرد (يصفيدش):

-"(أصف) هو من سلّمها لـ(لاقيس) ليحفظها من أيدينا نحن. ما كان بالكتب أضعاف ما علمنا منه. وهو ينتظر عودته بأي طريقة".

-"كيف سيعود؟ هل (لاقيس) هذا بلا عقل؟"

قالها (حازم) وهو يلوّح بيده، فرد عليه (عماد) مبتسمًا:

-"(أصف بن برخيا) شخصية محيرة. وُجدت في كل الثقافات التي احتوت حكاية (سليمان) عليه السلام. وُجد بأكثر من اسم وأكثر من هيئة. أعتقد أن (يصفيدش) يقصد الاسطورة التي تتعلق بأن (أصف) ليس من البشر. أليس كذلك؟"

قالها ونظر لـ(يصفيدش) ليجده يبتسم. ففتح (حازم) فاه من الدهشة. وقبل أن يتكلم قال (عماد):

-"الأسطورة تقول بأن (أصف) هو نصف بشر نصف جان. لا يُعرف له أصل. وعلم الكتاب هو الحكمة التي تلقاها من مصدر أعلى.. الله".

-"أصبت فيما قلت. ونحن كل هذا نبحث عما يدلنا على طريق العفاريت".

قال (عماد) وهو ينظر للأرض مبتسمًا:

-"لم تكن المعاجم تُبالغ إذن حين وصفت لفظة (عفر) بمعنى أثار التراب من سرعة حركته. ومنها جاءت لفظة عفريت".

-"استطاعت اللغة العربية تقريب المعنى. لكن قوة العفريت لا تضاهى وقدرته تخيفنا. برغم هذا أصبح شيئًا روتينيًا على كل قبيلة أن تبحث عن مكان تواجدهم لتُحاول التواصل معهم والأخذ من علمهم".

-"وأنت تعتقد أنهم سيفيدونكم في حربكم مع (المخلبي). أليس كذلك؟"

-"هي ورقة لا نعتمد على اللعب بها، لكنني مؤمن بالبحث عنها. مثلما يؤمن أخي بذلك. كل منا يعتمد على ظهورهم لحسم الصراع لصالحه. وأرجو أن تساعدوني في التوصّل إليهم".

-"ماذا؟"

قالها (حازم) عاقدًا حاجبيه. فردّ (يصفيدش) بسرعة:

-"واحد من جواسيسنا ذكر لنا شيئًا غريبًا عن كلمات أخذها من ساحر. هذه الكلمات قيل إنها تختص بالعفاريت".

-"كلمات تحضير؟"

قالها (عماد) فنهض (يصفيدش) واتجه لركن الصالة حيث منضدة الكمبيوتر وعليها أوراق مهملة تكوّنت عليها بعض الأتربة وبجانبها قلم. أخذه وسحب ورقة فارغة ورسم عليها بعض الرموز.

عاد لهما وهو يسلم (عماد) الورقة التي تأملها (وحازم) يشاركه النظر فيها بتمعن.

-"لغة غريبة.. تخيلتها المسمارية للحظة لكنها بالتأكيد تبتعد عن أي لغة عرفتها".

قالها (عماد) وحدقتا عينيه تتسع لا إراديًا محاولها تذكُر أي رمز من رموزها قد مر عليه.

-"ورجالنا الذين تخصصوا في اللغات القديمة لم يعرفوها أيضًا. برغم أنهم يعلمون الكثير من اللغات التي سبقت حكم (سليمان) الحكيم".

هنا قال (حازم):

-"وما أدراكم أنها لغة؟ لِمَ لا تكون طلسمًا ما لاستدعائهم مثلًا".

-"لو كانت طلسمًا لعرفنا. الطلاسم تكوّن هالة من الطاقة حولها نراها بسهولة عند كتابتها. وهذه الكلمات لا تمتلك هالة الطلاسم".

-"تريد مني إذن البحث وراءها؟"

قالها (عماد) وهو بعدُ لم يرفع عينه عن الورقة.

-"نعم.. والبحث أيضًا عن (ابن الجنّ)".

نظر الاثنان له في آنٍ واحد. فأكمل (يصفيدش):

-"قال لنا جاسوسنا إن هناك من سُمي بابن الجنّ. وأنه هو من عرف سر استخدامها".

-"ربما قصد (آصف بن برخيا) نفسه. بناء على الأسطورة التي قالها (عماد)".

قال (حازم) تلك العبارة وهو يوزّع نظراته بين (حازم) و(يصفيدش). فردّ هذا الأخير:

-"ربما.. وربما ظهر (آصف) مرة أخرى".

-"على كلٍ اترك لي هذا الموضوع. سأحاول. ولكن أعتقد في قرارة نفسي بأن هذا الطريق مسدود".

-"والآن قبل أن أرحل.. ما الذي أردت إخباري به؟"

-"(حامد) اكتشف في الغرفة النحاسية طريقة موت غريبة لرجل (المغلي) المسمى (سنان). قال بأنه لم يُقتل بطريقة البشر ولا بطريقة الجن. ولا بطريقة عادية".

انتفض (يصفيدش) في مقعده وهو يقول:

-"هل عرف من قتله؟"

-"لا.. يبدو أنك تعرف بمقتل (سنان)".

"الجميع يعرف باختفائه الغريب.. (سنان) جنّي لا يتم تحضيره وقتله من البشر لأنه أقوى من ذلك بكثير. وإن قتله أحد من عشائرنا فيجب أن يكون بمثل قوته. وسيستمر الصراع طويلًا بينهما فيعرف الجميع من فعل ذلك. لكن (سنان) اختفى من كلا العالمين فجأة بلا أثر.. لو قُتل في عالمنا لعرفنا. ولو قُتل في عالمكم سيترك بصمه طاقة نعرف موضع موته بها. لكن الاختفاء التام أقلق (المخلبي) وأقلقني أيضًا. وضعت افتراضًا أنه هرب لكنك أخفتني أكثر.. بإقرارك بموته. هذا يعني أن قوة غريبة تختلف عن قوة البشر والجان استطاعت ذلك".

-"ربما تلك القوة تعمل لصالحكم".

-"وما أدراك أن تلك القوة لن تتخلص من الجميع؟"

***

برغم أنه دخل كثيرًا لأروقة قسم الميكانيكا بكلية الهندسة ويعرفه الجميع منذ زمن. لكن تلك البذلة والكرافت والحقيبة التي يحملها جعلت الكثير يخطئ في التعرف على (طه). برغم أن لحيته كما هي وشعره الكثيف الذي فشل في تصفيف بعض خصلاته التي طارت بفعل الهواء تتبعثر في هيئة لا تليق بملبسه.

استنشق بضعة أنفاس من سيجارته قبل أن يرميها على الأرض بلا مبالاة وهو يتجه لأحد الممرات ويقترب من (عمرو) المعيد بالقسم. والذي

كان يتحدث مع مجموعة طلبة بعد انتهاء محاضرة.. وضع يده على كتف (عمرو) فنظر له مندهشا في البداية. ثم صافحه بحرارة واستأذن من طلبته وهو يسير بجانبه. حتى وصلا لغرفة تمتلئ بالمكاتب يستخدمها المعيدون وبعض الأساتذة بشكل غير منتظم. كانت خالية في هذا الوقت فجلسا بجانب أحد المكاتب.

-"ما الذي ترتديه؟ هل هناك مناسبة اليوم؟"

-"أحاول أن أظهر بمظهر صاحب المصنع أمام المؤجر اليوم. قل لي متى ستقابله؟"

-"بعد نصف ساعة من الآن. لكن لن أذهب معك قبل أن تشرح لي الموقف. قلت لي أمس في الهاتف إنك تريد تأجير مكان يصلح لمصنع صغير بالقرب من شبرا وتريده اليوم بشكل ضروري. وأحضرته لك وتريد تأجيره الليلة ودفع مستحقاته لشهور مستقبلًا.. ما الذي تريده من وراء هذا الطلب المفاجئ؟"

وضع (طه) حقيبته الجلدية على المكتب وفتح قفلها لتظهر آلاف الجنيهات رُصّت بجانب بعضها البعض. أخذ خمسة عشر ألف جنية من الحقيبة وسلمها لـ(عمرو) الذي أخذها بلا فهم. بينما أخرج (طه) من جيب آخر بالحقيبة ملفًا ورقيًا وفتحه بعد أن أغلق الحقيبة.

-"أريدك أن تصنع لي هذا الموتور وأن تنتهي منه غدا على الأكثر".

-"ماذا؟!!"

قالها (عمرو) بصوت عالٍ لم يتحكم فيه و(طه) يفتح الملف ويخرج بضعة أوراق تمتلئ برسومات هندسية. عرضها على (عمرو) الذي أخذها يتأملها.

-"اسمع يا (عمرو). أنا أعرفك منذ سنوات طويلة. وأعرف خبرتك فيما أطلبه. لكن صدقني ستعرف كل شيء لكن السرعة هي ما أطلبه".

أخذ (عمرو) يتأمل الرسوم قليلاً. ثم قال وهو لم يرفع عينيه عنها:

-"ما تطلبه بخصوص الموتور يمكن أن أحضره لك بعد غد. لأن تصميم الموتور لا يختلف كثيرًا عن مواتير مستعملة تباع في كل مكان. لكن سأضيف إليها بعض القطع.. وسعره لن يصل لثلاثة آلاف بكل ما سأضيفه".

-"أعرف أن سعره لن يتجاوز هذا الرقم لكن ما معك خمسة عشر ألف جنية. خذ منهم عشرة آلاف للموتور كحقك. والبقية لصناعة تلك التروس الخاصة".

قالها (طه) وأشار بإصبعه لورقة تحتوي على تفاصيل لتروس مختلفة الأحجام بمقاسات كُتبت على حواف الرسوم.

-"أحتاج لتنفيذ تلك التروس بدقة في ورشة خراطة تحت يد خراط محترف".

ثم أشار لورقة أخرى وهو يقول:

-"وبناء هذا الحامل بتلك المقاسات ليناسب وضع الموتور بداخله".

-"أولا تكلفة الموتور والتروس والقاعدة لن يكملوا عشرة آلاف جنيه. ثانيًا أنا لن أخذ مليمًا لنفسي. ثالثًا يجب أن تشرح لي ما يحدث".

أخرج (طه) سيجارة لنفسه وأعطى أخرى لـ(عمرو) وهو يقول:

-"فوق ما أعطيتك سأعطيك عشرة آلاف أخرى. وكل هذا لننتهي على الغد كل شيء. وعند بناء الجهاز الذي صممته ستعرف ما فائدته. وفوق كل هذا مشاركتك في تشغيله تهمني.. وإن لم تأخذ كل المال سأذهب لشخص أخر ليساعدني".

-"قلت لك لن أخذ نقودًا".

-"وأنا ذاهب".

نهض (طه) من مقعده فأجلسه (عمرو) وهو يقول:

-"اهدأ.. ننتهي مما نريد أولًا ثم نتناقش حول النقود".

أشعل (طه) سيجارته وقرّب الولاعة من سيجارة (عمرو) وهو يقول:

-"وحتى تفهم خطورة ما يحدث.. أخبرك أن كل هذا له علاقة بالجان".

سعل (عمرو) وهو يسحب النفس من السيجارة. بينما (طه) يكمل قائلًا:

-"والآن هيا بنا لنلحق موعدنا مع صاحب المصنع".

***

-"زاد وزنك في آخر سنوات يا (حازم)".

قالها (عماد) وهو يرتدي ملابس نوم أخذها من دولاب (حازم). ثوانٍ ودخل (حازم) غرفة النوم وهو يجفف يده بمنشفة الحمام ويقول:

-"لو ملابسي واسعة عليك فهذا لأنك لا تتغذى جيدًا!"

-"تقصد لأنك تأكل بفجع.. كيف وافقتك أن نتعشى كوارع وفتة ولحم رأس منذ قليل!"

جلس (حازم) على طرف الفراش وهو يلقي بالمنشفة على أحد المقاعد قائلًا:

-"لا تنكر أن الكوارع لذيذة".

خلع (عماد) نعليه وأراح ظهره على الفراش العريض وهو يقول:

-"لا أعرف كيف وافقتك على المبيت في شقتك ولا أعلم كيف سأنام بعد هذا الطعام".

-"شقتك أو شقتي لن تفرق كثيرًا يا صديقي. ليس هناك من ينتظرك لتقضي الليل معه وأنا مثلك.. أعتقد أنني بدأت أفكر جديًا في الزواج وتكوين أسرة".

-"وهل نسيت عداء قبائل الجان لك؟"

أراح (حازم) جسده على طرف الفراش الآخر ووجهه ينقلب إلى الضيق وهو يقول:

-"لم ذكرتني بهذا؟"

-"لم ينس أحدنا مشكلته مع الجان. لكننا نحلم. أنا أيضًا أقبض على عقلي متلبسًا في بعض الأحيان وهو يفكر بتكوين أسرة".

-"أتريد الحقيقة.. أنا لا أضبط عقلي في بعض الأحيان متلبسًا بالتفكير في تكوين الأسرة.. بل هو دائمًا ما يفكر في ذلك. خيالات كل ليلة عند نومي أعيش فيها تصبّرني على حياتي التي أشعر أنني اخترتها بالخطأ".

-"هل تعرف ما أتمناه فعلًا؟"

-"؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟"

-"أن أترك كل هذا العالم الذي عشقته من قبل.. لم يعد فضولي كما سبق. حتى الكلمات التي أعطاها لي (يصفيدش) اليوم لم تعد تثير غريزة البحث كما كانت يمكن أن تفعل في السابق.. وحتى (أصف بن برخيا) الذي بحث وراءه لشهور في مكتبات الـ..."

نهض فجأة من الفراش وهو يقول متذكرًا:

-"(آصف بن برخيا).. دكتور (محمود الطناني)".

-"ماذا؟"

قالها (حازم) وهو ينهض متثاقلًا. فرد (عماد) بصوت يمتلئ بالإثارة:

-"دكتور (محمود) هو أستاذ تاريخ إسلامي في جامعة القاهرة، كنت أزوره دائمًا أثناء دراستي وهو من نصحني بكثير من الكتب حول (آصف بن برخيا)".

-"تقصد أنه سيعرف عن الكلمات؟"

-"لا أعرف.. لكنه خيط سأمسكه من الغد".

تثاءب (حازم) وهو يفرك عينيه بيده ويقول:

-"اتصل به واسأله عن..."

قاطعه (عماد) وهو يريح رأسه على الوسادة بخيبة أمل:

-"لا.. سأضطر للذهاب له، فلا أمتلك رقم هاتفه ولم أهتم قديمًا. أرجو أن يكون في الكلية في الغد".

-"وأنا أيضًا".

قالها (حازم) وهو يعطي ظهره لعماد ويغمض عينيه استعدادًا للنوم.

•••

-"سأتأخر عن المنزل الليلة يا ماما".

قالها (حامد) وهو يمسك هاتفه المحمول يتحدث مع والدته خارج الغرفة النحاسية.

-"هل نام الحاج؟ الحمد لله.. أنا في منزل (طلبة) صديقي في الكلية يراجع لي بعض المحاضرات التي فاتتني.. لا تخافي علي.. حاضر سأتعشى.. ماذا؟ حاضر سأحضر معي بثلاثة جنيهات (فينو) وجبنة رومي.. وماذا؟ لانشون بالزيتون.. حاضر. محمد رسول الله يا ماما".

أنهى المكالمة ودخل للغرفة وهو يغلق هاتفه ويقول:

-"(رحيم). ساعد قهوة على السبرتاية.. قهوتك سادة أليس كذلك؟"

لم يجد اجابة. فنظر حوله وهو ينادي على (رحيم) بلا إجابة. أخذ الكشكول الذي يكتب فيه كل ما يشاهده في الغرفة ولا يعرف تفسيره كي يناقشه مع (رحيم).

سمع الصوت المميز لطلب دخول (رحيم) من منفذ الغرفة. صوت يقترب من شهيق عالٍ. وقف خلف المنضدة وهو يقول:

-"افتح يا سمسم".

ضحك لنفسه فسمع صوت الشهيق يعلو أكثر من ذي قبل. فقال بجدّية:

-"تفتح الغرفة بحق دعوتي ويدخل الجساس نفاذًا لكلمتي".

ظهر (رحيم) في الدائرة ففتح (حامد) ذراعيه على الساعهما وهو يقول مبتسما:

-"حبيب قلبي.. وحشتني".

-"توقف عن المزاح.. غبت عنك دقائق بوقتك أنت".

-"لماذا يطالبني الجميع بالتوقف عن المزاح!!"

-"عرفت أشياء عن موت (سنان)".

قطب (حامد) جبينه وهو يقول:

-"ألهذا اختفيت من الغرفة فجأة؟"

-"نعم.. أردت تجربة شيء فكرت فيه منذ وقت قريب. كل الرموز في الغرفة تخرج منها إشعاعات طاقة تقودني إلى الأماكن أو الأشخاص التي تمثلها الرموز. عند موت (سنان) انقطع إشعاع الطاقة الخاص به. ففكرت في احتمال. ماذا لو قمت بشحن الرمز المدمر الخاص بـ(سنان) بجزء من طاقتي؟"

-"لم أفهم لكن كلامك يبدو جيدًا".

-"عندما شحنته عاد الشعاع للخروج مرة ثانية لآخر مكان تواجد به (سنان)".

رفع (حامد) حاجبيه متأهبًا فأكمل (رحيم):

-"كنت أريد معرفة منطقة موت (سنان).. في عالم البشر أم عالمنا؟"

-"قل بسرعة".

-"عالم البشر.. لكن الشعاع قادني لمنطقة أكثر تحديدًا.. منطقة (شبرا) التي تسكن بالقرب منها".

-"شبرا!! لا تقل لي إن بلطجية ثبتوه وأخذوا أمواله!"

-"انقطع الشعاع عند منطقة عمارات ولم أعرف أكثر من هذا".

-"حلاوتك!"

***

الفصل السادس

آصف بن برخيا

لم يبعد (مهران) عينيه عن عين (مروى) التي لم تفهم شيئًا من لغة الحوار. لكن شهقة والدها والرعب الذي ارتسم على وجهه عندما حانت منها نظره إليه جعلها تتأكد أن الأمر يحمل مصيبة تتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي مازال ينظر إليها.

أما (مهران) نفسه فلم يظهر على وجهه أي تعبير. لكنه قال لشيخه بهدوء لا يتناسب مع موقفه:

-"احكِ لي ما حدث بعد موتي".

نظر الشيخ للأرض بحسرة ثم قال:

-"بعد دفنك بيوم واحد ماتت خالتك حزنًا عليك.. أما (بيرقدار) فقد رآه الكثيرون يجري ليلة مقتلك فعلم الجميع أن له يدًا. لكن نفوذ والده منع الجميع من الشكوى.. حتى ظهر بعدها بأيام شيخ عجوز يتكئ على عصا. لم تنقطع دموعه منذ شاهده الجميع ليلًا يسير بين الحارات. وكل من يسأله كان يخبره بأنه (القصاب) والدك.. سار حتى وصل إلى منزل (بيرقدار).."

هنا نظر (مهران) للشيخ فابتلع هذا الأخير ريقه وأخذ نفسًا طويلًا وقال:

-"صرخ أمام البيت يطلب العدل من والد (بيرقدار) لساعة. العشرات تجمعوا حوله كي يثنوه عما يفعل. لكنه ظل يصرخ بجملة واحدة (العدل يا أبا القاتل كي تأتيك الرحمة).. فلم يجبه أحد. بعدها صرخ قائلًا (رحمة الله تتنزل عليكم). ثم وضع يده على حائط البيت فانفجر البيت وتهدم في ثوانٍ".

كبر الرجلان المصاحبان للشيخ. فعاود (مهران) النظر لـ(مروى) وهو ينتظر بقية الحديث.

-"جرى الناس فزعين. وأبوك يبتعد عن البيت والدموع تنهمر من عينيه.. تجمع الناس حوله. وحاولت مع بعض الناس التحدث إليه لكنه كان صامتًا تمامًا. سرنا وراءه حتى وصل إلى بيته ودخله. تبعناه فلم نجد له أثرًا. فقط ملابسه المغطاة بتراب بيت (بيرقدار) ملقاة على الأرض. أما هو فاختفى كأنما لم يكن.. أصر الناس على بناء مقام على بيته باعتباره من أولياء الله. وبرغم أنني لم أوافق على ذلك لكن الجميع يزورنه إلى الآن".

تعالت أصوات من الخارج تنادي باسم (إسماعيل). فنظر (مهران) لباب المنزل بينما تابع الشيخ:

-"الناس في كل مكان يرون ما حدث معجزة. بعضهم يقول بأنك الإمام (إسماعيل) وعدت لهم في آخر الزمان كي..."

قاطعه (مهران) بغضب وهو ينهض قائلًا:

-"لا!"

ذهب للباب وفتحه فرأى مئات الناس تقف على مرمى البصر تملأ الشارع ذهابًا وإيابًا. كبروا وهللوا عندما شاهدوه.. بينما صرخ هو فيهم:

-"أنا لست الإمام العائد أيها الناس"

جرى البعض عليه يحاول تقبيل يديه وقدميه فأفلت منهم وهو يهتف:

-"أنا (مهران).. (مهران بن القصاب) يا ناس.. لست وليا ولا إماما ولا نبيا.. اتركوني لحالي!"

خفتت أصوات بعضهم وهم يتهامسون. ثم قال أحدهم فجأة بصوت عالٍ:

-"إن لم تكن الإمام فأنت ابن (القصاب) الولي المبارك من الله".

ظهر صوت رجل آخر من مكان يقول:

-"أنت حي بعد تسع سنوات يا ابن سيدنا (القصاب).. أنت الحي!"

رفعه اثنان منهم على الأكتاف فتلقفه الناس وأحدهم يصرخ :

-"الحي بن القصاب.. الحي بن القصاب".

فردد الناس كلهم نفس الاسم وهم يتلقفونه ويسيرون به بين الحارات.

***

لم يذهب (عماد) إلى عالم النوم بسهولة لأنه لم يتعود المبيت بعيدًا عن شقته كثيرًا. لكنه بمجرد أن نام وجد نفسه في حلم. لم يقابله حلم نقي كهذا الحلم. يعرف أنه يحلم ويشعر بكل شيء في نفس الوقت.

بهو قصر غريب لا تظهر تفاصيله كاملة. لكن عند ركن من البهو وجد بابًا يفتح من تلقاء نفسه. وظهر خلفه رجل يرتدي ملابس عجيبة باللون الأسود وعلى رأسه عمامة ضخمة وله لحية وشارب منمقين. كان ينظر يمينًا ويسارًا كأنه ينتظر شيئًا ما.

نظر (عماد) يساره فوجد (حازم) بجواره يرمقه.. دوى انفجار فجأة اهتز له المكان. فصرخ الرجل ذو اللحية بلغة غريبة وجد (عماد) نفسه يفهمها:

-" احضر يا (لاقيس)!"

ظهرت زوبعة أمام الرجل وتطايرت أتربة أتت من العدم في وجه (عماد) الذي فرك عينيه مندهشًا مما يحدث. توقفت الزوبعة عن الدوران وظهر مكانها شيء أسود بالكامل. ارتفاعه لا يقل عن أربعة أمتار ويعطي لـ(عماد) ظهره. بينما الرجل ذو اللحية يقول:

-"انشق الجان عنا".

دوى انفجار آخر أعنف مما سبق. فصرخ الرجل:

-"إنهم يدمرون كل ما بنيناه ويسرقون الصحف والورق الذي دونته".

تكلم الكائن الأسود بصوت مخيف مرتفع جعل (عماد) يتراجع خطوة للوراء. والكائن يقول:

-"لا تخف. سأنقذ البقية وأطردهم من مدائننا".

-"يجب أن أذهب الآن".

قالها ذو اللحية وهو يسير مبتعدًا. فتساءل الكائن:

-"وكيف سأوصل الصحف إليك؟"

نظر ذو اللحية والكائن فجأة لـ(عماد). فوقعت عين هذا الأخير على وجه الكائن.. لم يتحمل مظهر وجهه ووقع على ظهره وهو يشهق مرعوبا.

***

نهض (عماد) مفزوعًا من نومه وهو يشهق برعب. نظر بجانبه ليجد (حازم) جالسًا نصف جلسة على الفراش وهو يرمقه وحبات عرق تسيل من جبهته. وسمعه يقول له بخوف:

-"لا تقل لي إنك كنت معي في الحلم وشاهدت العفريت!"

-"!!"

***

-"جميل.. كم بقي على صناعة القاعدة التي اتفقنا عليها؟"

قالها (طه) وهو جالس على القهوة يدخن الشيشة ويحدّث صديقه (عمرو).

-"غدًا.. جيد جدًا. هل يمكن أن تنقل التروس والمونور الآن للمصنع؟"

جاءه شاب بسيط الثياب صافحه بحرارة. فدعاه (طه) للجلوس بجانبه بابتسامة وإشارة من يده. وأكمل مكالمته قائلًا:

-"أعرف أن الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل لكنني أريد الاطمئنان على كل شيء. وغدًا منذ الصباح الباكر سأكون في المصنع أنتظر القاعدة الجديدة. معذرة على تعبك معي لكن ستفهم كل شيء في الغد".

أنهى المكالمة ونظر للشاب مبتسما وهو يقول:

-"أخبرني عن آخر أحوالك يا (سكر)".

-"الحمد لله يا باشا. اشتقت للجلوس معك منذ شهور".

نادى (طه) النادل وطلب منه لـ(سكر) شايا ومعسلاً. ثم نظر له قائلاً:

-"هل مازلت تشتغل على السيارة النقل الخاصة بـ(مصطفى)؟"

-"الحمد لله يا باشا. جميلك لن أنساه. زوجتي تدعو لك كل يوم".

قالها (سكر) بأدب. فقال (طه) مبتسما بود:

-"أعرف أنك فزعت عندما طلبت منك تلك الأشياء في الهاتف منذ بضعة ساعات"

أنزل النادل الشيشة أمام (سكر). فوضع هذا الأخير المبسم في فمه ليأخذ بضعة أنفاس سخنت الفحم وزادته احمرارًا.

-"لم أفزع يا باشا لكنني خفت عليك. فأنت بعيد عن هذا الطريق ولا أرضى لك أن تسلك ما سلكت أنا".

نظر (طه) أمامه وقال وهو ينفث دخان الشيشة من أنفه:

-"منذ عرفتك وأنا واضح دائما. لا أكذب فيما أقوله ولا أسلك طرقًا ملتوية لأطلب ما أريد. أليس كذلك؟"

شعر (سكر) كأن (طه) اتهمه بجريمة:

-"أعوذ بالله يا باشا.. حاشا لله أن أظن بك الكذب أو اللف والدوران.. كل ما هنالك أنني صُدمت في البداية عندما طلبت مني..."

-"مخدر الحشيش وحبوب (ترامادول)".

قالها (طه) وهو يقاطعه. فصمت (سكر) قليلًا. وخاصة عندما جاء النادل ليضع الشاي أمامه. مرت لحظات صامتة إلا من صوت قرقرة الشيشة حتى قطع (طه) الصمت بجدية:

-"اسمع يا (سكر). لست في طريقي لإدمان الترامادول ولا سأشرب الحشيش لمزاجي الخاص. سأستخدم الحشيش ليصنع هبوطًا في ضغط دمي وتقليل ضغط عيني. أما الترامادول سأستخدمه لتقليل الألم".

هزّ (سكر) رأسه بقوة دلالة على فهمه لما يقوله (طه). لكنّ هذا الأخير كان يدرك أن (سكر) لم يستوعب أغلب ما قال. مدّ (سكر) يده لداخل جيب سرواله وأخرج قبضته مغلقة تحمل داخلها إصبعًا طويلًا رقيقًا من الحشيش وشريط دواء (ترامادول). أعطاهما لـ(طه) بطريقة حاول أن يجعلها غير لافتة وهو يتلفت يمينًا ويسارًا.

-"كم كلفتك؟"

سألها (طه) وهو يُخرج رزمة نقود من جيب بدلته. فرفض (سكر) بإصرار حقيقي وأبعد يده وهو يحلف على (طه) بأنه لن يأخذ مليمًا. ظل الحال بينهما هكذا لنصف دقيقة؛ (طه) يصر على إعطائه نقودًا والآخر يرفض بجدية تعالى معها صوته.

-"شكرًا يا (سكر). لكن تذكر أنني غاضب لأنك رفضت النقود".

-"عما تتحدث يا باشا؟ أفضالك أغرقتني منذ عرفتك".

-"قل لي يا (سكر). ما الجرعة الطبيعية للترامادول في المرة الواحدة؟"

-"خذ ربع قرص في أول أسبوعين".

-"وهل سيُزيل أي ألم عندي؟"

-"بالتأكيد يا باشا".

-"وما هي الجرعة المناسبة التي يمكنني معها تحمل دخول الدبابيس لجسدي؟"

-"!!"

***

-"دكتور (محمود الطناني) لو سمحت؟"

قالها (عماد) لشاب يمسك ملفًا ورقيًا ويتحدث مع صديقه داخل مكاتب قسم التاريخ بكلية الآداب. فرمقه الشاب متضايقًا ورد عليه باستهتار:

-"هل تريده؟"

-"بالتأكيد".

-"إذن ابحث عنه".

قالها وضحك مع صديقه. فابتسم (عماد) وهو يقول:

-"أعتقد أنك طالب في قسم التاريخ وتنتظر أستاذًا ما لتسليم بحثك الذي تحمله. وأعتقد أن ذاكرتي قوية بما يكفي لأحفظ اسمك المدون على غلاف البحث.. (حسام محمد عبد المجيد). ودكتور(محمود الطناني) صديق قديم لي وسأطلب منه توصية خاصة لك إن لم تدلني على مكانه الآن".

تأهب الشاب له لكن صديقه قال بسرعة:

-"آسف يا أستاذ.. مكتب الدكتور (طناني) هناك".

ثم أشار بيده لمكتب قريب. تركهما (عماد) وهو يسمع من أحدهما كلامًا خافتًا لم يتبين معناه.

طرق باب المكتب المفتوح ودخل فوجد دكتور (محمود) الذي رمق وجهه قليلًا كأنه يحاول تذكّره. نظر (عماد) له بفرحة وإجلال مثلما تعوّد أن ينظر له دائمًا. وقد لاحظ أن السنين قد أظهرت مزيدًا من التجاعيد على وجهه الذي تعوّد عليه.

-"هل أعرفك من قبل يا بني؟"

قالها دكتور (محمود)، فاقترب منه (عماد) ومدّ يده ليصافحه قائلًا:

-"أنا (عماد) الذي..."

قاطعه دكتور (محمود) وهو يهبّ واقفًا لمصافحته قائلًا:

-"تذكرتك الآن. كيف حالك يا بني؟!"

-"لم أتوقع أن تتذكرني.. الحمد لله على كل شيء يا سيدي".

قالها (عماد) وهو يخفض رأسه احترامًا. فدعاه للجلوس أمامه وهو يضغط على زر بجانب المكتب. أتاه رجل يسأله عما يريد. فطلب لـ(عماد) كولا وطلب لنفسه شايًا. في نفس اللحظة دخل رجل وسيم في الخمسين من عمره. ذو شعر أسود به بضع خصلات بيضاء. ويحمل في يده اليسرى بضعة كتب.

هش دكتور (محمود)للرجل وطلب له قدح قهوة وهو يطلب منه الجلوس. فقال الرجل بسرعة:

-"يمكنني أن آتي في وقت آخر".

-"لا يا (يسري). يجب أن أعرفك بـ(عماد). فهو في معزتك لدي".

مد (يسري) يده يصافح (عماد) الذي وقف احترامًا له ودكتور (محمود)يتابع:

-"(عماد) شاب نجيب لم ينتسب لكلية الآداب ولكنه باحث من الدرجة الأولى في المسائل التاريخية. أعرفه منذ كان طالبًا شغوفًا بالتاريخ الإسلامي والتصوف".

هز (يسري) رأسه مبتسمًا بأدب فأكمل دكتور (محمود):

-"أعرفك يا (عماد) بدكتور (يسري) المتخصص في التاريخ الإسلامي مثلي، علامة لم أشاهد مثله من قبل طوال مدة تدريسي للتاريخ. أعتبره ابني الروحي وأعترف أنني أتعلم منه الكثير".

-" العفو يا أستاذنا".

قالها (يسري) ثم نظر لـ(عماد) قائلا:

-"فرصة سعيدة يا أستاذ (عماد)".

فجأة قال دكتور (محمود)بمرح:

-"أراهن بأنك جئت لتسأل عن معلومة تاريخية".

ضحك (عماد) مجاملا. وقال وشيء من الخجل يتخلل صوته:

-"لن أنكر. فأنا لا أثق إلا بك في التاريخ الإسلامي".

قهقه دكتور (محمود)وهو يرجع رأسه للخلف. ثم قال وابتسامة كبيرة تغزو فمه:

-"لا تخجل يا بني. هذا شيء يشرفني. قل ما تريد".

تنحنح (عماد) وقال:

-"الموضوع يتعلق بآصف بن برخيا".

عاد دكتور (محمود)بظهره للوراء ليريحه على مسند المقعد وهو يقول:

-"منذ زمن لم يناقشني أحد في موضوع كهذا. منذ أن اختفيت أنت تحديدًا".

-"تذكر طبعًا يا دكتور بأنك نصحتني ببعض الكتب عن هذه الشخصية. وناقشنا كثيرًا في نمطها وتحولها لأسطورة عند بعض الأديان والشعوب القديمة".

-"طبعًا. وأذكر جيدًا أول سؤال سألتني إياه عنها. كنت تريد أن تعرف هل كتاب الأحناس يُنسب فعلًا لاصف بن برخيا أم لا. وأجبتك بلا بشكل قطعي".

قال (يسري) لـ(عماد):

-"اعذراني على تدخلي في الموضوع. لكن هل تعتمد على الفكر الديني في تكوين رأيك عن (أصف) أم على الفكر التاريخي؟"

قبل أن يجيبه (عماد) ضرب دكتور (محمود)بيده على جبهته وقال:

-"نسيت يا (يسري) أنك قدمت بحثًا عن (أصف) منذ سنوات في الفكر الشيعي".

-"لم تمر علي أبحاث عن (أصف) في الفكر الشيعي".

قالها (عماد) متسائلًا كأنما يدعو (يسري) للتحدث. فقال الأخير:

-"في الدين الإسلامي اعتمدت كلا المصادر السنية والشيعية على المرويات الاسرائيلية في حكاية (أصف). وإن أعطوه في الفكر الشيعي اسمًا أقرب للعبرية وهو (إيساف) أو (عساف) بلفظ أخر. وفي بعض المرويات أسموه (يليخا بن برخيا). وقالوا بأنه قريب لسليمان.

وتأرجحت صلة القرابة بين ابن الأخت وابن الخالة. لكنها في كل الحالات أعلت من شأنه في مجلس (سليمان)".

ردّ عليه (عماد) بسرعة:

-"لا أجد فرقًا واضحًا يميز الفكر الشيعي في تلك المسألة".

-"الفرق أن بعض الروايات اعتمدوا فيها على أئمتهم مثل الإمام (الباقر) الذي قال إن (أصف) امتلك حرفًا من اسم الله الأعظم. وهو ما تكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين عرش (بلقيس). فمد يده بأخذه ثم عادت الأرض لما كانت عليه.. والإمام (الصادق) الذي قال بأن الأرض طويت له فأتى العرش في طرفة عين. وغيرهما من الأئمة الذين تكلموا عن مسألة هل (أصف) من الجان أم البشر".

-"أم مهجّن؟"

قالها (عماد). فرفع (يسري) حاجبه الأيسر مندهشًا. بينما قال دكتور (محمود):

-"ما يقوله مضبوط يا (يسري). هناك من تكلم في تلك المسألة. أنه في مرتبة ما بين البشر والجان. لكن قل لي يا (عماد): ما الذي تبحث عنه تحديدًا ويتعلق بأصف؟"

أخرج (عماد) من جيبه الورقة المطوية التي احتوت على الكلمات التي كتبها (يصفيدش) وأعطاها لدكتور(محمود). الذي فتحها ونظر لها لثوانٍ ثم قال:

-"ما هذا؟"

-"نصّ من مخطوط وجدته يتحدث عن (آصف)".

-"وهل معك المخطوط الأصلي؟"

-"صاحبه استرده ثانية. لكنني نقلت تلك الكلمات التي تتكلم عن (أصف)".

نظر دكتور (محمود) للورقة مرة ثانية ثم هزّ كتفيه وقال:

-"آسف يا (عماد).. ليست لي خبرة باللغات كما تعرف".

نهض (يسري) ووقف بجانب المكتب ينظر بفضول للكلمات. رمق (عماد) وقال:

-"أعتقد أنني أعرف معنى هذه الحروف".

قفز (عماد) من موضعه وهو يسأل:

-"ما معناها؟"

-"رأيت مثلها في طلاسم مزامير داوود".

-"تقصد أنها ترجمة لإحدى المزامير؟"

-"لا.. أتكلم عن الطلاسم المستخدمة في سحر المزامير الذي استخدمه حاخامات اليهود. أشرفت على رسالة دكتوراه من زمن طويل عن تلك المزامير. ولكنني لا أتذكر هذا الطلسم بالتحديد".

تأمب دكتور (محمود)وهو يقول:

-"هل هناك احتمال أن يكون هذا الطلسم هو..."

لم يكمل جملته بينما هز (يسري) رأسه إيجابا وهو يقول:

-"ربما يكون هذا الطلسم هو الطلسم رقم 51 للمزامير.. الطلسم المفقود".

***

(قسم روض الفرج)

نظر الضابط لـ(حامد) الواقف ببدلته البنية يبتسم له في ودّ لم يعطِ انطباعًا في نفس الضابط سوى الغباء.

-"تقول إنك تريد مقابلة المأمور لأمر هام؟"

-"نعم يا سيدي".

قالها (حامد) بفخر لم يفهمه الضابط.

-"وهل يمكن أن أعرفه؟"

-"للأسف لا".

-"إذن لن تقابله".

-"قل له إنني كنت معه في مشرحة (زينهم) منذ يومين".

أفلتت من الضابط ضحكة ساخرة. مر به ضابط شاب آخر فتساءل عن سبب ضحكته. همس له ببضع كلمات في أذنه وهو يشير لـ(حامد) الواقف أمام الكاونتر. فابتسم الضابط الشاب وقال وهو يمد يده ناحية (حامد):

-"بطاقتك من فضلك".

أخرج (حامد) بطاقته من محفظته وأعطاها له والابتسامة لم تفارق وجهه. فاطّلع عليها الضابط وهو يقول:

-"تقول يا عم (حامد) إنك كنت معه في مشرحة (زينهم). هل كنت هناك لتتعرف على جثة مثلًا؟"

-"أدرك أنكم ترونني مجنونًا. لكن الحقيقة أنني كنت هناك بسبب مشاكل تعرض لها المأمور. ولو علم أنكم منعتموني من مقابلته سيغضب بشدة".

-"المأمور لم يذهب لمشرحة زينهم منذ فترة. وأنت إما مجنون أو جئت هنا للمزاح".

قالها الضابط الأول بشيء من الجدية. فاختفت ابتسامة (حامد) وهو يقول:

-"لن تخسرا شيئًا لو أبلغتماه بوجودي".

-"انتظر هنا في مكانك حتى يدخل سيادة المأمور لمكتبه".

نظر (حامد) حوله حتى وجد مقعدًا خشبيًا متهالكًا بجانب الكاونتر فجلس عليه وهو يسمع صوت (رحيم) يقول:

-"ما تفعله أغبى شيء توقعته منك".

***

-"هل حفظت ما اتفقنا عليه يا (قاصيم)؟"

-"حفظت ولكنني لن أضحي بأي من رجالي يا (حازم)".

-"لم أطلب منك التضحية بأحد. لكننا لن نعرف قدرته إلا بما اتفقنا عليه".

كان (حازم) يقول عبارته وهو يُحضر صينية يضع عليها بعض الأكواب الفارغة. فجأة رنّ هاتفه المحمول خارج الصالة فأسرع يردّ ليصف لـ(رقية) كيفية الوصول لشقته هي و(إسلام). أنهى المكالمة ونظر لـ(قاصيم) قائلًا:

-"والآن اذهب أنت ورجالك وتأكد جيدًا من عدم وجود جان داخل الشقة وخارجها".

اختفى (قاصيم) من جانبه. فجلس (حازم) على أريكة الصالة وشبك يديه وهو ينظر لباب الشقة متظاهرًا بالهدوء.

رنّ جرس الباب فنهض يفتحه بخطوات جعلها متثاقلة لتكسبه هدوءًا وثقة.. طالع وجه (رقية) التي يراها لأول مرة بملابس غير معطف الأطباء الأبيض. لوهلة فكر كم هي جميلة لكنه نفض الفكرة بعيدًا

عنه بسرعة وهو ينظر لـ(إسلام) المرتبك وهو يقف بجانبها. هشّ وجه (حازم) له وهو يقول:

-"كيف حالك يا صديقي؟"

نظر (إسلام) لـ(رقية) وسأل بحذر:

-"هل أعرفه؟"

***

جلس (عماد) يكتب في غرفة تضم عددًا من المكاتب لأعضاء هيئة تدريس قسم التاريخ. كان يجلس خلف مكتب (يسري) الذي جلس بعيدًا عنه أمام مكتب أحد أساتذة القسم يتحدث معه بخصوص إحدى مشاكل القسم.

منذ قليل طلب دكتور (محمود)من (يسري) أن يتابع مع (عماد) كل شيء يخص الكلمات الغريبة التي طلب معرفتها. وخاصة أن الأول لا خبرة له في هذه المنطقة التاريخية. بينما الثاني على معرفة بها.

نقل (عماد) على ورقة فارغة نفس الكلمات التي أراد معرفة معناها. ثم رمق (يسري) منتظرًا أن ينهي حديثه. وعندما عاد (يسري) للجلوس خلف مكتبه سأل (عماد):

-"هل انتهيت؟"

سلمه (عماد) الورقة قائلًا:

-"أرجو أن تفيدك".

رمقها بتمعن في حين قال (عماد):

-"لكن عندي سؤال".

لم يرفع (يسري) عينيه عن الورقة وابتسم وهو يقول:

-"تفضل".

-"قرأت في مزامير داوود للسحر منذ زمن، والرموز التي وجدتها بجانب كل مزمور لم ألحظ تشابهًا بينها وبين تلك الكلمات".

-"يمكنني أن أوضح لك تلك النقطة لو أردت، لكن ليس قبل أن تصارحني ببعض الحقيقة حتى يمكنني مساعدتك بصدق".

بُهت وجه (عماد) لثوانٍ. وخاصة أن (يسري) لم يرفع عينه عن الورقة حتى تلك اللحظة. مرت لحظات صمت حتى تكلم (يسري) بصوت خافت وبنفس ابتسامته:

-"لو كانت تلك الكلمات من مخطوط عادي كنت ستحتفظ بنسخة من المخطوط مصورة. أو حتى ستفهم من بقية المخطوط أي شيء عن الكلمات.. فإما أنك تعرف بعض التفاصيل عن هذه الكلمات وتحتفظ بها. أو أنك تبحث عن شيء معين غير (أصف بن برخيا) وتأمل بأن تصل له بطريقة غير مباشرة بدون أن يعرف أحد".

قال عبارته ورمقه بنفس ابتسامته.. في أول بضع ثوانٍ حاول (عماد) أن يغير تعبير وجهه ليوحي بالثقة. لكنه شعر بحصار نفسي من كلمات (يسري). تنحنح وقال بطريقة حاول أن تكون واثقة:

-"ولو افترضنا أنني أبطن أكثر مما أظهر، هل لو علمت ما أكتمه ستصل لمعنى تلك الكلمات؟"

-"أعدك أنني سأفيدك أكثر مما تتخيل".

قالها (يسري) والجدية تغزو ملامحه عوضًا عن الابتسامة وهو يعتدل في مقعده وكأنه يتوقع سماع شيء هامٍ من (عماد)، بينما تسارعت أنفاس هذا الأخير وهو يرمق الأرض كأنه حائر في شيء ما. فجأة نظر له وقال:

-" لا أعرف أكثر من أن هذه الكلمات تتعلق بعفريت يدعى (لاقيس الإبليسي) وهو العفريت الذي كلم النبي (سليمان) عليه السلام ليأتي بعرش (بلقيس). وهناك افتراض بأن هذا العفريت اختفى هو وقبيلته وينتظرون عودة (آصف بن برخيا) ليعطوا له أشياء لا أعرف ما هي. وتلك الكلمات بها مفتاح عودتهم ثانية".

تجمدت ملامح (يسري) للحظات ولم يصدر منه أي تعبير. حتى قال متسائلاً:

-"هل تتكلم بجدية؟"

-"أنت طلبت كل ما أعرفه ويخص الكلمات. يمكنك أن تصدق أو تعتبرها أسطورة. أو يمكنك أن..."

قاطعه (يسري) قائلاً:

-"ولم تريد هذا العفريت؟ هل تؤمن بتحضير الجان؟"

ابتسم (عماد) وقال:

-"لنقل إنني مؤمن ومهتم بهذا الموضوع.. والآن هل ستساعدني؟"

-"سأساعدك ولكن لأروي فضولي في البحث حول هذه الكلمات. لكن مسألة العفاريت هذه سنؤجلها لوقت آخر".

أراح (عماد) ظهره لمسند مقعده وهو يقول:

-"المهم أنك ستساعد بغض النظر عن السبب".

سعل (يسري) وهو يسترخي في مقعده ويخرج من جيبه علبة سجائره ويشعل واحدة قائلاً:

-"تعرف بالطبع الكثير عن مزامير داوود في العهد القديم. كما أخبرني دكتور (محمود)".

أشار (عماد) برأسه علامة الموافقة. فأكمل (يسري):

-"أنت تعرف أن مزامير داوود لم تكتب في وقت واحد. وإن كان أشهرها ما كُتب في السبي البابلي في وقت الملك (نبوخذ نصر). وبعضها على حسب الروايات كُتب قبل (سليمان) وبعضها بعده. المهم أن بعض الباحثين حدّدوا أن بعض اليهود كتبوا طلاسم أثناء السبي البابلي وادّعوا قدرتهم على السحر ومعرفة الغيب وشفاء المرضى وإنزال البلاء بالناس. وقاموا بجمع المزامير وأضافوا عليها بعض التراتيم. وحدّدوا لكل مزمور طلسم يُكتب. ومع كل طلسم بعض الحسابات

لوقت عمل السحر. هناك من جمع تلك الطلاسم مع المزامير نفسها في كتاب كبحث".

قاطعه (عماد) قائلًا:

-"تقصد الكتاب الذي صدر في التسعينات؟"

-"بالضبط.. وطالما أنك قرأته فدعني أخبرك أنه كان مجهودًا خرافيًا في جمع تلك المزامير وطلاسمها. لكن للأسف الطلاسم نفسها ليست التي كُتبت في الأسر البابلي".

لم يظهر أي تأثير لكلمات (يسري) على وجه (عماد) وكأنه ينتظر أن يتأكد من المفاجأة أولًا قبل أن يتفاجأ:

-"قارن بين الطلاسم المنتشرة بين أيدي الباحثين والمترجمين الذين تكلموا عن مزامير النبي داوود وبين أي طلسم ذكر في كتب السحر التراثية الشعبية الخاصة بالعصور الوسطى في المنطقة الشرقية. ستجدها مطابقة لها. المشكلة الوحيدة أن المترجمين في تلك العصور اعتمدوا على نسخ مختلفة حوت بعض الطلاسم المستخدمة في ذلك العصر سربها بعض الحاخامات ليحتفظوا بأصلها لأسباب خاصة بهم".

-"أي أسباب؟"

-"اعتقادهم بصحتها بالطبع.. وحتى لو لم يعتقد بعضهم بذلك: فلا تنس عشق الحاخامات القدامى لحفظ الأسرار بين خاصتهم وإظهار الفتات للناس لتظل السلطة الدينية بينهم متوارثة أبد الدهر".

سحب (يسري) بضعة أنفاس من السيجارة وهو يبحث عن المطفأة فلم يجدها. نادى على الأستاذ الذي كان يتحدث إليه منذ قليل وطلب ملفاته الموضوعة على مكتبه. اعتدل (عماد) في جلسته وقد بدأ يشعر بالملل من قلة المعلومات.

-"المهم أن أحد القساوسة المصريين استطاع الحصول على نسخة خاصة من أحد الحاخامات المتحولين للمسيحية. وقام أحد الرهبان بترجمتها للغة القبطية. اسم الراهب على ما أتذكر هو (سمعان). هذا الراهب قام بترجمة ذكية لطلاسم المزامير".

-"ترجمة ذكية؟!"

-"لا يوجد مثل هذا المصطلح علميًا. لكنني أطلقه على المترجم الذي احتفظ بأصل ترجمته. وهذا ما فعله (سمعان): لقد احتفظ إلى جانب ترجمة المزامير والطلاسم بالنسخة الأصلية للكتاب التي كتبت باللغة العبرية القديمة. وفي أول القرن العشرين سلمت الكنيسة بعض ترجماتها الخاصة لدار الوثائق كما نسميها اليوم. وكانت النسخة الأصلية وترجمتها من ضمن الكتب المسلمة. أخذت الكتب رقمًا وظلت في المخازن فترة طويلة حتى استطعت الوصول لها منذ سنوات طويلة وأخذت صورًا ضوئية لدراستها منذ فترة طويلة".

-"جيد جدًا".

-"المفاجأة السيئة في الأمر هي أن (سمعان) قطع آخر ورقة في المزامير من النسخة الأصلية. والتي تحتوي على المزمور 151. ولم يترجمها. والسبب غير معروف".

-"لكن ترجمات المزامير الكاملة منتشرة في كل العالم".

أطفأ (يسري) السيجارة وهو يقول:

-"لا تنس أني لا أتكلم عن ترجمة نص المزامير. أنا أتكلم عن السحر والطلاسم الخاصة بها".

-"وهل هناك سبب واضح أو صريح لحذفه المزمور الأخير؟"

-"لا.. وهذا ما حيرني فترة.. إلا أني فكّرت في أنه كان يؤمن بأن آخر مزمور هو الأقوى كما يقول التراث اليهودي".

-"وهل لـ(آصف بن برخيا) علاقة بذلك؟"

-"(آصف بن برخيا) كان على عهد النبي (سليمان). وكما آمن الشيعة بصلة قرابته بسليمان. آمن اليهود بذلك. وآمنوا أيضًا باستعماله لتراث (داوود) في السيطرة على الجان. والمزمور الأخير هو ما يعتقدون بأنه استعمله"

-"لكن اليهود لم يؤمنوا بالمزمور الأخير في بعض..."

قاطعه (يسري) قائلًا:

-"هذا هو المشهور عنهم.. لكن الحقيقة أن طوائف كثيرة منهم كانت ومازالت مؤمنة بهذا المزمور".

-"والحل؟"

-"الحل أن تتركني الليلة وسأحاول التوصل لأي خيط.. لكن لا أعدك".

-"سأترك لك هاتفي إن احتجت له".

أمسك (عماد) بورقة فارغة وخطّ بها رقم هاتفه. فقال (يسري):

-"هل ظلّ هناك شيء ما تخبرني به ليفيدني في بحثي؟"

توقف (عماد) عن الكتابة لثوانٍ وأخذ يفكر. ثم أكمل الكتابة وهو يقول:

-"لا يوجد شيء معين".

-"وموضوع العفاريت؟"

-"أنت قلت إننا سنؤجله لوقت آخر".

-"هل تعرف يا سيد (عماد) أن أحد تلامذتي طلب استشارتي في موضوع يتعلق بهذا التراث. والغريبة أن هذا الطالب هو وصديقه لم يحضرا لي أي محاضرة منذ أن تكلمنا عن هذا الموضوع. أعتقد أنهما كانا يستفسران عن شيء ما يدعى (مخطوطة ابن إسحاق).. لا أعرف سر اهتمام الناس هذه الأيام بتلك الأمور".

***

-"هل هناك شيء آخر بخلاف مشكلة هذا المسجون؟"

قالها مأمور قسم روض الفرج وهو ينظر بنصف عين لأوراق محضر اختفاء. فنهض الرائد من على المكتب وهو يلملم بعض الأوراق ويقول:

-"هناك فتى جاء منذ الصباح الباكر طالبًا لقاءك".

-"من هذا؟"

قالها المأمور بعدم اهتمام. فضحك الرائد وهو يقول بسخرية:

-"نتسلى عليه منذ الصباح. يتحدث عن الجن والعفاريت و..."

-"ماذا؟"

قالها المأمور باهتمام شديد. فتوقف الرائد عن الضحك وهو يقول له:

-"يقول إنه كان مع سيادتك في مشرحة زينهم منذ يومين تقريبًا".

-"أحضره لي فورًا".

***

-"لا تخف من شيء يا (إسلام). أنا كنت صديقك".

قالها (حازم) وهو يجلس على مقعد بجانب (إسلام) الذي جلس ملتصقًا بـ(رقية) التي لم يبدُ عليها أن تضايقت. وكأنها تدرك حسن نيته.

نظر (إسلام) لها متسائلًا فهزت رأسها بالموافقة.

-"صديقي من الطفولة؟"

سأل (إسلام) بهدوء.

-"في الحقيقة منذ أيام فقط. قل لي ما الذي تتذكره عن مخطوطة ابن إسحاق؟"

هز كتفيه بمعنى عدم الفهم. فاتسعت عينا (حازم) رعبًا حتى قالت (رقية):

-"لقد نسي الكثير من التفاصيل الخاصة بحياته، وحتى تلك الخاصة بدخوله المستشفى وخروجه منها".

-"لكنه يتذكرك!"

قالها (حازم) بشك.

-"ولا أعرف السبب. عائلته اطمأنت لي عندما وجدوا أنه لم ينس وجودي. برغم أنه لا يتذكر متى عرفني".

-"والقرين؟"

-"تقصد شبيهي الذي يزورني؟"

-"تتذكر كم مرة رأيته؟"

-"لا.. لكني أعرف أنه زارني كثيرًا".

نظر للأعلى متذكرًا. ثم قال بسرعة:

-"عندما نهضت من نومي اليوم وجدته يقف أمامي بلا حركة. ظلّ هكذا قليلًا ثم فتح باب الغرفة وخرج".

نهض (حازم) وهو يقول:

-"دقيقة وسأحضر لكما الشاي".

تركهما ودخل للمطبخ ليحضر الشاي، وبينما يقوم بصبه في الأكواب أخذ يتمتم ببضع كلمات بصوت خافت. سمع شهقة أنثوية من الصالة. فحمل أكواب الشاي على الصينية وغادر المطبخ بهدوء.

في الصالة وجد القرين يقف أمام (رفية) الجالسة بخوف وبجانبها (إسلام). لحظة دخوله نظر له القرين نظرة بلا معنى وظل ثابتًا بلا حركة، نظر لصدر القرين فوجده ثابتًا. كان يريد أن يعرف هل القرين له حياة منفصلة ويعتمد على التنفس كأي كائن حي ليمكن قتله بتلك الطريقة أم لا.

اقترب منه فلم يتحرك.. مر بجانبه ووضع صينية الشاي على المنضدة. وجلس على المقعد وهو يقول:

-"منذ متى جاء؟"

-"بعد دخولك المطبخ بقليل، جاء من إحدى تلك الغرف".

قالتها (رفية) وهي تشير لإحدى الغرف.

-"تحدث معه يا (إسلام) واسأله عن سبب مجيئه".

قالها (حازم) وهو لا يرفع عينيه عن القرين. فنظر (إسلام) لـ(رفية). التي أشارت برأسها موافقة.

-"لماذا أتيت الآن."

حرك القرين رأسه ونظر لـ(إسلام) قائلاً:

-"جني يحمل سلاحًا يقف بالقرب منك".

قالها بصوت (إسلام) لكنه صوت لا يحمل أي مشاعر. ثم أشار بيده لموضع عند باب الشقة. فابتسم (حازم) وهو يقول:

-"ولماذا لم تهاجم هذا الجني؟"

لم يتكلم القرين وظلت عيناه على (إسلام) بلا أي حركة. فطلب (حازم) من (إسلام) أن يسأله نفس السؤال. فكان رده:

-"لأنه لم يهاجمك".

هنا قال (حازم):

-"أنا من طلبت من هذا الجني أن يأتي".

نظر له القرين وفجأة تحرك بسرعة خاطفة وأمسك برقبته. فصرخت (رقية) في (إسلام) أن يوقفه. فلم يضيع هذا الأخير الوقت وأمره بالتوقف والابتعاد عن (حازم). عاد القرين لوقفته الأولى. لكنه لم يُحرك عينيه عن (حازم).

-"كيف أحضرت هذا الجني؟"

قالتها (رقية) بعدم تصديق. فأجابها:

-"هو من خدمتي. لكني صرفتهم جميعًا منذ قليل وأحضرت هذا فقط لأعرف ردة فعل القرين.. في البداية لم يعرف أنني من أحضرت الجني. لكن بمجرد علمه هاجمني كمصدر للخطر كما فعل سابقًا.. الآن أريد أن أعرف ما الذي سيفعله إن هاجمه الجني في هيئته الأصلية".

نظر (حازم) للركن الذي كان قد أشار له القرين وقال:

-"أنا لا أراك الآن.. لكن اهجم على هذا القرين".

مرت فترة زمنية لم يتحرك فيها القرين، فطلب (حازم) من (إسلام) أن يسأله عما يحدث، فأجاب القرين:

-"الجني يحاول قتلي".

لمعت عينا (حازم) وهو يقول:

-"اهجم على (إسلام)".

هنا مدّ القرين يده اليمنى في الهواء بسرعة وقام بإغلاق قبضته على شيء ما، ظهرت في مكان قبضة القرين كتلة حمراء تشكلت لشكل قرد ذي لون أحمر يتغير للون الرمادي، والقرين يقبض على رقبته والقرد يمسك شيئًا مزخرفًا يشبه الخنجر، صرخ (حازم) في (إسلام) أن يأمره بترك الجني، لكن (إسلام) أخذته المفاجأة وهو ينظر للقرد الذي يحاول الإفلات من يد القرين بلا فائدة، صرخ فيه (حازم) مرة ثانية وهو ينهض.

لكن (إسلام) نظر له وقال بعصبية:

-"لا تصرخ فيّ هكذا".

-"قرينك سيقتله يا غبي!"

نظر له (إسلام) بغضب أكثر.. فجأة ترك القرين القرد وهجم على (حازم) يكيل له لكمة أفقدته الوعي.

***

بمجرد دخول (حامد) على المأمور قال هذا الأخير:

-"أنت الذي تعثرت عند دخولك عليَّ في غرفة التشريح؟"

تنحنح (حامد) وهو يعدل من هندامه ويقول:

-"لم أتعثر.. لقد كانت خدعة كبيرة. خطة خداع استراتيجي كي يمكنني أن..."

قاطعه المأمور بصرامة قائلًا:

-"اجلس!"

جلس (حامد) أمامه وهو يتنحنح كل بضع ثوانٍ بلا سبب.

-"ما بالك؟ هل أطلب لك ينسونًا ليتوقف السعال؟"

-"شكرًا.. أنا فقط أشعر بصدمة لمقابلتك".

-"تكلم. ما الذي أتى بك؟"

-"خدمة.. أريد منك خدمة".

-"آخر ما أتوقعه من هذا الموقف!"

قالها المأمور وهو يعتدل محافظًا على وجهه الجامد. فسأله (حامد):

-"ألن تطلب لي شيئًا أشربه؟"

رفع المأمور حاجبيه مندهشًا وهو يقول:

-"أنت مجنون؟"

-"لا".

خبط المأمور كفًا بكف وهو ينظر حوله ويتمتم بكلمات خافتة.

-"هل تقول شيئًا يا سيدي؟"

قالها (حامد) فرد عليه المأمور بغضب:

-"تكلم يا هذا قبل أن ينفد صبري!"

أخرج (حامد) من جيبه ورقة وأعطاها له وهو يقول:

-"هذا عنوان مجموعة عمارات بشبرا الخيمة. في إحدى تلك العمارات يقطن رجل له علاقة بالكهرباء".

ثم نظر بجانبه وقال:

-"أليس كذلك يا (رحيم)؟"

لطم (رحيم) وهو يصرخ في أذن (حامد) قائلًا:

-"فضحتني!"

-"لا تخف يا (رحيم). سيادة المأمور منا وعلينا".

نظر المأمور بشك للموضع الذي يحدثه (حامد) وسأل:

-"مع من تتحدث؟ جني؟!"

-"(رحيم) حرك أي شيء لتثبت وجودك".

تحركت مطفأة تبغ على المكتب حركة بطيئة. فتراجع المأمور في مقعده وهو يستعيذ بالله من الشيطان. ثم نظر لـ(حامد) وقد اختفت ملامحه الجامدة وهو يقول:

-"في الحقيقة لم أتخيل أنك أيضا تتعامل مع الجان مظهرك لا يوحي بأكثر من شمام!"

-"شكرًا.. لي خادم من الجان لكنه أقوى مما أبدو أنا عليه".

-"وطبعًا ستهددني بحياة عائلتي مقابل تلك الخدمة".

-"بالعكس.. أنا أعرف أنك تبحث عن إجابات، وسأعطيك الكثير مقابل ما ستعطيني إياه"

-"أين الفتاة المدعوة (حبيبة) التي اختفت يوم إصابة (إسلام)؟ أهلها تقدموا ببلاغ اختفاء أول أمس".

قالها ورفع أوراق المحضر الذي كان يمسكه منذ قليل. وأكمل:

-"وما هذا الكائن الذي كنا نشرحه قبل أن تأتي ومن معك؟"

-"سأجيبك لكن عدني أن تلبي طلبي أولًا".

قالها (حامد) بثبات وثقة يتناقضان مع شخصيته.

-"قلت لي ماذا تريد؟"

-"أريد البحث بين سكان هذه العمائر عن شخص له علاقة بالكهرباء، كهربائي.. مهندس كهرباء.. شخص عمل بمجال الكهرباء منذ فترة".

ثم نظر (حامد) لـ(رحيم) وقال:

-"كلامي مضبوط يا (رحيم)؟"

ردّ عليه:

-"قلت لك من قبل هي مجرد نظرية لا أثق بها. (سنان) تعرض لطاقة أعلى من تحمل جسده. مثلما تعرض الرمز في الغرفة النحاسية لطاقة أعلى من طاقة تشغيله. ربما مصادفة. لا أعرف".

-"لا توجد مصادفات يا صديقي".

قالها (حامد) ونظر للمأمور الذي قال:

-"ما تقوله مستحيل. هذا الطلب خارج نطاق سلطتي".

-"ستجد حلًا".

-"لن أعدك قبل أن تخبرني بكل التفاصيل منذ البداية. وتجيب على كل أسئلتي".

-"تفضل.. وكل ما أعرفه تحت أمرك".

***

توقفت العربة نصف النقل أمام بوابة المصنع وخلفها توقفت سيارة (عمرو). وخرج منها ليرشد عاملين وقفا في صندوقها الخلفي بجانب

القاعدة الحديدة وبعض القطع الأخرى. حانت منه التفاتة لسيارة تقف بجانب الباب وعرف بسرعة أنها سيارة (طه).

في نفس اللحظة تقريبًا انفتح باب المصنع ببطء ليظهر خلفه (طه) وهو يشده، مرتديًا نفس البذلة التي شاهده بها أمس.

أشار (عمرو) للعاملين بأن ينقلا كل شيء لداخل المصنع. وساعدهما مع (طه) لإنزال القاعدة الحديدة وبقية الأشياء ووضعها في الداخل.

بعدما انتهوا حاسب (عمرو) العاملين. ثم انتبه لكثير من الأشياء داخل المصنع. ألواح خشبية كبيرة مثبتة على الأرض. وأجهزة لم يميز بعضها لكنه تأكد من صلتها بأعمال الكهرباء.

في أحد جوانب المصنع الفارغة وجد منضدة صغيرة امتلأت بأوراق وملفات ضخمة وبجانبها ثلاثة مقاعد خشبية.

-"هذا الصباح نقلت أشيائي وأدواتي وقضيت بضع مهام ثم عدت لأنتظرك".

قالها (طه) لما رأى نظرات (عمرو) المتفحصة للأدوات.

-"إذن لم تنم منذ الأمس؟"

-"نمت ساعتين ظهرًا على هذه المنضدة".

-"يبدو القلق في وجهك بجانب الإرهاق".

جلس الاثنان على مقعدين خشبيين. سحب (طه) من تحت المنضدة حقيبة بلاستيكية أخرج منها علبتي عصير. أعطى واحدة لـ(عمرو) وفتح الثانية ليشرب منها.

-"هل يمكنك الآن إخباري بما نفعل؟"

قالها (عمرو) وهو يستمتع بشرب العصير. فترك (طه) عبوته جانبًا واسترخى في مقعده وقال:

-"بقي القليل لتعرف كل شيء. ولكن قل لي قبل كل شيء. هل تؤمن بذكائي؟"

-"ماذا؟!"

-"لا تعتبر سؤالي دربًا من الغرور. لكن يهمني أن أعرف مدى ثقتك بذكائي".

-"لم أشك بذكائك من قبل. ومنذ تعرفت عليك في إعدادي هندسة قلت إنك عبقري. ولم أغير رأيي من حينها".

-"لو قلت لك إني توصلت لنظرية علمية وأنني قمت بعشرات التجارب التمهيدية في السنوات السابقة لإثباتها. هل ستصدقني؟"

-"نظرية علمية؟"

قالها (عمرو) بسخرية تختلط بالدهشة مع ابتسامة صغيرة. فابتسم له (طه) وهو يقول:

-"أعلم أن كلمة "نظرية علمية" كبيرة وتحتاج للكثير لتصديقها. لكن قلت لك إنني قمت بتجارب تمهيدية لإثباتها. واليوم التجربة الأولى الحقيقية والتي استأمنتك على حضورها والعمل فيها معي".

نظر (عمرو) لوجه (طه) يتفحصه بشك قبل أن يقول:

-"هل تتكلم بجدية يا (طه)؟"

-"أتكلم بجدية وأسألك هل ستثق بي؟"

تنهد (عمرو) وقال:

-"أثق بك لكن ما..."

قاطعه (طه):

-"إذن هل تصدقني لو قلت لك إنني سأشرح لك كل شيء بعد أن ننتهي من كل التحضير للتجربة؟ كل ما أطلبه ألا تسألني في أي شيء حتى بدء التجربة. حينها ستعرف كل التفاصيل".

-"يمكنني أن أساعدك وأغادر إن أردت".

-"لا.. لا أثق بغيرك كملاحظ للتجربة".

-"أنا غير مؤهل للتجارب العلمية، خصوصًا تلك التي تتعلق بمجال الكهرباء، وفائدتي لك لن تذكر".

كان (عمرو) يتكلم بملل بعدما شعر أن عليه السير على شروط وضعها (طه) كي يعرف ما يحدث.

هنا نهض (طه) من موضعه وهو يقول:

-"هيا بنا إذن لنركّب الآلة الجديدة ونكمل التحضيرات".

-"لكن تذكر أنني لا أحمل الآن أي فضول حقيقي لمعرفة التجربة".

قالها وقام معه. أخذ (طه) معه ورقتين من الأوراق على المنضدة. وذهبا إلى القاعدة الحديدية. تأكد (طه) أولاً من ثباتها. وتأكد من عزلها عن الأرض من الكهرباء. وأعطى التصميم لـ(عمرو). حملا الموتور الذي أحضره (عمرو) من قبل وركباه في القاعدة بحرص وهما يثبتانه بقطع صغيرة داخلها. وأعلى الموتور قاما بتركيب التروس الحديدية وثبتا داخلها صارنا من الصلب توافقت مقاييسه مع التروس. كان (طه) قد أحضره صباحا بعدما أوصى عليه أمس أحد أصدقائه. طلب (طه) من صديقه أن يجلس هو ريثما ينتهي من توصيلاته الكهربية. فنفّذ (عمرو) طلبه ببرود وجلس يشاهده وهو يأخذ القواعد الخشبية ويحيط بها القاعدة الحديدة. ويقوم بعمل عدة توصيلات لجهاز آخر يتحكم في شدّة التيار الكهربي.

ثم أوصل الموتور بنفس الجهاز.

-"ما فائدة تلك الألواح الخشبية؟"

قالها (عمرو) بعدما عاد الفضول لداخله مرة أخرى. فابتسم (طه) دون أن ينظر إليه وهو يقول:

-"الألواح تحتوي على أسلاك نحاسية لصنع مجال كهرومغناطيسي قوي".

انعقد حاجبا (عمرو) وشعر أن الموضوع ليس هينًا كما تخيل

انتهى (طه) ونظر لـ(عمرو) قائلًا:

-"ستجد زجاجة مياة تحت المنضدة، صبّ لي قليلاً منها".

قالها وهو يقرّب كفّيه المتسختين من (عمرو) الذي وجد الزجاجة وأخذ يصب له بعضًا منها.. أخرج (طه) منديلاً ورقيًا من جيب بدلته وجفف كفيه وهو يقول:

-"استعد للجزء الأكثر جنونًا يا صديقي!"

فتح الكيس الأسود وأخرج زجاجة تشبه زجاجات الدواء مليئة بسائل أحمر وقلم حبر من الذي يتم ملؤه يدويًا. وضعهما على المنضدة وبحث بين الأوراق حتى أخرج ورقة مُلئت بالطلاسم.

خلع حذاءيه وجوربيه ورفع قدمه اليمنى على المقعد. ثم ملأ القلم بالسائل الأحمر الموضوع في الزجاجة.

-"هل ستضع مونوكير الآن على أظافرك؟"

لم يعره (طه) انتباهًا وهو ينقل على قدمه تلك الطلاسم بدقة شديدة.. انتهى من إحدى قدميه وفعل مع الأخرى المثل.

-"(طه).. ما علاقة هذا بتجربتك؟ هل جننت؟!"

-"لا.. لم أجن. واتفقنا أنني لن أتكلم إلا قبل البدء في التجربة".

انتهى من قدمه اليسرى وجلس على المقعد وهو ينقل طلاسم أخرى على ظهر يده اليمنى محاولاً ألا يتركها ترتعش. ثم فعل المثل مع اليسرى.

وضع بعدها القلم وهو يمسح بباطن يده حبات العرق المتكونة على جبينه ورقبته ويقول:

-"قل لي هل تتذكر آخر مرة شربت فيها الحشيش؟"

-"من مدة طويلة.. لِمَ تسأل؟"

أخرج من جيب بدلته شريط دواء تناول منه حبة ابتلعها بقليل من الماء.

-"ما هذا يا (طه)؟"

-"مضاد للقيء.. أخذه احتياطيًا. ولا تخف لن نحتاجه".

ثم أخرج شريطًا آخر وابتلع منه قرصًا.

-"وهذا؟"

-"ترامادول".

اتسعت عينا (عمرو) رعبًا وقال:

-"هل أدمنت هذا الشيء؟"

-"أول مرة أتناوله فيها".

-"ولم تتناوله؟"

-"لأتحمل الألم".

قالها وأخرج من أحد جيوبه بضع سجائر حشيش ملفوفة. أعطى (عمرو) واحدة وهو يقول ضاحكًا:

-"مساء الفل!"

أخذها (عمرو) قائلًا:

-"أشعر أنك تُعد لي مقلبًا ما.. ترسم طلاسم على جسدك وتتناول ترامادول وتشرب حشيش. لم أعهدك تتناوله مثلي".

-"هذه هي المرة الأولى لي. حتى إنني ذهبت إلى أحد أصدقائي القدامى ليلف لي تلك السجائر بعد خلطها بالحشيش".

-"وما مناسبة شربه الآن؟"

أشعل (طه) سيجارة واستنشق نفسًا وقال:

-"أريد شيئًا يُلغي إحساس القلق بالنسبة لي، شيء يصيبني بهبوط في الضغط فترة التجربة".

-"والترامادول؟ لقد تناولت منه قرصًا كاملاً، لو كانت هذه هي أول مرة لك فهذه مصيبة!"

-"لا تهتم بهذه التفاصيل. أشعل سيجارتك واستمتع باللحظة".

أشعل (عمرو) السيجارة وهو يضحك قائلًا:

-"لا أعرف لِمَ أطاوعك فيما يحدث.. أعتقد أنه لا فارق عندي!"

استنشق (طه) أنفاس السيجارة وهو يقول:

-"هل تعرف أن الكهرباء هي سر الحياة؟"

-"أرجوك لا تقل لي إنك (انسطلت) وبدأت في الهذيان!"

هز (طه) رأسه نفيًا بقوة وقال:

-"لا.. أتكلم بجدية. المخ يرسل الإشارات الكهربية لأعضائك ويستقبل الإشارات الكهربية من المدخلات، ومع ذلك فالمخ ليس هو مصدر الكهرباء، هو فقط منفذ لأوامرك أنت".

-"أنا؟"

-"أنت أقصد بها روحك. روحك هي المصدر العظيم للكهرباء، المفاعل النووي العبقري، الطاقة التي لا تفنى ولا تُستحدث من عدم".

-"أخبرني بكل ما في ذهنك".

ابتسم (طه) وقال:

-"أنت تعرف أنني بكامل وعيي، وأن ما أقوله هو الحقيقة. الكهرباء والطاقة حولنا في كل شيء، حتى الجمادات لها هالات من الطاقة، لو كتبت على ورقة بضع كلمات، سيصبح لها ترددًا مختلفًا عما كان قبل الكتابة. أنت تعيش في عالم من الكهرباء ومع ذلك توقفت الأبحاث حولها منذ عشرات السنين".

-"هذا الحشيش رائع!"

-"في بداية اكتشاف الكهرباء عكف الجميع على دراستها ووضعوا الخيالات لما يمكن أن يصلوا إليه لو استغلوا تلك الطاقة الغريبة،

لكن بعد الحرب العالمية الثانية اهتموا بأبحاث كالليزر والتكوين الذري وأهملوا التطوير حول أبحاث الكهرباء، ولم يأتوا بجديد".

-"الله عليك!"

-"هل تعرف أن (أينشتاين) استخدم الكهرباء في إحدى إثباتاته حول نظرية النسبية؟"

صمت وهو يستنشق بضعة أنفاس من السيجارة، ثم أطفأها وهو يقول:

-"حان وقت آخر مرحلة لبدء التجربة".

-"(ترامادول) وحشيش. هل تخفي راقصة في جيب بذلتك لنبدأ بعدها التجربة؟"

-"كيف عرفت؟"

شهق (عمرو) انبهارًا وهو يرمي السيجارة:

-"هل معك راقصة فعلًا؟"

فتح (طه) أحد الملفات الموضوعة أمامه على المنضدة وأخرج ورقة مطبوعة لجسد إنسان وعليها تشريح الأعصاب والأوتار والعظام بالكامل، وعلى بعض أجزاء الجسد رسم بقلم حبر أزرق بعض العلامات وكتب بعض الملاحظات بخط يده.

خلع (طه) جاكيت البدلة والكرافت والقميص والسروال وظل بقطعة تستر عورته.

-"والله العظيم انسطلت!"

قالها (عمرو) وهو يضحك. بينما ذهب (طه) لركن في المصنع يضع به أدواته وبضعة أمتار من الأسلاك. وانتقى لفة أسلاك نحاسية رفيعة من التي تُستخدم داخل أسلاك الكهرباء وتُسمى أسلاك الشعر.

-"ارتدي ملابسك يا (طه) وكفاك جنونًا!"

ظل (عمرو) يضحك وهو يشير بإصبعه ناحية (طه). الذي ابتسم بطرف فمه وهو يفك ربطة الأسلاك ويخرج من الكيس البلاستيكي ساعته الخاصة التي صنعها من البورسلين وقاطعة أسلاك صغيرة.

-"اتفقنا يا (عمرو) على أنك لن تسأل عن أي شيء إلا قبل التجربة. شاهد ولا تعترض".

قالها وهو يدقق في الصورة التي أمامه. ويقطع السلك النحاسي لقطع كل منها متر واحد فقط. بينما (عمرو) يشاهده بعدم فهم. فجأة أمسك بإحدى قطع السلك وأدخل طرفها في جلد معصمه كأنها إبرة خياطة.. برزت نقطة من دمائه فصرخ (عمرو) فيه:

-"ماذا تفعل يا مجنون؟!"

قالها وجرى يمسك بمعصمه. فدفعه (طه) برفق وهو يقول بعصبية:

-"اهدأ. لقد بدأت ولن أتوقف".

-"لن أتركك تفعل هذا يا غبي!"

قالها (عمرو) وهو يمسك يد (طه) محاولًا إيقافه. فدفعه هذا الأخير بقوة تلك المرة وصرخ فيه قائلًا:

-"ثق في هذه المرة.. اعتبرها الأخيرة. لن أتراجع عما أفعله!"

جلس (عمرو) على المقعد متسع العينين وهو يشاهد (طه) يلف طرف السلك على ساعده. ثم ينظر للصورة ويغرس طرف السلك بجانب كوعه وهو يجز على أسنانه.

فعل بيده الأخرى المثل. ثم أخذ قطعة سلك جديدة وغرس طرفها في بقية ذراعه اليسرى. وسحبها حتى لفها وأوصلها لإبطه وهو يغرسها بدقة.. برغم تدفق قطرات من الدماء من مواضع الغرس إلا أنه أكمل وهو يتحمل الألم. متسائلًا في نفسه عن مقدار الألم الذي كان سيشعر به لو لم يتناول قرص الترامادول.

-"أقسم بالله إنك جننت".

قالها (عمرو) كأنه يثبت موقفًا لا أكثر بينما هو جالس يراقبه.

لفّ (طه) جسده بالكامل بتلك الطريقة. صدره وخصره وفخذيه وقدميه. ثم قام بتوصيل تلك الأسلاك بعضها ببعض وهو يثني أطرافها عند التوصيل.

بقعة من الدماء تجمعت عند قدميه من خلال خيوط الدماء التي رُسمت على جسده العاري. أمسك بأطراف الأسلاك وأوصلها ببعضها جميعًا ثم أمسك ساعته وملأ زنبركها وضبطها على الساعة الثانية عشرة.

وأخذ سلكًا نحاسيًا قطع منه نصف متر. ثم وضع الساعة بعد فتح غطائها في كف يده اليسرى وقام بلف السلك حولها ليثبتها في يده.

ابتسم لـ(عمرو) وهو يخرج حزامين متقاطعين من الكيس البلاستيكي. الذي لم يبق داخله شيء. ثم سار بخطوات منهكة وألم الأسلاك المغروسة بجسده يحرق أعصابه. حتى وصل إلى الأجهزة المتصلة بالقاعدة الحديدة. ضغط على بضعة أزرار فسمع (عمرو) صوت أزيز بسيط.

-"بعد عشرين ثانية سيعمل الجهاز. لقد زودت المولد بمؤقت سيفصل الكهرباء بعد 15 دقيقة أتوماتيكيا. فلا تقلق".

قالها (طه) وهو ينظر لـ(عمرو) ويبتسم بإرهاق. ثم سار حتى وصل للقاعدة الحديدية وهو يقول بدون أن ينظر خلفه:

-"وعدتك أن أفسر لك ما يحدث. ومازلت عند وعدي. في أحد الملفات على المنضدة ستجد ظرفًا بني اللون. افتحه وستعرف كل شيء. هيا افتحه".

بحث (عمرو) بسرعة بين الملفات حتى أخرج الظرف. نظر لـ(طه) يقول شيئًا لكنه فوجئ به يقف فوق الموتور وسط للقاعدة الحديدية وهو يثبت نفسه في الصاري الحديدي بالحزام. حاول (عمرو) الاقتراب. لكن (طه) أشار إليه بالتوقف وهو يقول:

-"لا تقترب. فالآن سيبدأ المجال الكهرومغناطيسي. لا تخف علي يا صديقي. نلتقي قريبًا إن كان في عمري بقية".

ارتفع الأزيز أكثر. وفجأة دار الموتور بسرعة و(طه) يدور معه. في نفس الوقت ظهر ما يشبه خيوط البرق تتصل بين الألواح الخشبية وتمر بجسد (طه) الذي يدور بسرعة شديدة.

مزّق (عمرو) جزءًا من الظرف وهو يخرج ما به بسرعة. وجد بضعة أوراق. أول ورقة مليئة بحسابات كثيرة شعر أنه ليس لديه البال الرائق لقراءاتها.

الورقة الثانية حملت رسمًا تفصيليًا للقاعدة والموتور والصاري وداخلها رسم لإنسان. أما الورقة الثالثة فكُتبت بخط اليد:

"تجربة رقم 46:

نوع التجربة: تكوين مجال كهرومغناطيسي متزايد بشكل تدريجي يمر بجسد المتطوّع للتجربة بعد غرس أسلاك النحاس كما هو موضح في الصور التعريفية لصنع دائرة مغلقة. ووضع جسده على موتور بسرعة كافية ليصبح المجال كافيًا ليمر داخل الأسلاك النحاسية.

مسار التجربة: يتصل الجهاز المستخدم بدائرة كنترول وموقّت. عندما يتولد المجال الكهرومغناطيسي يصبح جسد المتطوّع موصل جيد للمجال بعد أن تثبت الأسلاك بجسده. ثم يتولد داخل الأسلاك النحاسية في جسد المتطوع مجال كهربي جديد بعد فترة من الشحن.

فترة شحن الأسلاك: تُفرَغ الطاقة من الأسلاك بعد 3 ساعات و7 دقائق و45 ثانية.

هدف التجربة: التأثير على ذرات المتطوع عن طريق المجال الكهرمغناطيسي لنقله لبعد آخر. وتحويل سرعة ذرات جسده لنفس سرعة ذرات جسد الجان، أي نقل المتطوع لعالم الجان لفترة 3 ساعات و7 دقائق و45 ثانية. بعدها ينتهي المجال الكهربي من الأسلاك ومن جسد المتطوع.

توقع لأضرار التجربة:

1 - يُحرق المتطوع قبل الانتقال.

2 - هلاوس سمعية وبصرية بعد الانتقال.

3 - بعد تفريغ الأسلاك النحاسية لا يعود جسد المتطوع لعالم البشر كما كان (خطر التشويه)"

4 - توقف القلب بعد الانتقال.

رفع (عمرو) عينيه المتسعة هلعًا من على الورق وهو ينظر لـ(طه). شهق عندما فوجئ بشيء يشبه الضباب يدور حول القاعدة الحديدية. فجأة اختفى جسد (طه) وانقشع الضباب.

نظر (عمرو) للورق غير مصدّق. فوجد عبارة كُتبت بخط صغير في آخر الورقة التي كان يقرأها:

"ملحوظة: لو تم انتقال المتطوع لعالم الجان. فالـ 3 ساعات و7 دقائق و45 ثانية يتم حسابها بتوقيت عالم الجان لا عالم البشر".

***

الفصل السابع

الطلسم

-"أعرف أنك تتعذب منذ الأمس".

قالها (مهران) وهو يضع في فمه كسرة خبز بطريقة تُظهر عدم اهتمامه بالطعام. فابتسم له (يونس) بود قائلًا بالفارسية:

-"لمَ يا بني؟"

في تلك اللحظة جاءت (مروى) بطبق لحم لتضعه على الطبلية الصغيرة. دعاها أبوها لتجلس بجانبه حتى تأكل معهما. جلست على استحياء وهي تختطف نظرات قليلة لـ(مهران) بين الحين والآخر.

-"منذ أن حملني الناس من بيتك وطافوا بي ثم أعادوني وهم لا يتركون ساعة إلا ويأتي أحدهم ليطرق بابك".

-"ليقبلوا يدك ويتبركوا بك".

ظهر الخجل جليًا على وجه (مهران) وهو يتوقف عن الأكل، فقالت (مروى):

-"لماذا توقفت يا (مهران)؟ أكمل طعامك".

نظر لعينيها وهو يقول بلغة عربية:

-"شبعت.. شكرًا لك".

ابتسمت (مروى) قائلة:

-"تتحدث العربية. لماذا إذن تتحدث مع أبي بالفارسية دائمًا وتتركني أشعر بالغباء كل هذا الوقت؟"

ابتسم لها وهو يقول بلغة عربية ثقيلة النبرات:

-"أعرف الكثير من العربية من القرآن.. أسف لم أفهم كل ما قلتِ".

-"مرحى يا (مهران). أراك تبتسم مثلنا".

قالها (يونس) بالفارسية. فنظر له (مهران) واختفت الابتسامة وهو يقول بالفارسية:

-"أنا مثل كل الناس. لكنهم لا يروني كذلك".

ظلّت (مروى) تنظر له حتى انتبه لها (يونس). فتنحنح وهو يطلب منها تناول الطعام. كانت تضع اللقمة وهي تختلس النظرات لـ(مهران) بلا قصد. أما (يونس) فقال بالفارسية:

-"الناس تراك مباركًا. فلِمَ ترفض ذلك؟"

-"لأنني لست كما يظنون".

-"وهل عندك تفسير لنومك في القبر طوال السنوات السابقة؟"

-"أي تفسير لا يعتمد على تقديس الناس لي".

-"أنت غريب بحق يا (مهران)".

-"غريب؟!"

-"ترفض ما يتمناه غيرك. الجاه والسلطة الروحية في بلدك. غيرك يدفع الكثير ليحصل عليها".

ابتعد (مهران) قليلًا عن الطبلية وظل في وضع الجلوس وهو يقول:

-"لو كنت مبروكًا أو وليًا أو إمامًا لعرفت. الناس هي من رسمت إطارًا وتريدني داخله. ولن أقبل بهذا ولو كان المقابل حياتي".

-"وما الذي نويته يا بني؟"

رمق (مهران) الأرض مفكرًا. جاء صوت طرقات الباب فنهض بسرعة وهو يقول لـ(يونس):

-"اتركني أنا لأطرد من سيأتي".

جرى ناحية الباب بغضب وفتحه وهو يتخيل ما الذي يمكنه فعله بالقادم.

بمجرد أن فتح الباب تراجع للوراء مصدومًا لوهلة. كان يرى رجلًا لكنه يختلف عن أي رجل قابله منذ أن عاد من القبر.

لا يختلف في الشكل ربما. لكنه يختلف في الهالة التي تحيط به. لقد تعوّد أن يرى هالة حمراء اللون تُشبه الخيال تُحيط بالناس. لكن هذه المرة وجد ألوانًا مختلفة تحيط به.

الصدمة لم تصبه فقط من هذه الألوان. لكن من الجان المحيطين بالرجل. لقد ميّزهم بسهولة لأنه تعوّد منذ الأمس على رؤيتهم يتحركون في منزل (يونس) والشوارع التي طاف به الناس فيها. لكنه لأول مرة يرى الجان يقفون بجانب رجل. ويحملون سيوفًا رفيعة صغيرة في حجم الخناجر.

-"سمعت بالرجل العائد من الموت فجئت من بلدتي القريبة لأراه. أنت هو. أليس كذلك؟"

قالها الرجل وهو يتقدم لداخل المنزل والجن المحيطون به يتحركون بسرعة. أحدهم -وكان أضخمهم- جرى تجاه (مروى) ووقف بجانبها. وآخر وقف بجانب (يونس). أما البقية فانتشروا في الصالة وملأوها في أقل من ثانية.

تراجع (مهران) خطوات قليلة وعيناه تتأمل حركة الجان بينما الرجل يقول وهو يقترب منه:

-"أرى أيضًا أنك ترى رجالي من الجان.. شيء مثير حقًا. قل لي يا فتى، ما حكايتك وكيف استطعت البقاء في القبر؟"

توقف الرجل أمام (مهران) تمامًا. ثم فجأة أمسك رقبته بيد واحد وهو يضحك ويقول:

-"تكلم أيها الطفل أم أجعل رجالي يجبرونك على ذلك؟"

صدرت حشرجة اختناق من فم (مهران). فصرخت (مروى).

-"أسكتها يا (خورشيد)".

قالها الرجل فمدَّ الجني الضخم يده وقربها من رأس (مروى). انتفضت فجأة ووقعت مغشيًا عليها. أسرع (يونس) إليها محاولاً إنعاشها بلهفة.

نظر (مهران) -الذي كان يختنق- بطرف عينيه لـ(مروى) فاقدة الوعي ثم للرجل القابض على رقبته.

حرك يده اليمنى ملوّحًا بها بيأس فرأى ما جذب انتباهه. عندما لوّح بيده لامست كفّه بعض الخيوط الملونة المنبعثة من رأس الرجل. شعر بشعور لم يفهمه لحظتها. لو عاش كان يعيش في هذا العصر لفهم أنه شعور الكهرباء الاستاتيكية التي تداعب اليد

حرك (مهران) يده حول رأس الرجل بدون ملامستها فتقطعت كل الخيوط. تركه الرجل وهو ينظر حوله مفزوعًا. رمق (مهران) قائلا بغضب:

-"أين رجالي؟"

أخذ (مهران) نفسًا عميقًا وهو يقول بصعوبة:

-"رجالك مازالوا حولك".

فرد (مهران) ظهره ودفع الرجل بقوة بيديه. فطار الرجل مسافة غير طبيعية تخطت الأمتار الثلاثة. ثم وقع أمام باب المنزل.

أخذ الجان جميعهم ينظرون في أركان المنزل باحثين عن سيدهم. فمدّ (مهران) يده لأقرب الجان الواقفين فاخترقت جسده. رمقه الجني بدهشة.

لم يعرف (مهران) السبب وراء ما فعله. لكنه أغلق قبضة يده وهي داخل الجني. فوقع الأخير على الأرض ميتًا من فوره. رمق كل الجان (مهران) بفزع. وتقدم أحدهم منه ففعل به (مهران) ما فعله بالآخر. لكن بشكل أسرع هذه المرة.

تراجع الجان جميعًا واختفوا فجأة من المنزل.

بينما اتجه (مهران) للرجل الذي كان يمسك صدره متوجعًا وهو مازال ملقى على الأرض. توقف بجانب رأسه. فسأله الرجل متوجعًا:

-"كيف فصلت خدامي عني؟ من أنت؟"

-"لم أعرف بعد من أنا. لكن كل ما أعرفه أنك أضعف من أن تقف أمامي".

قالها وأمسك بملابسه يرفعه منها كأنه يرفع طفلاً في المهد. والعجيب أن مهران لم يشعر بمشكلة في رفعه بهذه السهولة. قذفه بعيدًا فطار الرجل بضعة أمتار قبل أن يصطدم بحائط المنزل المقابل.

انتبه (مهران) لـ(يونس) الذي مازال يحاول إيقاظ (مروى) دون جدوى.

رأى حول رأسها نقطة ملونة تختلف عن بقية الهالة المحيطة بها. اقترب منها ووضع يده بالقرب من رأسها عند تلك النقطة ولمسها.. خرج شرد كهربي من يده حوّل لون النقطة إلى نفس اللون المحيط بـ(مروى).. فتحت تلك الأخيرة عينيها وهي تشهق بفزع وتنظر حولها. احتضنها والدها ودمعة تتساقط من عينيه خوفًا عليها. هنا قال (مهران):

-"سألتني ما الذي نويت فعله. الآن عرفت. سأبتعد عنكما كي لا تطالكم مشاكلي".

رمقه (يونس) وقال بعد أن تمالك نفسه:

-"سنعود أنا وابنتي غدًا للمحروسة. إن أردت المغادرة معنا فسيكون مرحب بك".

***

في رحلتهم إلى مصر تعلم الكثير من العربية واللهجة المصرية على يد (مروى) و(يونس). دخلوا القاهرة من باب اللوق. فوجدوا المحروسة قد تزينت لانتصار (محمد بك أبو الدهب) في دمشق على جيش الدولة العثمانية.

كان (يونس) يتقدم القافلة و(مهران) يحتل مؤخرتها. وبعد أن قام الأول بإناخة جمال القافلة بساعده الأخير والحمالون. لكز (مهران) فرسه ليصل بسرعة لهودج (مروى). أناخ الجمل ففتحت (مروى) فتحة الهودج وابتسمت له. فقال بلغة عربية:

-"سأذهب الآن لأطلب من الشيخ (يونس) شيئًا عزيزًا. ادعُ لي أن يقبل".

قال عبارته وسار بفرسه وهو ينظر بين الحين والآخر لهودج (مروى). التي كانت تطل برأسها منه. وعندما وصل لـ(يونس) وجده يرشد الحمالين بعدما نزل عن فرسه. نزل (مهران) هو الآخر واقترب منه حتى أصبح على مسافة كافية ليقول بتهذيب:

-"شيخ (يونس). عاملتني كابن لك منذ كنا ببلدي. وتحملت الأذى الذي أتى من ناحيتي. ولكني مازلت أطمع في طلب ما. أريد الزواج بابنتك".

لم يجبه (يونس) وكأنه لم يسمعه. وهو يشبر للحمالين بتركيز. صدم (مهران) من ردة فعله. فنظر للأرض بخجل وهو يجهز كلمات الاعتذار. لكن (يونس) قال فجأة دون أن ينظر إليه:

-"مهر ابنتي أن تعمل معي وتحمل عبء تجارتي".

ثم نظر له وابتسم وهو يحتضنه.

-"سأعيش لأجلك ما بقي لي من عمر يا شيخ (يونس)".

-"يكفيني أن تعيش لابنتي. ولا تقل لي يا (شيخ) مرة ثانية. نادني أبي".

نظر (مهران) لـ(مروى) وابتسم لها والفرحة تطلّ من عينيه لأول مرة منذ ميلاده.

***

انتهى من قراءة الكلمات وأعطى ظهره لتلك الدائرة الممتلئة بالرموز التي رسمها منذ قليل. ظل الشاب مغمض العينين وهو يرتجف. ومن خلفه تحرك ذلك الكائن الغريب وهو يتجه ناحيته.

كان الكائن متوسط الطول لا يرتدي شيئًا تقريبًا. ولكن الغريب أن جلده كان مغطى بالكامل بالشعيرات الطويلة. وفي أعلى رأسه وبين الشعيرات قرنان صغيران يخرجان منه.

أما الشاب فيرتدي ملابس غريبة بعض الشيء لا تمت لهذا العصر.

ملامحه غريبة. تعطيك انطباعًا أنها ليست ملامح عربية. ربما كانت في وجهه لمحة من الوسامة لا تخفى. بالرغم من حدة وجهه والتصاق حاجبيه.

كان في غرفة خالية تمامًا وهناك شمعة صغيرة بجانبه على الأرض. مغمض العينين وقد أعطى ظهره للكائن.

الحوار يجري بينهما بلغة غريبة تشبه العربية. إنها الفارسية.

"- ماذا تريد أيها الطفل؟"

انطلقت العبارة من الكائن. انطلقت بنبرات خافتة جعلت الخوف يسري في جسد الشاب الذي ردّ بنبرات مرتعشة:

-"أريد القوة. القوة المطلقة والأمان باقي حياتي".

اقترب الكائن من الشاب أكثر حتى أصبح على مسافة سنتيمترات منه ثم مال برأسه على أذنه وقال:

-"إذا أردت القوة سنعطيك بعضها. ولكن إذا أردت السيطرة فيجب عليك تقديم قرابين من البشر".

قال الشاب وهو يرتجف:

-"أوافق".

فقال الكائن:

-"إذن أدر وجهك لي ولا تفتح عينيك. ونفذ كل ما أقوله لك"

أدار الشاب وجهه نحو الكائن. فإذا به (مهران).. ابتسم وهو يفتح عينيه فزع الكائن وهو يهتف:

-"أنت؟!"

أمسكه (مهران) من رقبته وهو يقول:

-"كيف حالك يا (خورشيد)؟"

-"كيف قمت بتحضيري؟"

قالها الجني والألم يتجلى على وجهه.

-"لقد تركت أثرًا منك عند ملامستك لرأس (مروى).. والآن قبل أن أقتلك ستخبرني بأسماء كل من حضر مع سيدك الساحر من جان منذ قليل. أريدهم أن يحضروا لهذه الغرفة الآن".

-"كيف.. كيف تفعل تلك الأمور؟!"

ابتسم (مهران) أكثر وهو يقول:

-"لأني نصف بشر نصف جان. صدقني لقد تفاجأت مثلك تمامًا. والآن هيا لننهي عملنا".

***

فتح (مهران) باب غرفته في منزل (يونس) وخرج إلى الصالة فوجد هذا الأخير جالسًا على المقعد المجاور للباب شاردًا.

-"كيف حال (مروى) الآن؟"

-"بخير. نامت بغرفتها منذ قليل".

-"الحمد لله".

قالها (مهران) فرمقه (يونس) طويلًا. نهض من مقعده ووقف أمامه. ثم وضع يده على كتفه قائلًا:

-"لم أسألك يا بني عن تلك الأشياء التي طلبتها من عند العطار وأحضرتها لك. ولن أسأل عن الأصوات التي سمعتها الآن من الغرفة. ولا الأضواء التي رأيتها من فتحة الباب. لكن ما أرجوه فقط أن تعرف أنني أحببتك بلا سبب واستأمنتك على حياتي أنا وابنتي. فلا تخن الأمانة".

-"لا تقلق. ما فعلته الآن في الغرفة كان لضمان أمانكما. وإن أردت أن تعرفه فسأخبرك".

-"قلت لك لا أريد معرفة شيء. جهز نفسك لنتحرك غدًا. سنعود لأرض الأمان.. المحروسة".

***

طرق (عماد) باب شقة (حازم) وهو يفكر فيما حدث مع (يسري) منذ قليل. فتحت (رقية) الباب. فابتسم لها (عماد) وكاد يقول شيئًا ولكنها عاجلته قائلة:

-"أستاذ (عماد). حدث سوء تفاهم بسيط بين (إسلام) وأستاذ (حازم). أرجو أن تتفهمه".

فتحت له الباب فرأى (إسلام) يجلس على طرف الأريكة يضم ركبتيه معًا وهو ينظر للأرض حزينًا. بينما جلس (حازم) على مقعد آخر وهو يضع يده على جانب وجهه وعلامات الألم تبدو واضحة عليه.

دخل (عماد) وهو يستفسر عما حدث. فحكت له (رقية) كل التفاصيل منذ دخلا إلى أن أغشي على (حازم) وأفاق بعد دقيقة.

-"الألم يقتلني. كأنني ضُربت بمطرقة".

قالها (حازم). فنظر (عماد) مدققًا في وجهه وهو يقول:

-"لا أرى تأثيرًا للكمة قرين (إسلام) على وجهك".

-"صدقني لولا حيائي من وجود فتاة معنا لصرخت من الألم الذي يعصف بعظام وجهي!"

-"أين ذهب قرينك يا (إسلام)؟"

قالها (عماد). فأسرعت (رقية) تطمئن (إسلام):

-"لا تخف. فهو يعرفك من فترة".

-"أسف لما حدث لـ(حازم). لا أعرف كيف تصرف قريني هكذا من تلقاء نفسه. عندما فزعت مما حدث اختفى فجأة".

-"عليك أن تعرف بأن قرينك يتحرك بإحساسك. عندما شعرت بالغضب من (حازم) نفذ قرينك إرادتك وعاقبه. وعند شعورك بالذنب اختفى ببساطة".

قالها (عماد). فقال (حازم) بسرعة وهو يشير له بيديه:

-"هذا ما فهمته أنا أيضًا".

جلس (عماد) على مقعد بجانب مقعد (حازم). بينما جلست (رقية) بجانب (إسلام) الذي أمسك يدها بسرعة. تعلق نظر (عماد) بيديهما المتشابكة للحظة قبل أن يشيح بنظره عنهما ويقول:

-"عرفنا الآن بعض الأفكار عن استخدامك لقرينك. هو يحميك بكل الطرق وفي نفس الوقت هو طوعك. يطيع أوامرك التي تتلفظ بها. وأيضًا الأوامر التي تصدر من عقلك. والآن بقى أن نطبق كل ما عرفناه بشكل عملي. فكّر بقرينك الآن يا (إسلام)".

-"لا نريد مشاكل ثانية يا أستاذ (عماد)".

قالتها (رقية). فردّ عليها:

-"لا تخافي. فقد عرفنا الآن أن قرينه يطيعه طاعة عمياء. لذلك لن يضرّنا إلا لو أراد (إسلام) نفسه ذلك".

نظرت (رقية) لـ(إسلام) وقالت:

-"افعل كل ما يقوله أستاذ (عماد)".

ثم أكملت بنبرة متوسلة:

-"لكن أرجوك احذر من أذية أي أحد".

هز رأسه متفهمًا ونظر أمامه مفكرًا في قرينه. لم يحدث شيء فقال (عماد):

-"ما رأيك أن تفكر في أن يأتي قرينك الآن من المطبخ؟"

لم يكد (إسلام) يفكر في ذلك إلا وجاء قرينه من المطبخ يسير بخطوات سريعة.

-"فكّر في أن يتوقف أمامك ويرفع يده اليمنى عاليًا".

فعل القرين ما فكر فيه (إسلام) وظل مثبتًا على وضعيته. ابتسم (عماد) واعتدل في مقعده وهو يقول:

-"فكّر في سؤاله عن (حبيبة)".

لم يتكلم القرين. فقال (عماد):

-"اسأله بصوتك".

-"من هي (حبيبة)؟"

-"هي الفتاة التي أحبها صديقك (يوسف)".

قالها القرين. فقال (حازم):

-"الحمد لله. مازال يحتفظ بكامل ذكرياتك على ما يبدو.. لكن لم يخاطبك كأنك شخص آخر برغم أنه يتذكر ذكرياتك؟!"

-"أعتقد لأن له شخصيته المنفصلة عنه من البداية. كل ما حدث أنهما انفصلا جسديًا فقط".

قالها (عماد) فخاطب (إسلام) قرينه فجأة سائلاً:

-"هل كنت أثق في هذين الشخصين؟"

واشار بيده تجاه (حازم) و(عماد). فنظر القرين لهما ثم قال:

-"وثقت في (عماد) منذ أول يوم قابلته. أما (حازم) فشعرت بالقلق من ناحيته لاستخدامه الجان لكنك اطمننت له مع الوقت".

-"و(رقية) هل أثق بها؟"

-"لا أعرف شيئا عنها".

قالها القرين بملامحه الجامدة. فقال (عماد):

-"كأن قرينك يحتفظ بكل شيء قبل الحادثة. أما حياتك بعدها فيجهلها!"

***

كان مغمض العينين وألم شديد يزيد بسرعة تدريجية عند مداخل السلوك النحاسية في جسده. شعر (طه) بألم يجتاح ذراعه اليسرى مختلف عن بقية آلام جسده. انعصر قلبه بشدة فتساءل إن كان يتعرض لأزمة قلبية؟

ضغط يزداد على أذنه وصداع برأسه. فكّر متفائلا بأن كل تلك الكمية من الآلام المختلفة لن يدركها لصعوبة تقبلها على مخه. فعلًا لم يعد يشعر بكل الآلام وهو يدور بسرعة مع الموتور. خُيل إليه أنه يسمع أصواتًا مختلفة تتحدث بنبرات غريبة.

فجأة خبئت اوجاعه دفعة واحدة. وظهر ألم غريب بجسده جعله يصرخ بكل ما استطاع.

اختفى الألم. وتوقف جسده عن الدوران، بل شعر بنفسه يتزلق بنعومة كأنه على زلاقة أطفال. فتح عينيه فوجد نفسه يجلس على الأرض أمام الجهاز الذي كان يقف عليه. والجهاز يدور خاليًا بسرعة. نظر حوله فرأى الكثير من الكائنات تسير بشكل طبيعي. خاطب نفسه قائلًا بصوت عالٍ:

-"لقد نجحت!"

سمع صوته حادًا بطريقة ضايقته. تنحنح وقال كلمة أخرى فعلم أن صوته قد تغير تمامًا. نظر حوله ثانية فوجد (عمرو) يقف مبهوتًا يمسك الأوراق التي تركها له بيده وينظر للآلة الخاوية. ألقى نظرة على الساعة المثبتة في كفّ يده. وجد عقرب الثواني لا يتحرك ففكر أنه لو صدقت حساباته فالوقت يمر الآن بتوقيت الجان. لذلك ستتحرك ساعته ببطء شديد. نهض فأحس بجسده خفيفا يكاد يطير في الهواء.

-"ما هذا؟"

صرخ بها صوت حاد يشبه تردد صوته لكنه مختلف قليلًا. نظر لمصدر الصوت فوجده جني يشير إليه بإصبعه.. تعالت أصوات بلغات مختلفة من الجن الآخرين. وجرى البعض واختفى البعض فجأة. أما (طه) فقد تحرك بخفة لموقع (عمرو) ينظر له متأملًا الهالة التي

تحيط به وخياله الذي يمثل جسده تماما كأنه مزدوج. لكن الخيال يبرز عن الجسد سنتيمترًا واحدًا فقط.

-"أهذا قرينك يا (عمرو)؟"

قالها (طه) وهو يبتسم ويتأمل جسد (عمرو) جيدًا. ثم نظر للمنضدة فرأى هالة رمادية تحيط بها. وكل ورقة وكل قطعة على المنضدة تحيط بها هي الأخرى هالات رمادية ترسم أشكالًا مختلفة في الهواء.

ذهب للمنضدة ووضع يده عليها فمرت يده منها. ضحك فرحا وهو يحاول مرارًا وتكرارًا.

كان يشعر بكهرباء خفيفة تسري في يده وهو يمرر يده عبر المنضدة. وضع يده على المنضدة مرة أخيرة وحركها بسرعة كما تعلَّم من (الجساس) عندما حبسه. خرجت شرارة كهربية من يده وشعر بملمس المنضدة. طرق عليها بقوة ففزع (عمرو) وهو ينظر للمنضدة مندهشًا.

لم يتخيل (عمرو) أن يأتي صوت دقة بهذه القوة أثناء عمل الجهاز الخالي الذي مازال يصدر الكثير من الضوضاء.

نظر للمنضدة فلم ير شيئًا لكنه سمع صوتًا يحدثه في أذنه. صوت حاد غريب يقول ببطء:

-"لا تخف.. أنا (طه). أغلق الآلة وعد لمنزلك. نجحت في الانتقال".

***

-"(سنان) يحتفظ بالكثير من أسرارنا. لو تكلم قبل اختفائه سنضطر لتغيير كل خططنا".

قالها الجني للمخلبي الذي رد بسرعة:

-"(سنان) لن يتكلم. أنا أعرفه أكثر من نفسي".

ثم أطرق يفكر قليلًا حتى قال:

-"لكن لو تكلم. وهذا احتمال ورد لخاطري الآن.. ستفشل كل تحضيراتنا. وخاصة لو تكلم لاتحاد الممالك".

-"إذن سنضطر لتغيير كل شيء!"

-"لا".

قالها (المخلبي) وغرق في صمت تام مفكرًا.

-"اسمع يا (راكان). الحل الوحيد أن نقدم موعد فتح البوابات".

-"لكن جيشنا وبقية التحضيرات لم تجهز بعد".

-"لا وقت. سنفاجئ جيش اتحاد الممالك ونقوم بالخطة كما هي. لكن الوقت هو الفارق".

-"ومتى سنبدأ؟"

-"سنبدأ تحركاتنا من الآن. واحرص أن تصل لجاسوس (يصفيدش) معلومات غير صحيحة عن تحركاتنا".

-"لن يستطيع ابلاغ (يصفيدش). فلا أرى داعيا لننهه بالتحركات".

-"في كل الحالات سيعلم الجميع بأمر التحركات. لكن أملنا أن نحصلهم في التحركات نفسها".

***

-"تطلب اللقاء وأجدك هنا في الحمام؟"

سمع (عبد الكريم) صوت الجني المسؤول عنه يتحدث من خلفه. فنظر له بسرعة وهو يضع سبابته أمام فمه:

-"هششششش.. ستوقظ زوجتي من قيلولة العصر".

-"طلبك للقاء يعني أنك عثرت على شيء جديد".

أخرج (عبد الكريم) من جيب سروال منامته ورقتين فردهما وقال بصوت خافت:

-" اكتشفت شيئا في الكلمات التي أعطيتك إياها وتتحدث عن العفاريت".

-"قل ما عندك".

فرد (عبد الكريم) الورقتين وأشار لإحداهما وهو يقول:

-"هذا هو ما أعطيتك إياه. والذي لا يعني شيئا. لقد تأملته كثيرا حتى توقعت أنني رأيت شيئا مألوفا فيه. لكنني لم أكن أعرف ما الذي يعطيني هذا الشعور. حتى تنبهت للجزء المألوف لي".

أشار بيده للورقة الثانية.





-"هذه ليست حروفا ولا طلاسم، لقد شعرت من البداية أنها مألوفة. لكن بسبب كتابتها بهذا الرسم وتلك الطريقة لم أتعرف إليها.. إنها الأعداد في الأبجدية القبطية".

-"أنا أعرف القبطية لكني لا أراها".

-"ذلك لأن كل رقمين أو ثلاثة أرقام كُتبت فوق بعضها البعض فضاعت ملامحها واعتقدناها كلمة. لكن الحقيقة أننا أمام أرقام كُتبت بشكل مشفّر".

-"مشفّر!"

***

انتهى (عماد) من إعداد شطائر خفيفة، وخرج للصالة بصينية الطعام ليجد هذا الأخير جالسًا يتحدث مع (قاصيم) بالاوردية.

-"لا وقت الآن للتحدث بلغات غير العربية".

قالها (عماد) وهو يضع الصينية ويجلس على مقعد بجانبها.

-"نتحدث حول قوة قرين (إسلام)".

-"وتتحدثان حول الفتاة التي ترافقه أيضًا. لقد التقطت كلمة فتاة بالأوردية".

ابتسم (حازم) وهو يتناول شطيرة من أمامه ويقضم قطعة كبيرة منها ويقول:

-"هل لاحظت تعلقه بها؟"

-"نعم.. كأنها أمه التي لا يثق إلا بها".

-"وهل ترى هذا التعلق المرضي في صالحه أم..."

قاطعه (عماد):

-"لا أعرف ولا أستطيع تخيل نفسي موضع (إسلام). لعلّ هذا التعلق هو أمله الوحيد للحياة".

-"لكنه ينفّذ كل ما تقوله، ماذا لو أمرته بمهاجمتنا؟"

لم يردّ (عماد) وظلّ ينظر للأرض في شرود كأنه لم يسمعه. توقف (حازم) عن المضغ وهو يقول:

-"يبدو أن معرفتك بصلة أصدقاء (يوسف) ودكتور (يسري) مازالت تضايقك".

انتبه (عماد) وقال وهو يهز رأسه نافيًا:

-"لم أتضايق من تلك الصلة. لكنني تذكرت دفعة واحدة كل من ماتوا بسبب ما يحدث".

- وبالتأكيد تذكّرت قريبك رحمه الله".

قالها (حازم) بأسى. فهزّ (عماد) رأسه موافقًا وهو يعقد ذراعيه أمام صدره.

-"عرفنا شيئًا جديدًا بخصوص العفاريت".

جاء صوت (يصفيدش) يحمل تلك العبارة من ركن الصالة. فنظر الاثنان لمصدر الصوت ليجداه يقف بآخر هيئة ظهر بها أمامهما.

كان (حازم) أول من تقبل المفاجأة. فسأل بسرعة:

-"ما الجديد؟"

تقدم (يصفيدش) وهو يطلب ورقة وقلمًا. فجلبهما (عماد) له. أعاد (يصفيدش) رسم الطلاسم التي حفظها ثم علّم آخر جزء وهو يقول:

-"هذا الجزء عبارة عن أرقام باللغة النبطية لكنها كُتبت فوق بعضها".

اتسعت عينا (عماد) وهو يقول:

-"كيف لم أنتبه لها من البداية!"

أخذ الورقة وقربها من عينيه وهو يتفحصها ويقول:

-"نعم. أستطيع استخراج الأرقام. هذا (أشمين) وفوقه رقم (صوو) وهذا (ميت) و..."

قاطعه (يصفيدش) قائلا:

-"لقد استخرجنا الحروف قبلك ويمكنك مع معرفتك بالقبطية أن تستخرجها. لكنها غير مرتبة. هي شفرة يمكن أن تكون المفسرة لما قبلها. ويمكن أن تكون المرشدة للعفاريت. لكننا فشلنا في فكها".

-"واضح أنها شفرة ذات مفتاح. ولن يكسرها إلا مفتاحها".

قالها (عماد) وهو مازال يدقق في الورقة. فقال (يصفيدش):

-"أعتمد عليك الآن في الوصول للعفاريت".

-"ما قلته الآن أرجو أن يفيدني. ولو أنني لا أعرف كيف أصل للمفتاح".

-"هناك شيء آخر.. بدأت تحركات (المخلي) قبل موعدها".

-"من أخبرك؟"

قالها (حازم).

-"هو من سرَّب لي هذه المعلومة عن طريق جاسوس لي".

-"سربها؟"

-"نعم.. أخبر بها جاسوسي لينقل لي تحركاته كاملة".

-"إذن فهو يكذب ليضللك؟"

قالها (عماد).

-"لا.. هو لا يكذب، ربما ضللني بتحركاته. لكنه طالما قال سيتحرك باكرًا فسيفعل. شقيقي وأعرفه".

-"ولِمَ يخبرك من الأصل؟"

-"لأنه عند تحركه سيعلم الجميع. لذلك يحاول كسب أي نقطة لصالحه".

-"والعمل؟"

-"أملي الوحيد هو استيقاظ (يوسف) وجدّه (الحلاج) قبل فتح الأبواب".

-"لماذا؟!"

-"لأنهما سيوقعان بالمخلي في شباكي".

***

-"اهدأ ولا تأكل كأنك تأكل آخر زادك!"

قالتها والدة (حامد) له وهو يحشو فمه بملعقة أرز. تلتها ملعقة من السلطة. تلتها قطعة لحم لا تجد مكانًا داخل فمه لكنه يجبرها على الدخول. مع قطعة طرشي يتدلى طرفها من فمه.

كانت تجلس أمامه على منضدة الطعام بعد أن جهّزت له طعام الغداء عند مجيئه متأخرًا.

-"قل لي ما أخبار دراستك؟"

-"كلتهمامحله".

-"ماذا؟"

ابتلع ما في فمه وقال:

-"كل شيء تمام. الحمد لله".

قالها وحشا فمه سريعًا بالطعام كأنه يخشى عليه ألا يعمل لفترة.

-"وأخبار قدمك؟ هل تعاني من أي ألم فيها؟"

-"كلتهمامحله".

رن جرس هاتفه المحمول الملقى بإهمال على أريكة في الصالة.

-"ألن تردّ على هاتفك؟"

-"كلتهمامحله".

نهضت الأم وأحضرت الهاتف وألقته امامه على المنضدة. فنظر له مفزوعًا عندما وقعت عيناه على رقم مأمور قسم (روض الفرج). ابتلع الطعام بسرعة وشرب القليل من الماء وتحشأ قبل أن يهجم على الهاتف وهو يردّ بسرعة:

-"أهلًا بحضرتك!"

-"أمسك ورقة وقلمًا واكتب ما سأمليه لك".

مسح يده اليمنى في منديل ورقي موضوع بجانبه وجرى لغرفته ليجد الورقة والقلم. بينما يسأل وهو يبحث:

-"هل توصلت بهذه السرعة للشخص؟"

-"اعتمدت على بضعة مخبرين سألوا بوابي تلك العمائر. وكان الموضوع أسهل مما تخيلت".

-"هل له علاقة بالكهرباء؟"

-"يدرس في قسم الكهرباء بالهندسة. وقد بحثت وراءه فوجدته قد أجر مصنعًا بالقرب من منزله ونقل بعض الأجهزة من شقته لذلك المصنع".

-"وجدت قلمًا".

-"اكتب عندك الاسم التالي.. (طه عباد)".

فسقط القلم من يد (حامد).

***

الفصل الثامن

المزامير

1775م (المحروسة)

جلس (مهران) خلف مكتب داخل أحد مخازن الشيخ (يونس). وهو يرتدي جلبابا وقفطانا متعمما بعمامة بيضاء. يمسك دفترا كبيرا وقلما من الخشب يغمسه في المحبرة الموضوعة على مكتبه المطرز بالأرابيسك الحسيني. يحسب منذ ساعة على أصابعه ميزانية الشهر. جاءه أحد الصبيان يخبره بأدب أن التاجر (علي القماش) يطلب مقابلته. فأخبره أن يُدخله بسرعة ويذهب لإحضار قدحين من القهوة.

دخل عليه (علي) يحمل لفافة كبيرة وضعها على طرف المكتب قائلا بابتسامة:

-"أفضل صوف من الهند خصيصا لحرمكم".

نهض (مهران) واحتضنه بود وابتسامة حملت الكثير من القلق. ثم أجلسه على المقعد المواجه لمكتبه وجلس بجانبه وهو يربت على ظهره قائلا بلهجته المصرية التي مازالت تحمل لكنة أجنبية:

-"أنرت المحروسة يا صديقي. متى عدت من رحلتك؟"

-"أمس ليلا. بالمناسبة. لقد مررت على بلاد الفرس.. بلدك. وأقمت فيها قليلا قبل أن أكمل طريقي".

-"أين نزلت هناك؟"

-"(فرح أباد) بخوزستان.. لم أكن أعرف أن هناك سُنة في بلدك".

ابتسم (مهران) بمجاملة وقال:

-"هناك بعض السُنّة في محافظتنا".

-"الحقيقة يا صديقي لولا أنك جعلتني أدرك بأن الشيعة لا يختلفون كثيرًا عن السُنّة لما تاجرت معهم".

-"أنا الآن من السُنّة، وأصلي وأصوم وأقرأ القرآن كما كنت أفعل في الشيعة.. دعك من هذا الآن، لِمَ أتعبت نفسك وأحضرت هذا؟"

-"لا تقل هذا، هي هدية إلى زوجة صديقي وأخي. قل لي أولًا، أين القهوة؟"

ابتسم (مهران) بطرف فمه وقال:

-"أرسلت في إحضارها من المقهى القريب".

دخل أحد الصبيان وبجانبه عامل القهوة يحمل جوزتين ممتلئتان بمعسل التومباك. فقال (علي):

-"طلبتهما من القهوجي من نفس المقهى المجاور لك. قلت إنك لابد أن تشرب معي شيكة دخان كما تعودنا".

أنزل العامل الجوزتين. فتناول (علي) جوزته مدخنًا بضعة أنفاس طويلة. وقال:

-"كل البلاد التي مررت بها تتكلم عن العداء بين (ظاهر العمر الزيداني) و(محمد بك أبو الدهب). يقولون إن الحرب وشيكة".

كان (مهران) قد تناول جوزته وهو يقول وسط أنفاس الدخان:

-"أولًا لا تقل بك. أصبح (محمد باشا أبو الدهب) الآن. لقد أنعم الباب العالي بالباشوية عليه.. وثانيًا الحرب لبست وشبكة. لقد بدأت. جهز (محمد باشا أبو الدهب) حملة ليقاتل (الظاهر عمر) وسنخرج في بحر اسبوع على الأكثر".

-"(أبو الدهب) يطمع في زيادة رقعة حكمه".

-"لا أعتقد. لن يخطئ خطأ سيده (علي بك الكبير). سيظل خاضعًا للباب العالي ما بقي له من العمر. عندما يرضى عنك الباب فأنت في أمان إلى أن تصل قبرك".

دخل صبي وبجانبه عامل المقهى يحمل أقداح القهوة. وضعها بينما (علي) يقول مبتسمًا:

-"عندما قابلتك الآن تخيلت أنك مريض".

-"لم؟"

-"لأنك متجهم طوال حديثنا، ولا تضحك إلا مجاملة".

أبعد (مهران) الجوزة واعتدل قائلًا:

-"أسف يا صديقي. لكن هناك موضوع عائلي يشغل بالي".

-"هل لي أن أعرفه؟"

-"حماي أخذ زوجتي لزيارة أهل المرحومة والدتها في (بني شقير) بمنفلوط ولم تصلني أخبار منهما. القلق يأكلني منذ أيام".

-"منفلوط؟"

قالها (علي) وهو يبعد الجوزة وملامح وجهه تتغير.

-"ما بك؟"

قالها (مهران) بعد أن قطّب جبينه متأملا.

-"كم غابا؟"

-"اليوم يكتمل اليوم الرابع عشر على غيابهما".

تغير وجه (علي) أكثر وكاد القلق يطلّ من عينيه. ثم قال:

-"منذ شهور سمعت أخبارًا عن بعض قطاع الطرق من قرى منفلوط يقطعون الطريق على المسافرين".

***

ظل جالسا على مكتبه داخل المخزن لم يبرحه منذ رحيل (علي). صرف جميع العمال بعدما خرج لشراء بعض الأشياء، وأغلق المخزن من الداخل عليه. لم يرَ حلاً أمامه سوى التأكد من سلامتهما. برغم أنه قد ابتعد عن كل ما يخص هذه الأشياء منذ زواجه. إلا أن غايته في الوصول لـ(مروى) بررت وسيلته.

وما تعلمه لم ينسه بعد. وخاصة أنه شيء بسيط قد حفظه في بدايات تعلّمه من والده. أمسك بقدر فخاري صغير ملأه بالماء وقام بوضع القليل من الحبر من الدواة الموضوعة على المكتب.

وضع القدر على الأرض وجلس بجانبه وهو يصرف عمار المكان.

سمع علامة صرفهم فقال:

-"تلاهِ بلاهِ طلهلوياش بهاياش أصابيا مهياش آلِ ياهِ بحق هذه الأسماء احضروا لمجلسي وافتحوا مندلي. اسمعوا وأطيعوا أيها المدعوون. واحضروا لمجلسي أسرع من إطباق الجفون. إن هي إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعًا لدينا محضرون".

تغير الحبر في الماء كأنه يتحرك. استند (مهران) على يديه وهو يرى جني صغير الجسد يحرك الماء ليدلل على وجوده. أبعد عينيه عنه كي لا يدرك الجني أن (مهران) يستطيع رؤيته. قال هذا الأخير بلهفة:

-"أريد أن أعرف موضع زوجتي الآن.. اسمها (مروى) وأبوها (يونس) وأمها (ورد). خرجت هي ووالدها لزيارة أقارب في منفلوط بأسيوط منذ أربعة عشر يومًا".

اختفى الجني فجأة. اطمأن (مهران) أنه الآن سيبحث عنها. مرت دقيقة واثنتان. شعر بالقلق. لِمَ سيأخذ كل هذه الفترة في البحث! رآه يتشكل أمام القدر مرة أخرى ثم يقترب من أذنه ويقول:

-"لم أستطع الوصول لـ(مروى) أو (يونس)".

تسارعت أنفاس (مهران) وهو يقول:

-"كن معي حتى أصل إلى آخر مكان تواجدا فيه من خلال قرين كل منهما".

لم يكن (مهران) ينظر إليه من البداية. لكنه شاهد الجني بطرف عينه يتراجع برأسه للوراء وكأنه فوجئ بكلماته. ثم قال في أذنه:

-"لِمَ تطلب هذا الطلب الغريب؟"

-"أنت أحد خدّام المندل السليماني ويمكن أن أطلب منك مرافقتي لآخر موضع تواجد فيه من أطلبهم".

-"لم أقابل من يعرف هذا منذ زمن.. من علّمك؟"

-"لا يهم. سترافقني من الآن حتى أصل".

لم يردّ الجني بينما نهض (مهران) وهو يقول:

-"سأذهب لأحضر الفرس والماء والنقود".

***

-"توقّف!"

سمعها (مهران) وهو على ظهر فرسه فشدّ اللجام بهدوء حتى توقّف الفرس ببطء محافظًا على توازنه. نزل من على الفرس وهو يمسك بلجامه ناظرًا حوله.

كان في منطقة صحراوية وبعض الجبال المنخفضة تحيط به.

-"أين بالتحديد؟"

-"سر من مكانك خمسة وعشرين خطوة ولا تحيد".

فعل (مهران) مثلما سمع حتى توقف عند منطقة منحسرة الرمال

-"هنا آخر موضع تواجدا فيه".

قالها الجني بينما ظل (مهران) يرمق بقعة الرمال المنحسرة. كأنها حفرة لم تكتمل. ترك اللجام وجثا على ركبتيه وأخذ يكمل الحفر بيديه في نفس بقعة الرمال بسرعة جنونية.. اصطدمت يداه بشيء.

اكمل الحفر حوله لتظهر ألوان ملابس نسائية. لم يتحرك الجني برغم انتهاء مهمته. شعر بالفضول ليرى ما سيحدث. وخاصة بعدما لاحظ أن عيني (مهران) تتساقط منها الدموع على الرمال التي يحفرها.

ظهر جسد (مروى) المتآكل بالكامل. جلس بجانبه يذرف الدموع بوجه جامد.

ظل على هذه الحال لدقيقة ثم نظر للجني بعين امتلأت بالدموع. تراجع الجني بجسده مندهشا. رفع (مهران) يده اليمنى وأشار بإصبع السبابة ناحيته وهو يقول:

-"(أقسمت عليك يا خادم المندل بحق من لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب ملك المندل سراهيل الذي خلقه الله تعالى وجعل كلامه عليك كالرعد القاصف وعيناه كالبرق الخاطف وصرخته كالريح العاصف. القابض على صولجان من النور إذا هزه لقضاء ربه قطر منه ألف شرارة وكل شرارة أحرقتك إن عصيت قسمي بأن تكون خادمي حتى أطلقك".

تغلغلت يد الجني بأغلال حديدية وخرج شعاع من الضوء من جسده إلى جسد (مهران). لكن الشعاع اختفى فجأة كأنه لا يجد جسد هذا الأخير. فصرخ الجني:

-"ماذا يحدث؟! كيف تستطيع رؤيتي ولمَ كبلتني لخدمتك؟!"

-"اسمع أنت من الآن خادمي ولن أطلقك قبل أن تنفذ أمري".

-"لو عرف الملك (سرامبل) ما تفعله بي سيقتلك".

-"قلت لك لو نفذت أمري سأتركك. اذهب الآن وابحث عن كل الجان الذين يعيشون بالقرب من هذا المكان في عالمكم. واسأل كل واحد منهم عما رأوه في الأيام السابقة ويتعلق بقتل زوجتي ووالدها. وأحضر لي اسم القاتل وأين هو الآن".

-"لن أستطع الرجوع. فأنا لا أراك كبشر عادي. لا يوجد اتصال بيني وبينك لأعرف موضعك".

كان (مهران) يعرف ذلك فالشعاع الذي ينشئ رابطة السيد والخادم لن يلتحم بجسده لأن جزءًا منه من الجان.

-"لن أتحرك من مكاني حتى تعود".

قالها (مهران). فسأله الجني:

-"من أنت؟"

-"أنا الآن الحي بن القصاب".

***

غرق (يسري) في الورق وهو يجلس على مقعد مكتبه بالفيلا التي يمتلكها في حي المعادي. الورقة التي أعطاها له (عماد) في موضع مميز على المكتب. أما بقية المكتب فيمتلئ بأوراق مُلئت أرقامًا وكلمات.

بحث بين الأوراق حتى وجد نسخة كتاب المزامير بترجمة الراهب (سمعان) وبجانبها النسخة العبرية. فتح النسخة القبطية للصفحة قبل الأخيرة. وقرأ بعينيه للمرة العاشرة المزمور الـ 151 الذي ترجمه (سمعان):

(أنا صغيرًا كنت في إخوتي. وحدثًا في بيت أبي. كنت راعي غنم يداي صنعتا الأرغن. وأصابعي ألفت المزمار)

توقفت يدا (سمعان) عند هذه الآية. حتى لم يكمل ترجمة بقية المزمور الديني كأنه قرر فجأة أن يتوقف عن الترجمة.

أو ربما أراد أن يُنهي المزامير بتلك الآية. أبعد عينيه عن المزامير ومسح بيده شعره ثم أخرج هاتفه من جيبه ليتصل برقم هاتف (عماد) الذي نقله من ورقة صغيرة أخذها من حافظة نقوده.

رنّ جرس الهاتف وسمع صوت (عماد) يتساءل من الناحية الأخرى عن المتصل.

-"أنا دكتور (يسري) يا أستاذ (عماد)".

-"صدفة غريبة. لقد كنت أفكر في الوصول إليك الآن".

-"أعرف أنك متعجل على تحليل الورقة. وها أنا أخبرك بما توصلت إليه".

-"توصلت أنا أيضًا إلى جديد بخصوصها. تفضل أنت أولًا".

مد (يسري) يده اليسرى يخرج سيجارة من علبة سجائره الموضوعة على المكتب ويشعلها بقداحته وهو يقول:

-"قارنت بين الرموز في الورقة وبين طلاسم كتاب الراهب (سمعان) بنسخته. وهي صحيحة. بعض الرموز تشبهها فعلًا. لكن هناك جزءًا ثانيًا من الرموز لم يكن يشبه أي طلسم في الكتاب. حللت هذا الجزء وفرقت رموزه فاكتشفت أنها شفرة رقمية مطلسمة تتكون من أرقام قبطية من رقم 1 إلى 10. وهو نظام عمل به بعض رهبان مصر في فترة لا تزيد عن مائتي عام. سمعت عنه كثيرًا ورايت نموذجًا منه منذ سنوات. لكن للأسف لن تحل الشفرة إلا بوجود مفتاح دلالي يفك تلك الرموز".

سكت (يسري) مستنشقًا نفسًا طويلًا من سيجارته قبل أن يتساءل بقلق:

-"أستاذ (عماد). هل أنت معي على الخط؟"

جاءه صوت (عماد) مهموزًا:

-"لقد توصلت لنفس ما توصلت أنت إليه!!"

-"جيد.. هل عرفت حل الشفرة؟"

-"لا.. لا اعرف ترتيب الأرقام الصحيح حتى. الأرقام القبطية كُتبت فوق بعضها البعض".

-"نسيت أن أخبرك أن تلك الشفرات بسيطة جدًا وتعتمد على اجتماع مجموعة أرقام لتشكل حرفًا. أي إن تلك الأرقام تشكل حروفًا بالأبجدية القبطية. لكن نص ترجمة الشفرة هو الناقص".

-"وأين نجده؟"

-"لا أعرف. اتركني للغد لأبحث عن أي شيء له صلة بترجمات هذا الراهب. ربما وجدتها".

-"إذن نلتقي في الغد؟"

-"اتفقنا. سنظل على اتصال".

أغلق (يسري) الهاتف وأطفأ سيجارته.. استرخى على مقعده ناظرًا إلى الكتاب المترجم باللغة القبطية وهو يقول:

-"لم كل هذا التعقيد يا (سمعان)؟"

***

تلفت (حامد) حوله وهو يسير في أحد شوارع شبرا. الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كان يضع هاتفه المحمول على أذنه رغم أنه أغلقه من فترة.

-"طريقة مجنونة يا (حامد) لتحدثني".

قالها (رحيم) وهو يسير بجانبه. فرد (حامد) متظاهرًا بتحدثه في الهاتف:

-"نحن نسير في شبرا يا صديقي. سيزفني الناس لو رأوني أتكلم مع الهواء".

دخل شارعًا جانبيًا امتلأ بأبواب المصانع المغلقة، مع أصوات ماكينات مكتومة تصدر من خلف بعض تلك الأبواب.

-"مهمتك الآن يا (رحيم)".

اختفى (رحيم) من جانبه لثوانٍ وعاد بعدها يقول:

-"لن تصدق ما وجدت خلف أحد هذه الأبواب".

-"قل!"

-"لا يمكنني الشرح، يجب أن ترى بنفسك.. قف أمام خامس باب على يمينك".

اختفى (رحيم) مرة ثانية. فوقف (حامد) عند الباب. سمع تكة القفل فعرف أن (رحيم) فتح له من الداخل. جز الباب الضخم بصعوبة وفتحه، ثم دخل للمصنع المظلم وأغلق الباب خلفه.

أضاء (رحيم) المصابيح فنظر (حامد) حوله. في البداية جذبه مظهر الآلة الموضوعة في وسط المصنع.

لكن (رحيم) قال:

-"دعك من هذا الشيء واذهب للمنضدة واقرأ الورقة الملقاة عليها".

جرى (حامد) للمنضدة فوجد ورقة بيضاء كُتب عليها بخط مهزوز استصعب قراءته في البداية:

"أهلًا يا (حامد)، أنرت مصنعي، لن تجدني الآن فأنا في عمل هام. لكن انتظرني هنا وسأوافيك حالًا.

ملحوظة: حتى آتي إليك أحضر لي طعامًا من أول الشارع وشفرة حلاقة ومعجونًا وماء.

أمضاء (طه)".

***

-"هيا قم من نومك".

فتح (عبد الكريم) عينيه مفزوعًا. نظر لزوجته فوجدها تغطّ في النوم وهي تضع وسادة على رأسها. تأمل معالم غرفته التي يرى بعضها في الظلام.

-"قم من نومك. لا يوجد وقت لهذا".

كان الصوت يتردد في أذنه بشكل عالٍ. عرف أن هناك جانًا يحدثه. هل كُشف أمره؟!

-"من أنت؟"

-"لو أردت أن تعيش فانهض وخذ زوجتك واهربا. ستتحول شقتك لساحة حرب بعد 22 دقيقة".

-"ماذا؟!"

-"من جندوك جعلوا منك طعمًا للمخلبي ليظهر، وستؤكل قبل بدء المعركة".

-"من أنت؟"

-"اسمع كلماتي هذه المرة ولا تكن أحمق كالمرتين السابقتين!"

-"ما الذي تقصده؟"

تململت زوجته في الفراش بينما (عبد الكريم) يستمع للصوت الذي يقول:

-"أقصد أنك قُتلت أنت وزوجتك مرتين من قبل ولا أعتقد أنني أستطيع إعادة فرصة نجاتك مرة رابعة. لقد سئمت. أمامك عشرون دقيقة قبل موتك. إن اخترت حياتك فاهرب لشقة حماتك وارسم على جدرانها ما ستجده على الورقة التي وضعتها لك على الكومود.. إلى اللقاء".

-"كيف عرفت من أنا؟"

لم يجد إجابة. أضاء المصباح الموضوع على الكومود فوجد الورقة.

***

توقفت مجموعة من القطط السوداء بجانب العمارة التي تحوي شقة (عبد الكريم). وقفت القطط متراصة كأنها في طابور عرض عسكري تنتظر قائدها أن يأتي لتعطي له التحية العسكرية.

جاء قط أسود من أخر الشارع راكضًا. توقف أمامهم ونظر لباب العمارة الذي انفتح فجأة وخرج منه (عبد الكريم) يجرّ زوجته المعترضة وهو يخبرها أن تخفض صوتها. هرول وهو يجرها حتى اختفيا في شارع جانبي.

جرى القط ليقف خلف بقية القطط كأنه يختبئ. وفجأة اختفى ببساطة.

***

في موضع قريب من الربع الخالي وقف جيش (ابن سيف العداء) الذي يقود جيش اتحاد الممالك. وبجانبه وقف (يصفيدش) بملابس الحرب ينظر للمساحة الخالية أمامه.

-"أخر خبر وصلني منذ قليل عن جيش (المخلي) الذي يقوده (حرقم بن صهيل) أنه استولى على حامية بقرية تتبع لنا".

قالها (ابن سيف). فردّ (يصفيدش) وهو ينظر أمامه:

-"لقد كسب أخي هذه الجولة".

-"الحرب مازالت في بدايتها ونحن جمعنا الكثير من جيشنا ومازلنا..."

قاطعه (يصفيدش):

-"سينتصر علينا عاجلًا أم أجلًا حتى لو كسبنا الحرب".

-"ما الذي تقوله؟"

-"ألم تفهم ما يفعله بعد؟ لقد حرك جيشه لإلهائنا. يستولي على القرى ويقتل الحاميات ونحن ننتظره بكامل العتاد. لو تحرك جيشنا بعيدًا عن مقراتنا الأصلية لنواجه (المخلبي) نفسه في قلعته سيحتلنا جيشه. ولو انتظرنا أن يأتي هو إلينا كما نفعل فسينفذ خطته في هذه الأثناء ويوقظ الملوك بعد فتح الأبواب.. نحن خاسرون في كل الأحوال".

جاءت دابة مدرعة من وسط صفوف الجيش يركبها أحد معاوني (يصفيدش). نزل من عليها وهو يقول بسرعة:

-"رجالنا الذين يحرسون أحد المنازل التي حددتها لنا في عالم البشر يقولون بأن شخصًا غادر المنزل هو وزوجته".

تنهد (يصفيدش) وقال:

-"كما فعل بقية الجواسيس.. يغادرون قبل حضور رجال (المخلبي)، ويختفون عن عالمنا. بينما نشتبك نحن مع رجال (المخلبي) بلا طائل.. اسمع، قل لرجالنا أن ينسحبوا بسرعة. كفانا عراكًا. لا أريد انفجارات غريبة مثلما حدث. رجال (المخلبي) أقوى مما تخيلت".

-"ما الذي يحدث يا (يصفيدش)؟"

قالها (ابن سيف) بينما معاون (يصفيدش) يركب دابته ويغادر.

-"إحدى خططي في جذب (المخلبي) بنفسه فشلت. أردت أن يستجوب أحد جواسيسنا عن العفاريت حتى نصل لموضعه. لكن كل

الجواسيس غادروا قبل حضور رجال (المخلي) بقليل واختفوا. كأنهم يعرفون المستقبل".

-"وهل تبحث عن العفاريت؟"

-"كنت أعتقد أنها أملي الوحيد. وأشعر الآن بأنني أخطأت".

***

-"أغبياء!"

صرخ بها (المخلبي) وهو يقف أمام مئات من رجاله.

-"كيف يختفي كل الجواسيس قبل وصولكم؟"

رفع أحدهم يده طالبا الإذن بالكلام. فأشار له (المخلبي) أن يتكلم.

-"سيدي. لقد أطعنا أوامرك وانتقلنا لعالم البشر بمجرد تلقينا تعليماتنا".

-"تقدم يا بني".

قالها (المخلبي). فتقدم الرجل بضع خطوات حتى خرج من تجمع الرجال.

-"أعطني سيفك".

أخرج الرجل سيفه من غمده وأعطاه للمخلبي. الذي أخذه ثم غرسه لمنتصفه في جسد الرجل.. نظر لبقية الواقفين وهو يقول:

-"أريد تفكيرًا أكثر إيجابية. لا أريد أن تنكروا غباءكم. فكّروا لم فشلتم. فكّروا كيف هرّب (يصفيدش) جواسيسه".

رفع أحد الرجال يده يطلب الإذن.

-"ما هو أحد رجالي تجرأ على التحدث بعد ما حدث لزميله.. تقدم".

تقدم الرجل وقال:

-"لا أرجح أنه شقيق جلالتك".

-"والسبب؟"

-"أنا كنت في الفرقة التي ستذهب لمنزل أحد رجال (يصفيدش).. يعمل مدرسا في عالم البشر. قبل دخولنا رأينا انسحابًا منظمًا لرجال (يصفيدش) وهم متخفين في شكل قطط. ولم يكن هدفنا في شقته".

سحب (المخلبي) السيف المغروس من جثة الرجل الأول واقترب من الواقف وهو يقول:

-"بالتأكيد انسحبوا بعدما أمنوا هروب رجلهم".

ارتبك الرجل الواقف وقال بسرعة:

-"لكن زملائي قالوا بأنهم اشتبكوا مع رجال (يصفيدش) في منازل بعض الجواسيس. وكان الجواسيس هربوا في كل المرات الأخرى بلا علم (يصفيدش). أما رجال (يصفيدش) المنسحبين فكانوا كأنهم اكتشفوا هروبه قبلنا فلم يجدوا فائدة من الاشتباك معنا".

فكر (المخلبي) وهو يخفض السيف ثم قال:

-"أعجبني تحليلك".

وأشار لأحد الواقفين يطلب منه التقدم. ثم سأله قائلًا:

-"أنت كنت ضمن المجموعات التي تقاتلت مع رجال (يصفيدش) في منزل أحد الجواسيس. أليس كذلك؟"

-"نعم يا سيدي".

-"احكِ للمحلل العبقري كيف استخدم رجال (يصفيدش) معكم سلاحًا جديدًا ليحلل لنا هذا الأمر أيضًا".

-"لقد تقاتلنا معهم بسيوفنا ورماحنا حتى شاهدنا بقعة ضوء كبيرة تتحرك بالقرب منا. خرج من بقعة الضوء شعاع دخل وسط معركتنا. وانفجر كأنه قنبلة كقنابل البشر. بعضنا أصيب بحروق لم نرَ مثلها. والبعض مات. كما مات العديد من رجال (يصفيدش) أيضًا. ومع ذلك ظلّ الانفجار داخل عالمنا بعيدًا عن عالم البشر".

نظر (المخلبي) للرجل الأول وقال ساخرًا:

-"ما رأيك في هذا يا ذكي؟"

-"جلالتك. كل ما يقوله يؤكد شيئًا واحدًا.. أن بقعة الضوء ليست سلاحًا جديدًا لهم. والدليل موت بعضهم. هناك طرف ثالث هو من هرّب الجواسيس وهو من تدخّل في المعارك بيننا وبينهم. واسمح لي أن أقول.. إنه طرف أقوى من الجميع".

***

-"(إسلام). استيقظ".

فتح (إسلام) عينيه في ظلام الغرفة. لم يدرِ كيف جاء لهذا المكان ولا من أحضره. شعر أنه يعرف غرفة نومه لكن لا يتذكر أي تفاصيل عنها. نظر حوله في الظلام وهو يسترجع وجهين يعرفهما. (رقية) وقرينه. نظر حوله فسمع الصوت مرة أخرى يقول في أذنه:

-"لا تخف مني. أنا في صفك".

في ظلام الغرفة رأى شابًا واقفًا عند الباب. من الضوء الآتي من تحت عقب الباب تبين أن الواقف هو قرينه. لكنه يقوم بحركة غريبة برأسه. جسده ثابت لكنه يحرك رأسه يمينًا ويسارًا بلا توقف بحركة ميكانيكية كأنه يبحث عن شيء ما في الغرفة.

-"(إسلام). لا وقت تبقى لي. يجب أن تسمعني. أحتاجك لإنقاذ (حبيبة) في الصباح الباكر".

-"من الذي يحدثني؟"

-"كنت أعرف أنك فقدت معظم ذاكرتك. لكن لم أعرف أنك نسيت (حبيبة) وبقية أصدقائك!"

فجأة توقف دوران رأس القرين عند نقطة معينة بجانب فراش (إسلام) كأنه عثر على ضالته. أسرع من موضعه حتى وصل بالقرب من الفراش ومد يده يمسك الهواء بقبضته.

شهق (إسلام) وهو يرى شرارة كهربية تخرج من الهواء من موضع قبضة القرين لتحيط بالقرين وتسري في جسده.

ارتعش القرين والشرارات الكهربية تسري في جسده كأنه يقاوم لكن بلا تعبير على وجهه.

فجأة ظهرت بقعة ضوء من قبضة القرين تضخمت حتى أصبحت بحجم كرة القدم ثم اختفت. ففتح القرين قبضته وأرخى جسده.

شعر (إسلام) أنه يمكن أن يسأل قرينه.

-"من هذا الذي كان يحدثني؟"

-"لا أعرف".

قالها القرين ببرود.

-"هل قتلته؟"

-"تمكنت منه لكنه هرب قبل موته".

صمت (إسلام) لحظات قبل أن يسأل قرينه:

-"من هي (حبيبة)؟ قل لي كل ما يدور حولها".

***

قضم (حامد) قضمة من (دبوس) الدجاجة المشوية الذي يمسكه بيده اليسرى. بينما يلعب إحدى الألعاب على هاتفه المحمول الذي يمسكه بيده اليمنى.

كان قد خرج منذ قليل وأتى بالطلبات التي وجدها على الورقة. لكنه شعر بالملل والجوع ففتح ورقة الطعام ليأكل بعض قطع الدجاج التي أتى بها.

-"(حامد).. احذر!"

صرخ بها (رحيم) وهو يضع يده بالقرب من رأس (حامد) ليتمكن من رؤية ما يحدث. نهض هذا الأخير فزعًا وهو ينظر يمينًا ويسارًا حتى رأى بقعة ضوء ضخمة بحجم إنسان في منتصف المصنع. صرخ (رحيم) مرة ثانية قائلًا:

-"سأتعامل معه".

نظر (حامد) لـ(رحيم) فوجده يُخرج الكرباج من ملابسه ويختفي من جانبه. لقد فقد الرؤية بعد ابتعاد (رحيم) عنه. لكنه نظر لنفس النقطة الفارغة التي رأى فيها منذ قليل بقعة الضوء.

فجأة وجد سحابة دخانية تدور ببطء حول نفسها وداخلها تظهر حدود جسد شاب يقف. تحرك هذا الشاب للأمام لكنه توقف فجأة كأنه لا يستطيع الحركة. ظهرت ملامح وجه الشاب وملامح جسده العاري.

فتح (حامد) فمه وقطعة الدجاج تقع من يده مما يراه. خطوط سوداء مرتسمة على جسد الشاب العاري ودخان خفيف يخرج من تلك الخطوط. أما رأسه فقد سقط معظم الشعر منها وبقيت خصلات بسيطة.

-"أنت (حامد)؟"

قالها الشاب بصعوبة وهو يشير بإصبعه ناحيته. فأشار (حامد) برأسه علامة الموافقة. ابتسم الشاب وهو يقول:

-"أنا (طه)".

-"(طه).. هل يمكن أن أسأل لِمَ لا ترتدي ملابس داخلية؟"

***

الفصل التاسع

مدينة الموتى

عاد الجني إلى موضع (مهران) بعد ما يقرب من ساعة بتوقيت البشر. فوجد هذا الأخير جالسا على الأرض بجانب فرسه. بعد أن ردم موضع الحفر الذي أنشأه منذ قليل

بوجه متخشب نظر (مهران) إلى الجني قائلا:

-"يفضل بعد كل تلك الغيبة أن أعرف كل شيء".

انتبه الجني في وقفته كأنه بدأ يحترم (مهران) لا إراديا. وقال:

-"في تلك البقعة خرج على (مروى) و(يونس) بعض قطاع الطريق. استولوا على جمال كان يجرها (يونس). قاومهم فقتلوه. واغتصبوا (مروى) قبل قتلها هي الأخرى".

انتظر الجني ثوانٍ كأنه يتوقع أي ردة فعل أو تعبير على وجه (مهران). ثم أكمل بعد أن وجد الجمود على وجهه كما كان:

-"بعد دفن جثتيهما ساقوا الجمال إلى قرية قريبة".

-"غيبتك الطويلة تدل أنك توصلت لأكثر مما تقول".

قالها (مهران). فرد الجني بتلقائية:

-"استجوبت العشرات من الجن المحيطين حتى وصلت للقرية وعرفت من دخل بمواصفات قطاع الطريق إليه. وعرفت أسماءهم: (أحمد بن يزيد). (أحمد بن إبراهيم بن محمد). و(يوسف العطار). يهابهم أهل القرية والقرى المجاورة".

-"أرشدني لطريق هذه القرية".

-"لمَ لا أرى قريتك؟"

-"أرشدني وستعرف كل شيء".

أشار بيده لأحد الاتجاهات وهو يقول:

-"سر من هنا بحصانك حتى ترى سبيل ماء فقير. هناك تجد القرية".

نظر (مهران) للاتجاه الذي أشار له الجني. فقال هذا الأخير:

-"هل تنكر بأنني أكذب عليك؟"

نهض (مهران) وسار حتى توقف أمام الجني تمامًا وقال:

-"أثق في صدقك.. هل تعرف لماذا؟"

لم يردّ الجني وهو ينظر لوجه (مهران) بقلق. فأكمل هذا الأخير قائلًا:

-"سأشعر لو كذبت عليّ لأننا من نفس الجنس. فأنا جني مثلك!"

بعدما انتهى من جملته مدّ يده ناحية الجني فجأة.

***

دخل (مهران) سوق القرية ممتطيًا فرسه. يسير بين الدكاكين والباعة مفترشي الأرض وهو ينظر يمينًا ويسارًا بوجه جامد. توقف بعض الناس في السوق ينظرون بقلق لهذا الشاب الذي يرتدي تلك الملابس الفاخرة التي تعلّق بها بعض الغبار فبدا مظهره متناقضًا. وتعلقت عيونهم بالسرج المزخرف الموضوع على فرسه القوي.

تهادى الفرس وسط الناس حتى وصل إلى مقهى امتلأ بأقفاص وضعت خارجه ليجلس عليها الزبائن. هبط (مهران) عن صهوة فرسه وهو يلقي التحية على الجالسين.. رد الجميع السلام بحفاوة متأثرين بهيئته وملابسه الغالية التي تختلف عن ملابسهم جميعًا.

ربط فرسه بجزء بارز بجانب أحد المنازل الملاصقة للمقهى. ثم جلس على احد الأقفاص الخالية والجميع ينظر إليه كأنهم يترقبون ما سيفعله.

جاءه القهوجي فطلب منه ماءً وينسونا ومعسلًا. وبدأ الجالسون يتهامسون بأنه ليس مصريًا بعدما لاحظوا لهجته الثقيلة التي تبتعد عن لهجة اهل الصعيد.. قال بعضهم إنه ربما من إحدى قبائل اليمن. ونفى اخرون ذلك.

جاء القهوجي يحمل الماء والينسون. عندما سمع (مهران) صوتًا يقول بمودة:

-"نرجو ان يعجبك ينسون المقهى".

نظر (مهران) خلفه جهة الصوت فوجد رجلا يدخن (شبك دخان) الذي يشبه الغليون لكن قصبة تدخينه تزيد عن المتر. فابتسم بطرف فمه وهو يقول:

-"بالطبع سيعجبني".

-"يبدو انك غريب عن بلدتنا".

قال الرجل العبارة متقطعة وهو يستنشق الدخان بين كل كلمة وأخرى.

فاعتدل (مهران) في مجلسه ووجه جسده ناحية الرجل ليظهر له الاحترام قائلاً:

-"صحيح".

-"لهجتك غريبة. فلا هي تشبه أهل المحروسة ولا أهل البحر".

قال العبارة رجل أخر بلهفة محاولاً معرفة المزيد عن (مهران). الذي نظر له قائلاً:

-"لست مصريا في الأصل.. لكنني أقيم في المحروسة منذ سنوات"

غموض (مهران) في عبارته المقتضبة جعل الفضول يسري بين الزبائن.

-"أنت من اليمن. أليس كذلك؟"

-"لا.. بل من بلاد فارس".

-"فارسي.. نسمع الكثير عنكم".

أنزل القهوجي الشيشة لـ(مهران). الذي تناول ذراعها ووضع المبسم في فمه وهو يقول بطرف شفتيه:

-"وهل نسمع خيرا أم شرا؟"

-"كل خير بالطبع. لكن يبدو أنك تطبعت بطباع المحروسة بسرعة. فأنت تدخن المعسل بحرفية".

في تلك اللحظة كان وجه (مهران) جامدًا وقد ركز عينيه المتسعة على محدثه ودخان المعسل يخرج كثيفًا من أنفه.

-"طباع بلاد فارس لا تختلف كثيرًا عن طباع أهل مصر".

قالها (مهران) ثم دق بطرف ذراع الشيشة على قاعدتها الزجاجية قائلًا:

"كلمة الشيشة أصلها من بلدي، فنحن نقول شيش على الـ ونستخدم الشيش الزجاجية في التدخين في كل مكان. لكن التبغ الذي نستعمله أثقل بكثير من المعسل هنا".

-"سمعت عن المعسل الإيراني لكنني لم أجربه من قبل".

-"ربما في زيارتي القادمة أحضر لك بُعضه لتجربه".

ابتسم الرجل. في حين قال آخر:

-"وهل جئت بلدنا لتجارة أم زيارة؟"

-"جئت لتوصيل أمانة.. مبلغ من النقود لثلاثة رجال".

-"من هم؟"

-"(يوسف العطار) و(أحمد بن يزيد) و(أحمد بن إبراهيم بن محمد)".

فجأة ران الصمت على الكثير من الزبائن. حتى إن بعضهم ممن لم يسمع المناقشة من البداية نظر متعجبًا للهدوء المفاجئ. نظر الرجال لبعضهم البعض ووجوههم تحمل تعبيرات مختلفة تتأرجح ما بين القلق والخوف والشك.

-"من أين تعرفهم؟"

"حملت الأمانة من رجل بالمحروسة دون معرفة هؤلاء الرجال. هل يعرفهم أحد منكم؟"

ران الصمت مرة ثانية قبل أن يقول أحدهم:

-"ومن هذا الرجل الذي أرسل المال؟"

-"اعذرني فاسمه وماله هو أمانه أعطيها لمن ذكرتهم.. هل يدلني أحدكم عليهم؟"

-"هم سيصلون إليك".

قالها الرجل الذي كان يدخن شبك الدخان منذ البداية. لكنه بعدما انتهى من عبارته أدار رأسه بعيدًا عن (مهران) فتبعه الجميع بلا تخطيط.

***

انتهى المصلون من الصلاة وخرج الجميع من الزاوية بينما بقي (مهران) جالسًا مستندًا بظهره لعمود من الخشب وسط الزاوية. دخل المسجد ثلاثة شباب مخيفو الهيئة يحمل أحدهم خنجرًا مزخرفًا في نطاق لفه حول وسطه. توقفوا أمام (مهران) وقال أحدهم:

-"أنت الفتى الفارسي الذي يبحث عنا؟"

نظر لهم (مهران) متفحصًا وجوههم وهو يقول:

-"هل أنتم الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم؟"

-"نعم".

نطقها أحدهم. فنهض (مهران) بينما تراجع الثلاثة خطوة إلى الوراء بتحفز. وقال أحدهم:

-"من أنت؟"

-"أنا (الحي بن القصاب)".

قالها وانسحب من وسطهم بهدوء وهو يأخذ نعليه ويخرج من الباب ليرتديه. بمجرد خروجه وجد العديد من الرجال يقفون على مقربة من باب الزاوية ينظرون له بترقب.

تبعه الرجال الثلاثة للخارج مرتدين نعالهم على عجل. ووقفوا أمامه كأنهم يسدّون الطريق عليه. نظر لثوانٍ إلى الجمع الواقف فخيل إليه للحظة أنه رأى هالة مختلفة اللون تحيط بأحدهم. لكنه ركز اكثر في الثلاثة الواقفين أمامه.

-"من أرسلك لنا وما هي الأمانة؟"

قالها أحدهم فرد (مهران) بهدوء:

-"الأمانة من الشيخ (يونس الحرابي)".

-"لا نعرفه".

-"وهو لم يعرفكم أيضًا. قبل أن تقتلوه هو وابنته".

نظر الثلاثة لبعضهم البعض والصدمة تسبق الدهشة بينما تتعالى همهمات الناس الواقفة خلفهم. فجأة أغلق (مهران) قبضته وضرب أقرب الثلاثة إليه بسرعة فسمع الجميع صوت عظام وجهه تتهشم وسقط صريعًا لتوه.

وجهه تهشم وتغيرت ملامحه وقد نفرت بعض عظام الوجه من الجلد. صرخ الناس بينما أمسك (مهران) بالرجل الثاني من رقبته بعنصرها. لكن هذا الرجل أخرج خنجره من نطاقه وغرسه في صدر (مهران) حتى المقبض.

تخلى (مهران) عن رقبة الرجل وأمسك مقبض الخنجر وصرخات النساء تتعالى. أخرج الخنجر بقوة وسرعة من صدره فلم يكن على نصله أثر للدماء.

تراجع الرجلان الباقيان مذعورين للوراء. لكن (مهران) غرس الخنجر في صدر صاحبه وهو يقول بوجهه الجامد وكلماته الهادئة:

-"الآن تعرفون معنى أن يطلق عليكم لقب (الحي)".

تعالت أصوات من الناس يصرخون قائلين:

-"انجدنا يا شيخنا!"

لم ينتبه (مهران) لتلك الكلمات لأنه انشغل بثالث الرجال الذي أخذته الصدمة فلم يتحرك خطوة واحدة للخلف. لكن كل ما استطاع أن يردده:

-"أعوذ بالله من خلق الله.. أعوذ بالله من خلق الله".

وقف أمامه (مهران) وأمسك رقبته بيد واحدة يعتصرها وهو يقول:

-"جيد أنك تذكرت الله.. لأنك ستذهب إليه الآن".

أخرج الرجل من حلقه حشرجة عالية محاولًا التنفس وهو يضرب بيده وجه (مهران).. سمع هذا الأخير صوت شاب يتكلم بكلمات غير مفهومة. وشعر بوجود شيء غريب. اقترب صوت الشاب أكثر واختفى صوت الناس. هنا ميز كلمات الشاب الذي أصبح خلفه تمامًا:

-"عيطوش عبطوش ليطوش ليطوش أروابوش أروايوش أجب يا برقان بخدمك ورجالك وتلبسوا يدي لتصرعوا من يلمسها".

نظر خلفه بسرعة ليجد شابًا يرتدي جلبابًا وعمامة ويضع يده على فمه وهو يقرأ تلك العزيمة وضع الشاب يده على رأس (مهران) المذهول وهو يقول:

-"أمسسك بمس الصرع بدنًا ونفسًا بحق حراس هيكل (سليمان) شيهل وهازم وعين الأشرم وابنه".

تصلب جسد (مهران) رغمًا عن إرادته ورأسه يكاد ينفجر من ألم غريب انتابه لحظة وضع الشاب يده على رأسه. لكن يده الممسكة برقبة الرجل الثالث لم تتخلَ عنه حتى إن جسده ارتخى مفارقًا الحياة قبل أن يسقط (مهران) هو الآخر بجانبه وجسده ينشنج رغم أنه مازال يرى بعضًا مما حوله. رأى الشاب الذي صرعه يقف ناظرًا إليه بشك

متفحصًا إياه بعينيه وبعض الناس يقبلون يديه متبركين. وإحدى النساء تهتف بفرحة:

-"ادعوا للشيخ (إسماعيل الحلاج) أنه نجانا من شر الفتى الفارسي".

***

كان (طه) يقف عاريًا ينظر لـ(حامد) بإرهاق. وأشار بيديه لملابسه الملقاة على الأرض قائلًا:

-"أحضر لي ملابسي".

جرى (حامد) ليحضر القميص والسروال والجاكيت ووضعها عند قدمي (طه) الذي قال:

-"رأيت عوالم لم أكن لأحلم بأن أرتداها. ومع ذلك لم أصدّق أنك سيد الغرفة النحاسية!"

انحنى بعدها وأخذ يرتدي سرواله بصعوبة. لكنه سقط فجأة على الأرض. فأسرع (حامد) إليه يساعده على النهوض ويجره إلى المقعد ليجلسه عليه وهو يقول:

"الحمد لله أنك ارتديت سروالك. وإلا لما لمستك حتى!"

اعتدل (طه) على المقعد وهو ينظر للفة الطعام المفتوحة وبعض الأشياء التي أحضرها (حامد). بينما هذا الأخير يتساءل:

-"ما سبب السحابة التي أحاطت بك منذ قليل؟"

-"لأن الهواء تأبى من حولي".

-"يا نهار أسود!"

نظر له (طه) وقال:

-"أنت لم تفهم ما قلت.. صحيح؟"

-"صحيح!"

نظر (طه) مرة أخرى للأشياء التي وُضعت على المنضدة وهو يمسك علبة صلصلة طماطم ويقول:

-"هل طلبت منك هذا؟"

-"لم تحدد في الورقة هل تريد معجون صلصة الطماطم أم معجون حلاقة. فأحضرت الاثنين".

-"من هذا الذي يستخدم لفظة معجون الطماطم!"

-"أنا أقرأها هكذا على علب الصلصة.. بمناسبة الورقة التي كتبتها. أنا إلى هذا الوقت لم أندهش بعد. وعندي ألف سؤال ستنفجر مرارتي إن لم أعرف أجوبتها! كيف عرفتني وكيف علمت بأمر الغرفة النحاسية؟"

أمسك (طه) بقطعة دجاج من لفة الطعام وهو يقول:

-"أنت أخبرتني باسمك وبأنك أصبحت سيد الغرفة الجديد".

-"متى؟"

نظر (طه) مدققًا في قطعة الدجاج التي قضم (حامد) بعضها وقال:

-"هل أكلت من الطعام الذي طلبت منك إحضاره؟"

-"احم.. اترك الطعام الآن وأجبني متى أخبرتك؟"

-"في هذا المكان لكن في المستقبل القديم".

-"وهل تعتقد أنني فهمتك الآن؟"

قضم (طه) قطعة الدجاج ومضغها ببطء، فصرخ (حامد):

-"هل ألف لك سيجارة (حشيش) لتحبس بها بعد تناول الطعام؟"

-"الحشيش في جاكت البدلة، لف لنا سيجارتين".

-"أهناك حشيش بحق؟"

قالها (حامد) متلهفًا، قبل أن يسمع صوت (رحيم) يقول:

-"ألا تملك أي فضول حول انتقاله من عالمي لعالمك؟"

هنا قال (طه) بعدما ترك قطعة الدجاج:

-"بالطبع أنت عرفت مكاني بمساعدة المأمور صديقك".

-"ومتى أخبرتك؟ في الحاضر القريب أيضًا؟"

-"نعم".

-"لو لم تدخل عليّ بهذا العرض الغريب لاعتقدتك مجنونًا!"

-"سألخص لك كل شيء لأنني أحتاج مساعدتك.. لقد جاءني (جساس) الغرفة القديم ليطلب مساعدتي. وأخبرني بكل الأحداث التي وقعت في الغرفة وأدت لتدميرها. وحكى لي عن أبي وكيف ساعدكم في مواجهة (المخلبي). وكيف قتله".

-"البقاء لله".

-"ونعم بالله.. المهم.. كما تعرف أنني قتلت (سنان) أحد رجال (المخلبي) المقربين. وهذا ما قادك إليّ.. وأحييك على هذا الذكاء".

-"ميرسي!"

-"لكن ما لا تعرفه أنني استجوبته قبل قتله وعرفت الكثير. مثل موعد فتح البوابات وموضع (حبيبة). وخطة هجوم (المخلبي) عند فتح البوابات. وخطة خاصة لمنع (بصفيدش) من الوصول لأي معلومات تقوده لطائفة تسمى (العفاريت) كي لا يستخدمهم ضده قبل أو بعد فتح البوابات".

-"وكيف سيطرت عليه لتستجوبه؟"

-"عن طريق تجارب عملت عليها لسنوات استنادًا لتجارب أخرى قديمة جدًا للعالمين (رودلف أمبيزج) و(نيكولا تسلا).. أقوم بصنع مجال كهرومغناطيسي عن طريق الكهرباء ممتزج مع جاذبية الأرض نفسها. هذا المجال من الطاقة يحبس كل ما داخله من طاقات ذات تردد أقل".

-"هل الموضوع له علاقة بإسحاق نيوتن الذي اخترع الجاذبية؟"

قالها (حامد) بجدية. فاتسعت عينا (طه) وهو يردد:

-"اخترع الجاذبية!!"

-"الموضوع له علاقة بالتفاح؟"

-"سأحاول أن أبسط لك الأمر. أقوم باستدعاء الجني بشكل طبيعي بطريقة استدعاء من التي تُستعمل في كتب السحر. وفي نفس المكان الذي يحضر فيه الجني أجهز شيئًا يشبه ذلك".

وأشار للآلة في وسط المصنع. ثم أكمل:

-"هذا الجهاز ينشئ مجالًا كهرومغناطيسيًا قويًا. والجن جسده في الأصل من الطاقة. لذلك أحبسه فيه وأقوم بالتأثير على ذرات جسده من خلال هذا المجال حتى يتكلم. لو أردت قتله سأزيد قوة مجال الطاقة لفترة زمنية حتى يتأثر جسده ويحدث له ما يشبه الفناء من العالم".

-"الموت؟"

-"موت واختفاء لطاقة جسده في نفس الوقت".

-"ولو أنني لم أفهم ما تفعله لكنك تتكلم عن شيء يشبه الغرفة النحاسية".

-"أعتقد ذلك. ولو أن الغرفة النحاسية نفسها متطورة عما أفعله".

جز (حامد) المقعد وجلس بجانب (طه) وهو يقول:

-"أكمل".

-"خطر ببالي أن أكون مؤثرًا في عالم (المخلي) لكن بطريقة أسرع. فكرت بأن أدخل لعالم الجن بنفسي".

-"يا ابن المجنونة!!"

-"ماذا؟!"

-"أكمل من فضلك".

-"معظم التجارب التي اختبرت احتمالية إحاطة البشر بحقول الطاقة فشلت وأثرت سلبيًا على المتعرضين للتجربة. بعض التجارب نجحت لكنها بلا قصد فتحت فجوة بين الأبعاد وتم إحلال كتلة البشر لتدخل إلى أبعاد أخرى أو أماكن بعيدة عن مكان التجربة في نفس البعد".

-"لم أفهم ولا كلمة!"

ضرب (طه) على جبهته وهو يغمغم:

-"كيف أصبحت سيدًا للغرفة النحاسية!"

-"هل تقول شيئًا؟"

نظر له (طه) بحسرة وقال بنبرات بطيئة:

-"انفتحت فجوة بين الأبعاد وانتقلت لها أجساد من كانوا يجرون عليهم التجارب. لكن للحظات أو دقائق".

-"هدئ أعصابك وأكمل".

-"في كتاب قديم عندي يتحدث عن الجان قال أحد المتصوفة إن فرق أعمارنا لأعمارهم 15 عامًا. أي إن مرور هذه الأعوام في عالم البشر يساوي مرور عام واحد فقط في عالم الجان. فكرت كثيرًا كيف وُجدت تلك المعلومة -التي هي من تراث الصوفية- منذ مئات السنين لتفسر كيفية طول أعمار الجان وهم لم يطّلعوا على نظريات توصل لها العلم في آخر 100 عام فقط".

-"أي نظريات؟"

-"نظرية النسبية لأينشتاين.. ارتباط الحركة بالزمن".

فتح (حامد) فمه. فقال (طه) بسرعة:

-"سأحاول أن أمحي هذا الغباء الذي أراه أمامي. (أينشتاين) يقول إنه باختلاف الحركة يختلف الزمن. أي لو زادت سرعتك تباطأ الزمن من حولك. ومثال على ذلك فالزمن على الأرض يختلف عن الزمن على الكواكب الأخرى. فاليوم على الأرض لا يساوي اليوم على كوكب آخر زمنيًا.. ولأن جسد الجني وعالمه وحركة جزيئاته أسرع من حركة جزيئاتنا كبشر: لذلك فالوقت عندهم أبطأ من الوقت عندنا. أو بمعنى آخر: اليوم عندهم يمر بشكل طبيعي لكن بالنسبة لنا يمر كأربعةعشر يومًا تقريبًا. ولأن الكون بشكل ما عبارة عن جزر منفصلة من الأزمنة المختلفة فقد فكرت في دخول بُعد الجان بشكل علمي عن طريق فتح فجوة بين الأبعاد. وفي نفس الوقت أغيّر من سرعة ذرات جسدي عن طريق شحنها بدفعة من الكهرباء لصنع ذبذبة معادلة لذبذبة جسد الجني".

أشار (طه) للخطوط المحترقة في جسده وقال:

-"لففت حول جسدي سلكًا نحاسيًا ومررت أطرافه بين جلدي ليسري مجال كهربي داخله يغيّر من طبيعة جسدي. لكن هذا المجال ينتهي من الأسلاك بعد ساعات من زمن عالم الجان. أي يومين من عالمنا. وعند انتهاء سريان الشحنة الكهربية في السلك يعود جسدي لعالم البشر مرة ثانية. لكن إن لم أختر المكان فسأعود في أي مكان يكافئ عالمهم وعالمنا".

-"أنت في عالم الجان منذ يومين؟"

-"لم أكمل اليوم وانتهى الشحن من الأسلاك".

-"لم؟"

-"لأنني في عالم الجان تعلمت الانتقال بين الأماكن بمجرد التفكير. لكن هذا يأخذ جزءًا من الطاقة في الأسلاك. وتعلمت الكثير من الأشياء. كالتحدث مع البشر أو تحريك أشياء في عالمنا. حتى اكتشفت قدرة غريبة تهلك جزءًا من الطاقة".

-"لا أعتقد أن هناك أغرب من انتقالك لعالم الجان!"

-"كنت قد سألتني كيف عرفت بوجودك في المصنع وكيف أنني تحدثت معك سابقًا".

-"أموت وأعرف السبب!"

-"لأنني اكتشفت أنني أستطيع الانتقال للمستقبل!"

***

أزاح (عماد) باب الغرفة النحاسية بصعوبة وخطى داخلها بخطوات واثقة. نظر حوله لتفاصيل الغرفة التي عرفها منذ فترة فوجد نفس النقوش لكنها ثابتة بلا حركة. وبعضها تغير كأنه حذف.. بعض المساحات على الحوائط أصبحت فارغة. وفي ركن مظلم من القاعة وجد رجلًا يرتدي جلبابًا وطاقية ويمسك في يده عودًا خشبيًا كأنه قلم. الرجل يعطي ظهره لـ(عماد) لكن يبدو أنه منهمك في شيء ما يفعله. شعر (عماد) بخطوات خلفه فنظر ليجد (حازم) يقف وهو ينظر له بدهشة. فقال له:

-"تتبعني للحلم مرة أخرى يا صديقي؟"

ابتسم (حازم) وهو يقول:

-"أسمعك جيدًا.. يبدو أننا نحلم مرة أخرى كأمس. لكن ما السبب؟"

نظر (عماد) للرجل الممسك بالعود وقال:

-"من الممكن أن تكون رسالة لنا من عالم أخر.. شخص ميت أو جني أو أي شيء. لكن يجب فهمها. ومعرفة من يكون هذا الشخص"

تقدم (حازم) خطوتين ليقف بجانب (عماد) وهو يقول:

-"يشغلني مرسل الرسائل أكثر منك. نفس نوعية الأحلام تلك جاءت لكل من كان له علاقة بالمخطوطة من البداية. كأنها تحمل تحذيرات أو تفسيرات".

-"لا أخجل من الاعتراف بأن الحديث في الحلم مع شخص آخر ممتع وخاصة..."

فتح (عماد) عينيه ليجد نفسه على جانب الفراش في غرفة نوم (حازم).. ابتسم وهو ينهض وينظر لهذا الأخير. الذي نهض بدوره وهو يقول:

-"كنت تقول إن الحديث في الحلم مع شخص آخر ممتع وخاصة ماذا؟"

***

-"قل لي إنك انتقلت لعالم الجان وأحببت بنت ملكهم وهربتما معًا لشقة في إمبابة لتتزوجا عرفي وسأتفهم! لكن لن أستطيع هضم موضوع انتقالك للمستقبل هذا!"

قالها (حامد) وهو يهرش في رأسه وينظر للأرض.

-"اذهب لجاكيت البدلة الملقى على الأرض هناك وافتح جيبه الجانبي".

قالها (طه) وهو يشير للملابس الملقاة. فنهض (حامد) وهو يقول:

-"هل سأجد المستقبل داخله هو أيضًا؟"

-"لا. بل ستجد علبة سجائر وولاعة. احضرهما".

-"خدامتك (أمينة)!"

أحضر (حامد) السجائر فأشعل (طه) إحداها وهو يقول:

-"لم أصدق ما حدث في أول مرة، تخيلت نفسي أهلوس، لكن التجربة أثبتت هذا الشيء الغريب.. لم يكن انتقالاً في الزمن بالمعنى الذي فهمته، لكنه عبارة عن رؤية لمستقبل ما أنتوي فعله".

-"أترى أم تنتقل؟"

-"الانتقال للمستقبل علمياً خيال، أو على أقل تقدير مستحيل علمياً في هذا الوقت، لو أردت مثلاً أن تنتقل عبر الزمان فيجب أن ينتقل جسدك بسرعة تزيد عن 300 ألف كيلومتر في الثانية وهي سرعة الضوء. وبرغم أن بعض التجارب استطاعت اختراق هذه السرعة عن طريق نبضات الليزر بسبب عدم وجود كتلة لها.إلا أن جسدك له كتلة ستزيد بمجرد زيادة السرعة".

-"إذن الانتقال مستحيل؟"

-"مستحيل لعالمنا كبشر، لكن لا أعلم إمكانيته في عالم الجان، القوانين الفيزيائية التي تحكمه لا أعلم بشأنها الكثير. وكما قلت لك كل ما كان يحدث هو أنني في عالم الجان عرفت بأن كل شيء يتعلق بالطاقة، ولأن الأسلاك المغروسة في جسدي محملة بشحنة ضخمة من الطاقة فقد فهمت كيف أطلقها لأنتقل من موضع لآخر بسرعة، وحتى أؤثر في جان آخر كأني أضربه برصاصة من الطاقة فتقتله.. حتى ذهبت لأرى (حبيبة) في الموضع الذي حدده (سنان). لأكتشف أنني بمجرد أن قمت بإخراج طاقة عالية من جسدي وفكرت بأن أدخل إليها:إذا بي أحس معها في غرفة، كأنه مشهد من فيلم يعرض أمامي".

-"هل تحدثت معها؟"

-"لا.. شاهدت أنني معها في غرفة نُقش على حوائطها الكثير من الطلاسم التي لم أرها من قبل. تأملت جوانب الغرفة فوجدت ممرًا مظلمًا في ركنها يقود لشيء ما. أما (حبيبة) فكانت ممددة على الأرض في سبات تام. شعرت بضعف شديد مع عدم قدرتي على التحرك. وكأنني أصبت بمرض ما".

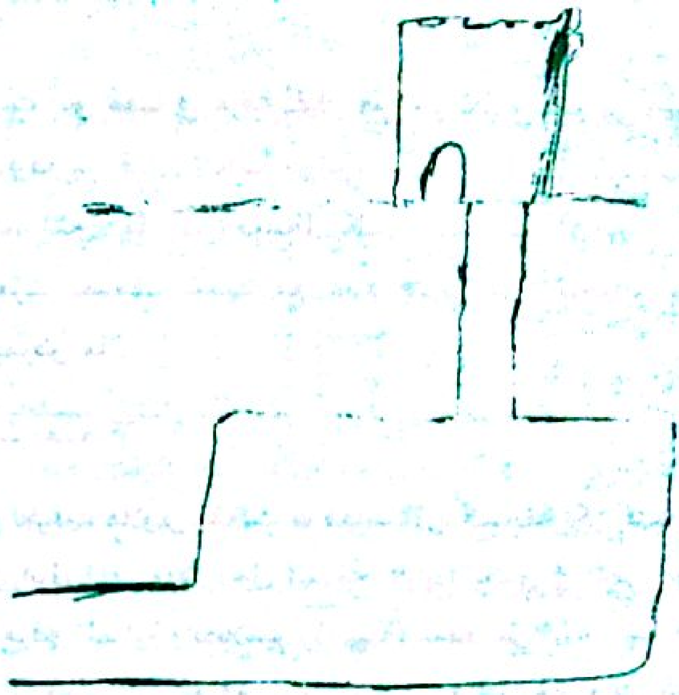
-"وماذا حدث بعدها؟"

-"في البداية تخيلتها هلاوس. فعلت ما فعلت المرة السابقة لكن هذه المرة نويت أن أنزل الممر وألا أدخل الغرفة. فرأيت نفسي في الممر المظلم وأخره الغرفة الممتلئة بالطلاسم و(حبيبة) ممدة على الأرض كما هي. حاولت الدخول إلى الغرفة فلم أستطع. حائط غير مرئي كنت أصطدم به".

-"ما هذا المكان الغريب؟"

رمى (طه) السيجارة على الأرض وقلّب في الأشياء الملقاة على المنضدة حتى وجد ورقة فارغة وقلمًا. رسم عليها بشكل سريع وصفًا للمكان. ثم أظهر الورقة لـ(حامد) وهو يشير إلى جزء أسطواني قائلًا:

-"في الصحراء وعلى رأس تل رملي بجانب عرب مطير بأسيوط يقبع هذا الجسم الأسطواني. والذي يسميه الناس باسم الهنتيكة".



-"لا أرى إلا علبة من الصفيح تشبه علبة البيبسي".

-"هذا الجزء من معدن لم يتم تحليلة. مغروس في الرمال منذ آلاف السنين. لم يحدد أي عالم آثار ماهيته أو تاريخه أو حتى سبب وجوده الغريب في هذا المكان".

-"وما معنى الاسم الذي أطلقه الناس عليه؟"

-"الهنتيكة.. أعتقد أنها طريقة نطق بعض قرى الصعيد للفظة أنتيكة. بعض الناس يقول بأن فرقة عسكرية من جيش الإسكندر المقدوني وضعوها كعلامة لهم على مدينة فرعونية تمتلئ بالكنوز تحتها ليعودوا لها مرة ثانية".

ثم أشار إلى قطعة من الرسمة وهو يقول:

-"هذا موضع الغرفة، مدفونة بما يقرب من ستة أمتار للأسفل من هذه الهنتيكة. وهذا هو الممر الذي يقود لشيء لا أعلمه".

-"وما الحل؟"

-"الحل في كائن لا يتأثر بعالم الجان وتعاويذه. وفي نفس الوقت يمتلك القوة اللازمة لدخول هذا المكان والخروج منه بـ(حبيبة)".

قالها (طه) وهو يلقي الورقة على المنضدة ويتناول قطعة دجاج ليأكل منها:

-"قرين (إسلام)!"

قالها (حامد) وهو يفرقع بإصبعيه. فرد (طه) بعدم اكتراث وهو يمضغ الطعام:

-"فكرت في ذلك بعدما أخبرني (الجساس) بآخر ما عرفه عن انفصال قرين صديقكم وقوته الطاغية. وذهبت إليه في بيته وكدت أن أُقتل!"

-"تقصد شاهدت نفسك في المستقبل؟"

-"لا.. فقبل أن أزور (إسلام) فرغت شحنة الطاقة التي كنت أمتلكها بسبب إنقاذي لجواسيس الجان الذين عرفتهم من (سنان). ومحاولة إيقاف المعارك بينهم".

-"جواسيس الجان؟"

-"اسأل (يصفيدش) الذي تتصل به أنت وأصدقاؤك. هو من جعلهم عرضة للقتل بعد استخدامهم ككمين لـ(المخلبي)".

-"كيف عرفت كل تلك التفاصيل؟"

-"الجساس القديم و(سنان) أخبراني الكثير جدًا حولكم.. المهم، بعدما انتهيت من مسألة الجواسيس جئت هنا لقرب انتهاء شحنتي، واستخدمت آخر مرة أستطيع فيها رؤية المستقبل ورأيتك وتحادثنا، فتركت لك الكلمات، وذهبت لـ(إسلام) في منزله فوجدت قرينه الذي كاد يقتلني".

-"كيف؟"

-"كان يبحث عني في البداية، لاحظت أن الجان لا يرونني بشكل طبيعي، لكنهم يخافون من وجودي".

همس (رحيم) في أذن (حامد):

-"نراه كأنه بقعة ضوء ساطعة".

أعاد (حامد) العبارة على (طه) وأعلمه أنها من (رحيم)، فهز (طه) رأسه متفهمًا وأكمل قائلًا:

-"عندما خبتت شحنتي عرف مكاني، لا أتذكر سوى أنه مد يده داخلي مسببًا ألمًا غريبًا، أفرغت آخر ما أمتلك من مجال كهربي لأهرب وأعود لهنا قبل أن يعود جسدي لطبيعته".

-"(طه).. أعتقد أنه يجب إشراك أصدقائي في هذه المعلومات".

-"وهل ستخبرهم عني؟"

-"أعتقد، سيزورونك في المستشفى ويحاولوا..."

قاطعه (طه):

-"أي مستشفى؟"

-"التي ستنتقل لها. جسدك يمتلئ بالحروق ولا أعرف هل هناك ضرر داخلي أم لا!"

-"بالتأكيد هناك ضرر داخلي أشعر به منذ عدت. ومع ذلك لن أذهب لأي مكان. لا وقت لهذا الترف. يجب أن أحاول العودة لعالم الجان مرة أخرى لأقتل (المخلبي)".

-"تقتل (المخلبي)! تتحدث عن قتله كأنك ستقتل ذكر بط!"

-"يكفيني المحاولة. وخاصة أنني سأخاطر لآخر مرة بالعودة لعالم الجان".

-"تخاطر؟"

-"لا أعرف هل الأسلاك في جسدي تتحمل مرة ثانية أم لا. المهم أنك ستساعدني. أليس كذلك؟"

-"بالطبع!"

-"إذن جد طريقة لإقناع (إسلام) بالسفر صباحًا لتلك المنطقة ونقل (حبيبة). لكن في موعد محدد".

-"ما هو الموعد؟"

-"سأحدد لك الموعد في الغد لو انتقلت لعالم الجان بسلام. لأنني اكتشفت أن (حبيبة) لو خرجت قبل موعد فتح البوابات سيستبدلها بأي فتاه عذراء أخرى".

-"ولمَ أخذ (حبيبة) بالذات؟"

-"لا أعرف. ربما نوع من الانتقام من كل ما يخص صديقك (يوسف) ونسبه لذلك الشخص الذي تسبب في سجنه".

-"لحظة.. كيف سيقوم قرين (إسلام) العاري بإخراج (حبيبة) أمام الناس؟!"

-"فكّر بطريقة لتجنب الناس".

قالها (طه) ونهض من المقعد بصعوبة وهو يقول:

-"اذهب أنت الآن وتأكد من أن يتواجد (إسلام) غدًا قبل الساعة الرابعة عصرًا بالقرب من الهنتيكة. وانتظر أنت هنا بجانب الغرفة النحاسية حتى أخبرك ببقية التفاصيل".

-"وأنت متى ستنتقل؟"

-"سأحلق شعر رأسي وأرتاح قليلًا لأفكّر وأقوم ببعض حساباتي. ثم أعود لعالم الجان".

-"لم تخبرني متى موعد هجوم (المخلبي)".

-"لقد بدأ الهجوم بالفعل!"

•••

الفصل العاشر

النهاية

فتح (مهران) عينيه مرة واحدة كأن وعيه عاد إليه فجأة. نظر حوله فعرف أن الظلام هو ما يحيط به. لكنه كان يرى جيدًا. يرى في العتمة كل شيء بلون يميل للأحمر الباهت. وجد نفسه في غرفة فقيرة امتلأت أركانها بكتب كثيرة وأوراق لم يتبين نوعها.

هنا أحس بقيد على يديه. كل يد عليها كلابة حديدية تخرج منها سلسلة عريضة تربطه للحائط بحلقة معدنية.

شعر بالسخرية من غباء من قيدوه. بالتأكيد لم يعرفوا حجم قوته بعد. جذب يده ليكسر القيد ففشل. حاول بقوة أكبر وهو ينظر ليده اليمنى. فوجد هالة متغيرة الشكل تحيط بالقيد.

في الظلام رأى طلاسم كُتبت على القيد تخرج إضاءة زرقاء منها.

انفتح باب الغرفة ودخل شاب يحمل قنديلاً مضاءً بيده فتبدد الظلام وعاد (مهران) يرى ما حوله. نظر لقيده فوجد الهالة المحيطة بها كما هي لكن الطلاسم كُتبت باللون الأحمر.

-"سمعت صوت القيود تتحرك فعرفت أنك أفقت".

نظر له (مهران) بوجه بارد يتأمل ملامحه. هو نفسه الذي قبل الناس يده وهم ينادون اسمه. (إسماعيل الحلاج).. لن ينسى هذا الاسم الذي كان السبب في هزيمته بعدما عاد من القبر. (إسماعيل) يقف أمامه بشاربه المنمق ولحيته الصغيرة وقد خلع عمامته فظهر شعر قليل في رأسه. نطق (مهران) بهدوء قائلاً:

-"كيف طبقت الصرع بدون تلبيس يديك بعد كتابة الطلاسم عليها."

لم يتخل (إسماعيل) عن ابتسامته وهو يجلس متربعًا على الأرض أمام (مهران) ويضع القنديل بجانبه قائلًا:

-"وتعرف أيضًا تلبيس الكف والصرع به. جيد جدًا. يمكنني أن أجيبك عن أسئلتك لو أجبتني أنا أيضًا عما يدور بخلدي. اتفقنا؟"

لأول مرة يشعر (مهران) بقوة نفسية تخرج من شخص أمامه. برغم أنه رأى في المحروسة العديد ممن يمتلكون خدمات الجان أو يستخدمون السحر. إلا هذا الشاب. كان تأثيره عليه يشبه الوقوف أمام عدو يحترم قوته ويهابها.

-"اتفقنا".

قالها (مهران) فاختفت ابتسامة (إسماعيل) وقال:

-"هناك طرق مختلفة لإحداث الصرع. تلبيس الكف بالطلاسم إحداها فقط. والطريقة التي تعلمتها تمكنني من تلبيس كفي بمجرد القراءة عليه.. قل لي لِمَ لا يوجد قرين لك؟"

-"لم أتوقع أن يكون هذا هو سؤالك الأول. تخيلت أنك تريد معرفة كيف لم أمت".

-"وأنا توقعت أن تسأل عن قيدك، لا عن طريقة تلبيس اليد".

ابتسم (مهران) ابتسامة صفراء وهو يقول:

-"يبدو أن من هم مثلنا لا يندهشون كثيرا. ليس لي قرين لأني ولدت هكذا. والآن أخبرني عن استخدامك لهذه الطلاسم على قيدي. لم وضعتها؟"

-"لأنني استعلمت عنك فلم أجد قرينًا لأعرف أي شيء منه. و(يوسف العطار) غرس خنجره فيك فلم تتأثر كأنك لست من البشر. وفي نفس الوقت لست من الجان. وحتى لو كنت جنيًا تحول لبشر ويعيش بيننا لمت من فورك. لذلك استخدمت قيدًا يمكن أن يعيق البشر وطلسمته بطلاسم تعيق الجان عن الإفلات منه. أي إنني استخدمت طريقة لإضعاف البشر والجان.. وأرى أنني نجحت".

-"تعرف أيضًا الجن الذي يعيش بين البشر؟"

-"وأعرف أنك في مرتبة أعلى منهم. كأنك تحوي صفاتهم وصفاتنا. لذا أحب أن أعرف. ما أنت؟"

-"أنا (الحي بن القصاب بن شادق)".

ظهرت الجدية فجأة على وجه (إسماعيل) وهو يتساءل:

-"(شادق) قبيلة الجان الفارسية التي تحرس البوابات؟"

ابتسم (مهران) هذه المرة ابتسامة انتصار وهو يقول:

-"أنت حقًا تعلم الكثير كما توقعت.. دورك لتعرفني بنفسك وكيف تعلمت كل ما عرفته".

-"ولو أنك لم تخبرني بكل شيء عنك لكن الوقت رخيص بمجلسنا. سأعرف لاحقًا.. أنا (إسماعيل الحلاج). ولدت في قرية (العصارة) بعدما مات أبي وأمي بمرض لا أعرفه قبل أن أدرك وجودهما حتى. تكفل بي سيدنا (عامر الدويشي) أنا وبعض الأيتام بالقرية. عشنا بمنزله الذي اعتبره الناس وقفًا للأيتام في قريتهم من الرجل النازح من قبائل الجزيرة العربية. لكننا عرفنا مع الوقت أن سيدنا لم يكن من إحدى القبائل بشبه الجزيرة لكن نسله يمتد إلى اليمن، وأصبحنا جميعًا من مريدي قبيلة (الثقاف)".

-"أهي تتبع طريقًا صوفيًا لتصبح من مريديها؟"

-"أجب عن سؤالي أولًا. كيف تكون ابنًا للجان؟"

أجابه (مهران) ببساطة:

-"والدي أحد المتحولين الجان، وكان..."

قاطعه (إسماعيل):

-"المتحولون ليس لهم أبناء. لا يمكنهم الإنجاب".

-"هذا ما اعتقده والدي في البداية فابتعد. لكنه عاد ليعلّمني كل شيء عن السحر والتعامل مع الجان. حتى مات حزنًا عليّ".

-"حزنًا عليك؟"

-"لأنني قتلت ودُفنت".

-"دُفنت؟"

-"نعم، وعدت من قبري بعد تسع سنين".

-"تسع سنين!"

قالها (إسماعيل) ووجهه يتجهم. ثم أكمل قائلًا:

-"كأنك تولد من جديد".

-"ملحوظة غريبة لم أفكر بها.. أكمل حكايتك".

تنهد (إسماعيل) وظهر القلق في نبرات صوته وهو يقول:

-"أراد سيدنا أن نتعلم كل ما عرفه عن السحر لأن الله لم يرزقه بأولاد، وقبيلته تتوارث أسرارها بين أبنائها منذ مئات السنين. كان بعضهم قد هاجر إلى الجزيرة العربية ثم هاجر هو من بينهم إلى أسيوط. تربيت أنا والبقية في كنفه نتعلم منه حتى مات بعد أن أصبحت لدينا تلك الكتب التي نسخناها من حديثه ومما تعلمنا منه. (علم الأقلام الروحانية) الذي برعت أنا فيه. و(علم الكواكب والأفلاك) و(علم الحرف وتصريفها) و(علم الزايرجة والعروش). وعلوم كثيرة برع فيها من كانوا معي كل في علمه. اعتبرنا الناس من المتصوفة أصحاب الكرامات ولم يدققوا في طرق نطقنا للعزائم. فقد أخبرناهم أننا تعلمناها من الملائكة وأنها نتيجة خلوات لله نقوم بها. ثم أنشأنا في الصحراء الغرفة المطلسمة. لنتمكن من السيطرة بشكل أقوى على عالم الجن".

-" تسيطرون على الجن بهذه الغرفة؟ كيف؟"

-"قل لي أنت أولاً.. ما الذي يمكنك فعله وكيف لا تموت؟"

-"لم أعرف حدود قدراتي بعد. صفات من الجان وصفات من البشر. لا يمكن أن أتخذ خادمًا من عالم الجان كي لا يكتشف شخصيتي ولكن أستطيع قتلهم ببساطة في نفس الوقت. ضُربت بالبارود وبالسكين ولم أمت. لا أنزف دماءً بسهولة. وإن نزفت لا تزيد عن قطرات صغيرة صفراء.. أستخدم السحر كبشر ولم أكن أعرف هل يؤثر فيَّ أم لا. وعرفت اليوم منك.. اكتشف من حين لآخر قدرات جديدة".

-"لا أستطيع تكذيبك بعد ما رأيت.. سألت عن الغرفة المطلسمة. هي غرفة تعلّمنا صنعها من سيدنا وكتبه التي نسخناها".

قالها (إسماعيل) وهو يشير للكتب المتراصة في الغرفة. ثم أكمل:

-"عبارة عن غرفة تنقش عليها الطلاسم لتحمينا من رؤية الجان لنا ونحن بداخلها. نستدعي الجني لها فيفقد قواه فيمكننا قتله أو استجوابه. وفي بعض الأحيان تتغير الطلاسم فنعرف القليل عن عالم الجان وأخباره".

-"تتغير؟"

-"في العلم الذي برعت فيه هناك طلاسم تُنقش على أحجار ولا تُكتب. ويقرن عليها جان أو موضع. يتحرك الحجر عند تغير حال الجني أو الموضع".

-"الأقلام الروحانية هي علم الطلاسم. أليس كذلك؟"

ابتسم (إسماعيل) وهو ينهض إلى الكتب فيبحث بينها حتى أخرج ورقة قربها من وجه (مهران) وهو يقول:

-"كل أقلام الطلاسم التي يستخدمها البشر نعلمها".

وهذا حروف خط وقلم سليمان عليه السلام			
د	ج	ب	ا
ح	ز	و	ه
ل	ك	ي	ط
ع	س	ن	م
ر	ق	ص	ف
خ	ث	ت	ش
غ	ظ	ض	ذ

دقق (مهران) في الطلاسم بعينيه وهو يقول:

-"تعلمت بعضها لكن لم أتعلم معناها".

أعاد (إسماعيل) الورقة لموضعها وهو يقول:

-"يمكنني أن أشكل الطلاسم بنفسي وهو ما لا تعرفه بالتأكيد".

ثم عاد للجلوس أمام (مهران) وهو يقول:

-"تفرقنا أنا ومن تربوا معي بقرى الصعيد والإسكندرية. لكننا نعود للغرفة حينما يحتاج أحدنا لها. فجئت إلى هنا منذ سنين وافتتحت محلجًا للقطن. وأحبني الناس للغرائب التي أظهرها لهم معتقدين أنها كرامة ولي. منهم من يأتي طلبًا للشفاء من الحمى أو العقم. ومنهم من يحلم بأن يتبع طريقي الصوفي.. الآن أنت تعرف الكثير عني.. ما السبب إذن لقتلك (أحمد بن يزيد) و(أحمد بن إبراهيم) و(يوسف العطار)؟"

-"قاموا بقتل حماي وسرقته. وقتلوا زوجتي بعدما اغتصبوها!"

ابتسم (إسماعيل) ابتسامة واسعة وقال:

-"وما المشكلة في أن يسعى رجالي لرزقهم؟"

اتسعت عينا (مهران) وهو يردد:

-"رجالك!!"

-"رأيتك في المسجد وصليت بجانبك ولم أدرِ أنك تنتظرهم. أعترف أنك خطفت ذهني وأنت تقتلهم ولم أكن لأتحرك لولا طلب الناس النجدة

خوفًا منك. فلا يعرف أحد صلتي بهم. وعندما صرعتك نقلك الناس إلى بيتي لحبسك".

حاول (مهران) فك السلاسل والقيد وهو يشدها بعنف بينما (إسماعيل) يكمل بنفس الابتسامة:

-"يعملون هم وغيرهم تحت إمرتي سرًا. لكن للأسف ما فعلوه بحماك وزوجتك لم يكن من تخطيطي ولم أعرف عنه إلا بعدها".

-"سأقتلك!"

صرخ بها (مهران). فمضى (إسماعيل) نحو الباب حاملًا القنديل وهو يقول:

-"لن أتركك لتعيش. سأجد طريقة لقتلك".

ثم رمق (مهران) وقال بجدية:

-"دم رجالي لن يذهب هدرًا"

ثم غادر الغرفة.

***

لم يحرك (مهران) عينيه عن قيده وهو يرى الطلاسم تتألق في الظلام. مرت ساعات منذ تحدث مع (إسماعيل) ثم قرر قتله.. فجأة جاءته فكرة، في الضوء الطبيعي تصبح الطلاسم حمراء. ومن لونها رجح أنها ليست من الحبر أو الزعفران. قرب يده اليمنى من أنفه وشم القيد. رائحتها تشبه الدماء.

قرب أسنانه من القيد الذي يحيط بمعصمه وأخذ يكحت الطلاسم بقوة بها.

اختفى جزء من الطلسم وتغيرت الهالة المحيطة به، فأمسك بيده اليسرى قيد يده اليمنى وخلعه فانفتح وتحررت يده.

تنفس الصعداء. وسريعًا فعل في قيد يده اليسرى ما فعله لتوه حتى تحرر منه.

نهض واقفًا وهو يفكر فيما سيفعل وكيف يقتل (إسماعيل). لا يعرف بعد ما هي قدرته ليستطيع مواجهته. ولن يترك له فرصه السيطرة عليه كما حدث من قبل.

فتح باب غرفته بهدوء ليجد صالة منزل واسعة مظلمة تمتلئ بمقاعد خشبية كثيرة. نظر حوله في الظلام فوجد غرفتين. إحداهما مغلقة والأخرى مفتوحة. تأكد بأن المفتوحة خالية ثم وقف عند باب المغلقة وهو يتذكر جيدًا ما تعلمه من والده.

نظر للسقف فوجد عمار المكان من الجن ينظرون إليه. فكّر أنه لا يمتلك الوقت لصرفهم. فيجب عليه أن يبدأ الآن. أشار بإصبعه ناحية باب الغرفة وهو يقول همسًا:

-"أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين. مسرعين طائعين عزمت عليكم يا خدم يارلبابيل أن تُغلقوا الباب ولا تفتحوه إلا بأمري. بحق طلاش طلاش طباش طباش آل شداي آن شداي آل خشاه آل خشاه".

قال في نفسه إن (إسماعيل) عاجلًا أو آجلًا سيفك طلسم غلق الباب لكنه يؤخر الوقت لينتهي مما يفعله. أغمض عينيه وهو يتذكر ويقول:

-"أوليس للزجر الشديد قواطع قد لاح كالنيران. بأبارش بيهارش وهيارش حل المهيمن منزل القرآن. جبريل فاهبط بالثريا عاجل نادي هيوط مسعر النيران. نادي سيوط مع طينقود بدت هبتهما بكل مكان. الحرق على من يعصي منكم بنور ديعوج طلقت عنان. أقسمت أقسامًا بعزة بطهش وبطهشلان ذكره برقان.."

توقف (مهران) عن التكملة حينما سمع طرقات من (إسماعيل) على الباب وهو يحاول فتحه. حاول (مهران) التركيز وهو يكمل.

-"عرفانيل فاهبط عاجلًا بعزيمتي واسقم (إسماعيل الحلاج) بسقم الموت العاجل. بسطوة ميكائيل فالأرض زلزلت. وبنفخة إسرافيل نيام الأرض أقلقت. وبقبضة عزرائيل معاشر الجن قد أقهرت. نفذوا يا خدام الجلجوتية الوحي الوحي العجل العجل الساعة الساعة".

توقف (إسماعيل) عن الطرق وجاء صوته من الداخل وهو يقول صارخًا:

-"ماذا فعلت يا أحمق؟"

تراجع (مهران) بظهره وهو يقول:

-"ستموت في غضون يومين على الأكثر. لذلك أودعك الآن مع وعد بالمقابلة في الآخرة يا (حلاج)".

دخل (مهران) للغرفة التي كان محتجزًا بها وخلع عباءته المتربة وهو يضع بها كل ما استطاع وضعه من كتب وأوراق. وغادر المنزل ودقات عنيفة من داخل الغرفة تلاحقه.

***

نظر (طه) لكومة الشعر المتخلفة عن حلاقته لشعر رأسه. ثم نظر للورق الذي يمسك به وقد خطّ عليه عشرات الخطوط والأفكار والعمليات الحسابية. ثم ألقى به فوق كومة الشعر. وانحنى يشعل فيه النار بقدّاحته.

لمس بأصابعه مواضع حرق السلك النحاسي لجسده فلم يشعر بأي ألم. لم يهتم وهو يخلع سرواله ويتجه إلى جهازه.

***

اليوم التالي (6صباحًا)

-"أتصلي يا (حامد)؟"

قالتها والدته وهي تقف أمامه وهو جالس على سجادة الصلاة ويمسك مسبحة محركًا شفتيه. فأشار لها برأسه علامة الإيجاب.

-"ولمَ ترتدي جلباب والدك؟"

-"لا أعرف. لكن الجلباب يشعرني بالخشوع أكثر".

-"والابس كاب على رأسك ماذا يفعل؟"

-"لم أجد طاقية تليق بالجلباب".

-"هل هناك امتحان قريب بكليتك؟"

-"وهل أصلي كلما اقتربت الامتحانات فقط؟!"

-"أجل يا حبيبي".

نهض من على السجادة وأمسك يد والدته يقبلها ويقول بتأثر:

-"سامحيني على كل ما فعلت يا أمي!"

-"كل هذه الدراما لا تليق بك يا أحمق!"

-"لِمَ لا تتركيني لأعيش الجو يا حاجَّة!"

ذهبت أمه وهي تضرب كفًا بكف مهمهمة بكلمات غير مفهومة. بينما صوت (رحيم) يخترق أذنه قائلًا:

-"أرجو أن تكون قد انتهيت من عرضك الديني لنبدأ عملنا".

-"لن تستطع الشعور بما يجول في خاطري يا (رحيم). لقد مات سيد الغرفة النحاسية القديم قبل أن تبدأ الحرب وأشعر أنني سألحق به.. خصوصًا وأن الحرب قد بدأت هذه المرة!"

-"لا تخف. فالأحمق لا يموت محاربًا في عالمكم".

دخل (حامد) غرفة نومه وهو يقول:

-"لا أعرف أأشكرك أم أسبك!"

-"افعل ما تريد. المهم قل لي ما خطوتنا القادمة".

أمسك (حامد) هاتفه المحمول وهو يقول:

-"ستعرف حالاً".

جاءه صوت (رحيم) يقول بسرعة:

-"انتظر. لقد ظهرت بقعة الضوء أمامي.. (طه) هنا!"

توقف (حامد) عن طلب الرقم وصوت (طه) يهمس في أذنه:

-"لقد انتقلت بنجاح لعالم الجان مرة أخرى يا (حامد)".

-"إذن قل لي هل ترى مستقبل ما سأفعله؟"

-"لا أعرف نيتك بعد لكن في كل الأحوال لن أهدر طاقتي. فهذه المرة ربما تكون الأخيرة لي".

-"كنت سأتحدث مع (عماد) الآن".

-"لا.. قبل أن تتحدث معه أريدك أن تحدث شخصًا آخر.. الرجل الذي كلفته بالبحث عني. وبعد ذلك سترسل معي (رحيم) لمهمة خاصة".

***

-"هذا الكلام لا يصلح في الهاتف يا (حامد)".

قالها (عماد) وهو يتحرك مضطربًا في منزل (حازم).

-"افهمني يا (حامد). لا يمكن أن يسافر (إسلام) لهذا المكان الذي تصفه، ردود أفعال (إسلام) غير متوقعة ويمكن أن يؤذي أيًا ممن حوله. على كلٍ تعال لشقة (حازم) عند الساعة التاسعة وسأحاول بكل الطرق أن يتواجد (إسلام) في نفس الوقت ومعه (رقية). فهي الوحيدة التي ستقنعه"

ثم أغلق الهاتف وهو ينظر لـ(حازم) الذي جلس على المقعد الآخر يرمقه بعين نصف مغلقة من قلة النوم.

-"(حامد) يقول إنه يجب على (إسلام) التواجد قبل الساعة الخامسة اليوم عند مكان يدعى الهنتيكة ليحرر (حبيبة)".

قالها (عماد) لكن لم يبدُ على (حازم) التأثر وهو يقول:

-"وهل سنصدق (حامد)؟"

-"ولِمَ أكذبه؟"

-"ببساطة لأنه (حامد)!"

جلس (عماد) بجانبه وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ويقول:

-"لكنه قال لي إن (المخلبي) بدأ في التحرك بالفعل".

طار النعاس من وجه (حازم) وعيناه تتسع تلقائيًا. فقال (عماد) وهو يرمقه:

-"تفكّر مثلي في غياب (قاصيم) أمس بعد أن ترك رجاله معك ولم يجب استدعاءك حتى الآن.. أليس كذلك."

-"لو صحّ كلام (حامد) فـ(قاصيم) الآن في صفّ قبيلته داخل الحرب الدائرة".

-"و(قاصيم) هو حلقة الوصل بيننا وبين (يصفيدش)".

-"هل عرف (حامد) مكان (حبيبة) من خلال الغرفة النحاسية؟"

أمسك (عماد) هاتفه المحمول وهو يستعد للاتصال بـ(رقية) قائلًا:

-"يقول إن مصدر معلوماته آخر شخص يمكن أن نتوقعه.. ابن (عباد)".

-"ماذا؟!"

لم يجب (عماد) وهو يرفع هاتفه لأذنه ليتحدث مع (رقية).

***

-"أحضر لي (قصعان)".

قالها (المخلبي) لأحد رجاله بينما يسير بين حراسه بملابس الحرب، فجرى الرجل لتلبية مطلبه. بينما قال أحد الحراس:

-"لم أثق في ذي القرن من قبل يا سيدي. ولاؤه غير مأمون".

-"ولم أثق أنا به من البداية لكنه لا يملك الكثير أمامنا".

-"يملك اليأس من حياته".

-"بالعكس. يملك الأمل في أن يعيش بعد فتح البوابات".

قالها (المخلبي) وهو ينظر لحارس آخر قائلًا:

-"هل يحصل (كاسب) جاسوس (بصفيدش) على المعلومات التي أخبرتك بها بانتظام؟"

-"كما طلبت تمامًا"

ابتسم (المخلبي) وهو يغادر قصره قائلاً:

-"شقيقي يعرف أنني زرعت جاسوسًا عليه في المقابل. برغم أنه يعرف بأمره ويعطيه معلومات زائفة عن تحركاته لكنه لن يتوقع أنني أعرف جاسوسه أيضاً"

-"وماذا سنفعل مع (كاسب) قبل فتح البوابات؟"

-"لن نفعل شيئًا إلا بعد الانتهاء.. (كاسب) أحد قوادي القلائل الذي تثق الجيوش به. ولو قتلته سيتمرد الكثيرون.. لن ننتظر كثيرًا على كل حال".

***

-"كيف حالك سيد (عماد)؟"

قالها (يسري) وهو يقود سيارته خارجًا من باب الفيلا.

-"هل يمكنني المرور عليك اليوم كما اتفقنا؟ جيد. كم يناسبك؟ الساعة الواحدة ظهرًا تناسبني.. صف لي العنوان من فضلك".

***

-"اسمع يا بني. لا أريد منك التحدث مع صديقك الجني هذا أمام رجالي".

قالها المأمور بصوت خافت وهو يخرج من القسم يرافقه (حامد) الذي قال:

-"لا تخف. سأمثل أنني أتحدث في الهاتف".

فتح السائق باب السيارة ليدخل المأمور و(حامد). والأخير يقول:

-"لن اكون حاضرًا معك".

بعدما استقرَّ المأمور في المقعد الخلفي نظر لـ(حامد) مندهشًا:

-"وكيف سأعرف ما يجب فعله؟"

صمت (حامد) لثوانٍ كأنه يستمع لشيء، ثم قرب فمه من أذن المأمور هامسًا:

-"لا تخف مما ستسمعه".

تردد صوت في أذن المأمور يقول:

-"لا تحتاج أن ترد عليّ أمام الناس، يكفي أن تسمع إرشاداتي لك. أنا (طه عباد) الذي كنت تبحث خلفه أمس. سأقابلك في المكان الذي اتفقت عليه مع (حامد).. وداعًا".

ظل المأمور صامتًا ينظر أمامه مصدومًا حتى بعد انتهاء كلمات (طه). حتى سمع صوت السائق يسأل:

-"إلى أين سنذهب يا باشا؟"

***

مازال (بصفيدش) جالسًا عند رأس الجيش يسمع بملل رأي أحد قواده في خطة للخروج من المأزق الذي وضعهم فيه (المخلبي). أصوات الجنود على مقربة ترتفع بشكل طبيعي أثناء التدريبات العسكرية.

عقله يسرح في الهزيمة القادمة التي سيحظى بها لو فُتحت الأبواب.. ارتفع صوت الجنود أكثر من المعتاد فنظر إليهم شذرًا.

منذ ابست طريقة التدريب المعتادة. نهض من مجلسه وهو يرى الجنود يلتفون حول شيء ما مستخدمين أسلحتهم لطعنه.

فجأة ظهر (رحيم) وهو يضرب بكرباج يحمله يمينًا ويسارًا وحوله الجنود يحاولون طعنه بالرماح التي تتكسر عندما يلمسها طرف الكرباج.

-"توقفوا. إنه معنا".

ابتعد الجنود عنه ببطء وهو يقف بملابسه السوداء ينظر لهم متحفزًا.
صرخ أحد الجنود من بعيد مخاطبًا (يصفيدش):

-"إنه جساس الغرفة النحاسية يا سيدي".

أسرع (يصفيدش) ومن كان يجلس معه إليهم وهو يهتف بهم:

-"لا يمسه أحد. هذا (رحيم) أحد رجالي".

نظر له (رحيم) بأدب وقال:

-"لم أعد من رجالك يا سيدي. فأنا الآن خادم للغرفة النحاسية وسيدها".

وقف (يصفيدش) أمامه يتأمله حتى قال (رحيم):

-"جئت ممهدًا لرجل يطلب مقابلتك فورًا".

-"رجل من البشر؟"

-"كان من البشر لكنه من الجان الآن. ولا تظنن يا سيدي أنني أمزح معك!"

زادت همهمات الجنود متسائلة عن المعنى، في حين فاجأهم (يصفيدش) سائلاً:

-"كيف سأقابله؟"

-"الآن سيأتي، لكن يطلب منك أن يترك رجالك أسلحتهم كي لا يتهورون".

-"لا تقتربوا من الضيف الآتي".

قالها (يصفيدش) مخاطبًا الجنود. فقال (رحيم):

-"سيخالفون أمرك من الخوف. يقول لك إن الأمان في ترك أسلحتهم".

-"اتركوا أسلحتكم وابتعدوا عنها".

كاد أحد القادة أن يعترض لولا أن أشار له (يصفيدش) بالسكوت. بينما نفذ الجنود الأمر بمجرد سماعه. وقف (يصفيدش) ينظر لـ(رحيم) والصمت يجري معه الوقت ببطء.

ظل (يصفيدش) صابرًا دون أن يعرف السبب. كأن حضور هذا الضيف من عدمه لن يشكل فارقًا.

فجأة ظهرت نقطة ضوء في مساحة خالية بجانب (رحيم) وتضخمت حتى أصبحت أكبر حجمًا من هذا الأخير. ثم جاء صوت (طه) من تلك البقعة يقول:

-"شرف لي مقابلة القائد (يصفيدش)".

اقترب الجنود من أسلحتهم مرتبكين. فرفع (يصفيدش) يده لأعلى آمرًا إياهم بالتوقف. ثم نظر بعدها لـ(طه) وقال بهدوء:

-"أنت سلاح (المخلبي) الذي قتل رجالي".

-"لست مع (المخلبي) ولم أقتل رجالك وحدهم، بل مات أيضا رجال لـ(المخلبي)".

-"من أنت؟ وما هذا الضوء الساطع الذي يمنع رؤيتك؟ وما حكايتك؟"

-"لا يصح التحدث أمام الجنود في مثل هذه الأمور".

-"أجب أولا على أسئلتي وأنا أقرر بعدها إن كنا سنكمل حديثنا أم أقتلك".

-"أنا (طه) ابن (عباد) سيد الغرفة النحاسية. وجسدي يراه الجان بهذا الشكل لأنني بشر انتقل بين عوالمكم وأبعادكم عن طريق تسريع ذرات جسدي حتى أصبحت أسرع من أن تلاحظوها. أما حكايتي فتتلخص في عبارة (إن تركتني أساعدك سنقضي على (المخلبي))!"

***

-"سنتناول الإفطار سويا يا بنيتي".

قالتها والدة (إسلام) لـ(رقية) بعد أن أجلستها في صالون الشقة. فرفضت (رقية) بأدب وهي تشكرها، بينما أصرت الأم.

-"كيف حالك يا أمي؟"

قالها (إسلام) الواقف على الباب والإجهاد واضح على وجهه كأنه لم ينم منذ فترة. فانفرجت أسارير الأم وهي تسرع إليه تحتضنه. بينما هو ينظر لـ(رقية) نفس النظر التي تعودت على رؤيتها. فقالت مبتسمة وهي تقترب منه:

-"هل تتذكر والدتك؟"

-"أتذكرها وأتذكر اسمي ودراستي والكثير عني وعن أصدقائي. لكن أسف لا أتذكرك. برغم أنني أشعر أني أعرفك منذ وقت طويل".

-"الحمد لله يا دكتورة (رقية). نجحت جلسة علاج أمس وتذكرنا".

قالتها الأم ثم أسرعت لغرفة النوم وهي تقول:

-"سأتصل بالجميع لأبشرهم".

رمق (إسلام) وجه (رقية) وقال:

-"أشعر بقربك مني. كأنني كنت أحمل لك مشاعر ما".

همست (رقية) وهي تقرب رأسه من رأسها قائلة:

-"هل تذكرت بحق أم إن هناك شيء أخر؟"

نظر (إسلام) حوله كأنه يتوقع ظهور شخص في أي وقت. ثم قال:

-"هل تعرفين شيئا عن قريني؟"

ابتسمت (رقية) وقالت:

-"هل سألته عن حياتك السابقة؟"

-"تعرفينه إذن".

-"أعرف كل شيء عنه".

-"قضيت الليل أستفسر منه عن حياتي لكنه لم يذكر وجودك".

-"لأنني غير موجودة في حياتك السابقة. سنفهم كل شيء ونحن في طريقنا".

-"إلى أين؟"

-"عائلتك تعرف أنني أخذك لجلسات علاج في المستشفى. لكننا سنذهب لـ(حازم) و(عماد). هل تتذكرهما؟"

-"عرفت كل شيء عنهما. لكن ما سبب ذهابنا؟"

-"اتصل بي (عماد) وقال بأننا يجب أن نحضر قبل الساعة التاسعة لأمر خطير".

-"سنذبح خروفًا لله بركة تعافيك".

قالتها الأم بعد أن عادت فجأة من غرفة النوم وتحمل بيدها هاتفًا محمولًا. فقالت (رقية):

-"الحمد لله. لكن يجب أن نذهب لجلسة اليوم كي يتحسن أكثر".

-"اذهبا يا ابنتي ولا تتأخرا عن الجلسة. لا أعرف.. أشعر أنني أستبشر خيرًا بجلسة اليوم".

-"وأنا أيضًا".

قالتها (رقية) والارتباك يغزو نبرات صوتها وهي تنظر لـ(إسلام).

***

جلس (يصفيدش) أرضًا في مكان يشبه الخيمة بجانب معسكرات جيشه. وأمامه (طه) كبقعة ضوء لا يعرف (يصفيدش) معها أهو جالس أم واقف.

-"لماذا أخفيت الجواسيس؟"

سأل (يصفيدش). فرد (طه):

-"لأنك استخدمتهم كطعم لاصطياد (المخلي). لا ذنب لهم في ذلك الصراع".

-"هم جنود في حرب طويلة ويعلمون جيدًا أن الموت أقرب إليهم من الحياة".

-"من حقهم معرفة مصيرهم لا أن تقودهم إليه كالبهائم. وإن كان أمرهم لا يعنيك فعائلاتهم من البشر تهمني".

-"قيمنا الأخلاقية مختلفة".

-"بدأت أشعر بذلك بعد انتقالي لعالمكم. لكن المشكلة ليست في البشر. المشكلة في عالمكم. عندما نقلتم حروبكم إلى عالم البشر.. فلتبيدوا بعضكم إن أردتم. لكن ابتعدوا عنا".

-"أنتم أيضًا تبيدون بعضكم البعض".

-"لكن لم نمسسكم".

-"لو كنت تطلب مقابلتي لتسلي الوقت بمحاضرة عن مخاطر اختلاط عالمينا فاسمح لي أن أقول إنك خيبت ظني!"

-"لا تخف لن أخيب ظنك.. أولا البوابات ستُفتح بعد قليل".

-"شيء متوقع".

-"لذلك يجب أن نتكلم بصراحة كافية".

-"بدأ صبري ينفد من هذا الحديث الطفولي".

-"صممت آلة في عالم البشر مكنتني من الدخول لعالمكم لفترة محددة بعود جسدي بعدها لعالمي ثانية. استطعت بآلة أخرى قتل (سنان) بعد استجوابه. أستخدم الكهرباء كمادة قريبة التكوين من طاقة أجسادكم ويمكنني إخراجها من جسدي كسلاح يضر بكم. وإن ركزتها أكثر أصنع قنبلة طاقة".

-"هذه الطريقة في القتال غريبة علينا. هل تعرض عليّ استخدامها ضد (المخلبي)؟"

-"لا. بل أعرض عليك أن تسير حسب طريقتي. ألم تسأل نفسك كيف عرفت موعد هجوم رجال (المخلبي) كل مرة عند كل جاسوس؟"

-"أجبني إن لم أسأل!"

-"أرى مستقبل ما سيحدث عند إقدامي على حركة. أفقد جزءًا من طاقتي عند كل مرة أفعلها لذا سأوفرها قدر الإمكان".

-"لهذا قال (رحيم) إن رجالي سيهاجمونك لو ظلوا محتفظين بأسلحتهم؟"

-"رأيت ذلك وأمكنني تغييره".

-"وكيف سأسير حسب طريقتك التي لا أعرفها؟"

-"في البداية ستكشف لي بعض أوراقك ليمكنني استخدامها بطريقتي".

-"وما الضامن لنجاحك؟"

-"لا ضمانات. أنت ستضحي بنفسك في سبيل انتصار غير مضمون ننتظره. وأنا مثلك سأضحي بنفسي في سبيل قتل (المخلبي)".

-"تساعدني انتقامًا لأبيك؟"

-"أردت الانتقام في البداية. لكنْ مع الوقت أدركت أنني لا أملك سوى خيارين ينتهيان بالموت. لكنّ أحدهما يحمل بعض الأمل في النجاح".

-"هل تعرف يا (طه) لِمَ يحتفظ بي المجلس منذ زمن برغم اختلافي الدائم معه؟ لأنني أتخذ بعض خطواتي بشكل معتمد على الشعور والحدس فقط. وهذا ما اعتبروه جنونًا. لكن كثيرًا ما نجحت وحصلت على ما أريد".

-"أفهم أنك معي؟"

-"نعم.. ورقي الرابع يتعلق باستدعاء كيان العفاريت الذين اختفوا منذ (سليمان) الحكيم. يملكون وقف (المخلبي) أو التصدي للملوك السبعة إن خرجوا. وموضوع خاص بعودة (إسماعيل الحلاج) لعالم البشر بعد انفصال قرينه منذ دخوله هنا. وعودة (يوسف) هو الآخر قبل فتح البوابات.. أما آخر ورقة فتخص جاسوسًا زرعته عند (المخلبي)".

-"مما عرفته عنك لا أشعر بخير من وراء نيتك لعودة (يوسف)!"

-"أردت عودته كطعم لإثارة غضب (المخلبي) واستفزازه لقتله".

لم ينطق (طه) فابتسم (يصفيدش) قائلا:

-"قلت لك هذه حرب ولا وقت للتفكير في أخلاقية أفعالي".

-"و(إسماعيل)؟"

-"(إسماعيل) هذا هو صانع الطلاسم الوحيد الذي عرفته من عالمكم. عندما طلب مقابلتي لأني شقيق المخلبي لم أكن أتخيل أن يخبرني بكل الحقيقة. حتى الأشياء التي تدينه.. ألقى أحد السحرة عليه عزيمة أمرضته حتى أصبح موته محتوما في غضون ساعات. فاستعان بالمخلبي ليقتل له خدام الملوك الذين استعان بهم الساحر عند إلقاء عزيمته. فخلصه بذلك من ضرر العزيمة".

-"وهل يمكن قتل خدام العزائم؟"

-"يمكن لكن لو كُشف أمرك ستكون نهايتك على يد ملوكهم. و(المخلبي) استطاع قتلهم في سرية بدون كشف أمره. وفي المقابل طلب من (إسماعيل) أن يُعلّم أهل قريته الكلمات التي تحولهم لقرابين لـ(المخلبي) كي يقدمها للملوك السبعة".

-"اذن المخطوطة في الأصل ليست حقيقية؟!"

-"بعد وشاية (إسماعيل) بـ(المخلبي). قام رجال الأخير بصنع المخطوطة ليقرأها أحد أبناء (إسماعيل) كي يتحرر (المخلبي) من قيوده. مرت

أجيال كثيرة وهم يحاولون إلقاء الكلمات لأحد الأحفاد كي يستخدمها لكن بلا فائدة، حتى التقطها (يوسف)".

-"ولِمَ لم ينطقها أحد البشر منذ البداية؟"

-"عندما أبلغني (إسماعيل) بكل شيء لم أرد لـ(المخلبي) الموت بل السجن. فصنع (إسماعيل) طلاسم نحتت على سجن وأغلال (المخلبي) تمنعه من الحركة، وهذا هو سر تفوّق (إسماعيل). أما الكلمات التي تفك هذه الطلاسم فقد أخذتها من (إسماعيل) وتسربت من عندي لرجال (المخلبي)، لذلك قررت سحب (الحلاج) لعالم الجان كي أحرم رجال (المخلبي) من العودة. لكن لم أضع حسابًا لفكرة أن يقرأ الكلمات واحد من نسله".

-"وتطمع في عودة (إسماعيل) بطلاسمه كي يوقف (المخلبي)".

-"حاول علماؤنا كثيرًا بلا جدوى، نستدعي القرين وننقل (إسماعيل) لعالمكم لكن نفشل في اتحاد القرين بالجسد، يظل القرين بجانب الجسد بلا التحام".

-"اتبع خطواتي كاملة لأنني سأرتجل، وكل ما أطلبه منك نفّذه بلا مناقشة، لأنني أستطيع إعادة (الحلاج) لعالم البشر، لكن في توقيت سأحدده لاحقًا، أما الآن فحرك جيشك لمجابهة جيش (المخلبي)".

-"لا فائدة".

-"هل تستطيع أثناء المعركة أن تخسر وتنسحب وتهاجم، وكل هذا حتى نسحبهم لبقعة خاصة؟"

-"أي بقعة؟"

-"البقعة التي توازي في عالمنا صحراء لوط بجنوب شرق إيران".

-"وبعدها؟"

-"بعدها انتظرني".

***

-"سأعتبر أنني صدقتك. لكن لِمَ أحضرت مأمور قسم (روض الفرج) معك إلى هنا؟"

قالها (عماد) لحامد وهو يجلس على الأريكة في الصالة وبجانبه (حازم) وأمامهما يجلس (حامد) والمأمور

-"لقد وافق أن يرافق (إسلام) للهنبكة كي يحميه من الناس".

تنحنح المأمور وقال:

-"اتصلت بنائب مدير الأمن بأسيوط لأنه صديق قديم لي وطلبت منه مساعدة بعض الضباط لمرافقتي لقرية (عرب مطير) لمنع الأهالي من الاقتراب مما نفعله. بالطبع لم أقل الحقيقة التي لا أعرفها كاملة. لكني أخبرته أن أحد المسجلين خطر هرب من حجز القسم إلى هناك ليحتمي بعائلته. وأريد أن أعيده سرًا قبل عرضه على النيابة. ويجب ألا تعلم المديرية بهذا الأمر كي لا يؤثر على ترقياتي".

-"وهل وافق هكذا على الفور؟"

تساءل (حازم).

-"رفض في البداية لخطورة الموضوع على منصبه. ولما ألححت عليه وافق في النهاية على مضض".

-"لماذا تساعدنا؟"

-"لا أعرف. ربما أشعر أن كل هذا الجنون يجب أن ينتهي. ربما أثارتني فكرة المشاركة فيما يحدث في العالم الآخر الذي أسمع عنه منذ طفولتي".

-"لكنك تعرف حجم المخاطرة. أليس كذلك؟ لو فشلنا سيعاقب (المخلبي) كل من قدم مساعدة".

-"لا يهم!"

رن جرس الباب فنهض (عماد) لفتحه. دخل (إسلام) الشقة وخلفه (رقية). ووقف في منتصف الصالة يتأمل وجوه الجالسين. فجأة انفتح باب غرفة النوم وخرج منه قرين (إسلام). فقال (حازم) بسرعة:

-"ما الذي جاء به؟ لقد صرفت كل من حولي من جان!"

-"أنا الذي أحضرته".

قالها (إسلام) بجدية. ثم نظر لقرينه وقال له:

-"أشر على كل شخص من الموجودين في الشقة وقل اسمه".

رفع القرين يده مشيرًا لكل شخص وهو ينطق اسمه. حتى أشار لـ(رقية) وأنكر معرفته بها. ثم أشار للمأمور الذي ما انفك يقرأ القرآن وشفتاه ترتعشان. وأنكر معرفته أيضًا.. هنا قالت (رقية) لـ(عماد):

-"أيقظه ليلًا شيء أراد مساعدته. ومن وقتها وهو يتحدث مع قرينه ويعرف منه كل شيء. وقال لي ونحن في الطريق إنه تدرب على استعماله أيضًا".

-"(طه) هو من أيقظه".

قالها (حامد) فنظر له (إسلام) مستفهمًا. بينما قال (حازم):

-"أعتقد أن ذلك سيرفع الكثير من حمل إقناعه عن كاهلنا".

***

-"قلتها ولن أرجع فيها. لن يدخل أحد بعدما أدخل من باب القاعة".

قالها دكتور (سلماوي) لفتاة تقف عند باب القاعة وعلى وجهها نظرة استعطاف.

-"اخرجي!"

صرخ بها (سلماوي) في الفتاة فأسرعت للخارج محرجة. ثم نظر للطلاب الجالسين في صفه وقال:

-"الأدب فضلوه على العلم. ومن لم يتعلم الأدب في منزله سيتعلمه في محاضرتي".

سمع صوت (طه) في أذنه يقول:

-"أمازلت تثرثر؟"

نظر (سلماوي) حوله وهو يتساءل:

-"من منكم يا باشمهندسين الذي تحدث؟!"

ساد الصمت بين الطلاب وهم ينظرون لبعضهم البعض.

-"لا يسمعني غيرك يا (سلماوي) الكلب!"

بمجرد أن سمع (سلماوي) العبارة صرخ في الطلاب:

-"من منكم قال يا (سلماوي) الكلب؟!"

كتم البعض ضحكاتهم، بينما سمع (سلماوي) صوت (طه) يقول:

-"قلت أتيك قبل بدأ المعمعة لأترك لك هدية.. فربما لا أعود".

-"هدية؟ أي هدية؟!"

قالها (سلماوي) مخاطبًا الفراغ، فأفلتت بعض الضحكات الخافتة من الطلاب. فجأة رأى الجميع سروال (سلماوي) ينجذب لأسفل لتظهر ملابسه الداخلية السفلية. ثم ارتطمت رأسه فجأة بالحائط خلفه.

ضجت القاعة بالضحك.

***

-"الساعة تقترب من الواحدة".

قالها (حازم) مخاطبًا (عماد)، الذي تساءل وهو يمسك هاتفه المحمول:

-"وما المشكلة هنا؟"

-"صديقك دكتور (يسري).. ألن يحضر؟"

ضرب (عماد) كفه بجبهته متذكرًا:

-"لسبله في خضم الأحداث!"

-"وهل ستقابله؟"

-"سأحاول أن أختصر معه. فلا وقت لفك الطلاسم".

-"هل كنت تنوي طلب أحد على الهاتف؟"

-"(حامد). أردت..."

قطع جرس الباب عبارته.

-"لقد جاء!"

نهض (حازم) ليفتح الباب و يستقبل (يسري) الذي كان يحمل بعض الأوراق. أدخله إلى الصالة ثم استأذن ليحضر له قهوة كما طلب.

-"كيف حالك يا سيد (عماد)؟"

-"بخير. لا أعرف كيف أشكرك على تعبك هذا بدون مقابل".

-"لا تشكرني. فأصدقاء قريبك كانوا من تلاميذي. ولو أني أجدها مصادفة غريبة جدًا أن تأتيني أنت أيضًا".

-"رحمهم الله جميعًا. لكن ما كان ردك على استفسارهم؟"

-"سألوني عن مخطوطة ابن إسحاق. فأخبرتهم أنها مجرد أسطورة ولا وجود لها في الحقيقة".

-"على كل حال لم يعد شيء هام بعد موتهم".

ارتبك (يسري) وبلع ريقه بعد أن شعر أن (عماد) يكلمه ببرود. ثم قال:

-"أعتذر منك يا سيد (عماد) على كوني غير مفيد هذه المرة أيضًا".

اعتدل (عماد) احترامًا وهو يقول:

-"لا يا دكتور. ما هذا الكلام؟ الموضوع صعب الشرح فقط. أقصد أن..."

قاطعه (يسري) مبتسمًا وهو يقول:

-"يمكننا أن نؤجل حوارنا لو أردت".

-"هل ستغضب، لو أجلناه؟"

-"لا مشكلة. على كل حال كنت قد وجدت عن شخصية الراهب (سمعان) بعض الأمور الغريبة. سنناقشها في وقت قريب".

عاد (حازم) من المطبخ يحمل القهوة في فنجان صغير وهو يقول:

-"آسف. فالقهوة بدون "وش". يبدو أن النار كانت مرتفعة عليها".

نهض (يسري) قائلًا بود:

-"أشكرك. سأشربها في وقت لاحق".

-"أي أمور غريبة؟"

تساءل (عماد) بعدم اكتراث وهو ينهض ليوصل (يسري) لباب الشقة.

-"أمور تتعلق بغرفة تتحكم بالجان تحت الدير الذي أقام به في المقطم".

اهتزت القهوة في يد (حازم) واتسعت عينا (عماد).

***

-"(حامد). اذهب للغرفة النحاسية الآن".

سمع (حامد) صوت (رحيم) وهو يركب الميكروباص. فأخرج هاتفه المحمول ووضعه على أذنه قائلًا:

-"(رحيم) حبيب قلبي. ماذا فعلت مع (دله)؟"

-"لقد قابل (يصفيدش) واتفقا على التعاون. سأظل بجانبك حتى تصل للغرفة النحاسية وعندها سأبلغه".

-"وماذا يريد مني؟"

-"ستفتح كل منافذ الغرفة عندما أدخل".

-"لم؟"

-"لا أعرف".

-"أعتقد يا صديقي أن دورنا في هذا الفيلم هو المشاهدة فقط".

***

-"أرجو أن تجلس وتخبرني بكل ما عرفته عن (سمعان) هذا".

قالها (حازم) وهو يشير لـ(يسري) بلهفة كي يجلس. جلس هذا الأخير مندهشًا وهو يسأل:

-"ما سبب هذا الفضول؟"

-"ستعرف كل شيء. لكن أرجوك قل لنا ما عندك!"

قالها (عماد) وهو يجلس متحفزًا وقد ربط بين الاسم الذي سمعه من (حامد) لأول مرة وبين هذا الراهب. تنحنح (يسري) وفتح الأوراق التي ملأها بالملاحظات وألقى عليها نظرة ثم قال:

-"الراهب (سمعان) السائح ولد في أسرة متدينة من الصعيد. وقد ألحقوه بسلك الرهبنة مبكرًا. طاف بالكثير من البلاد العربية حتى استقر بمصر وأنشأ ديرًا في المقطم. تعرض هذا الدير كغيره من الأديرة لبعض المضايقات من المسلمين المتطرفين. لكن لم تكن تلك المشكلة لـ(سمعان) وبقية الرهبان. المشكلة كانت في الأرواح الشريرة كما كان يطلقون عليها. وهذا اللفظ هو المعادل الشائع عند المسيحيين الخاص بفكرة التلبس. أما عند المسلمين فيؤمنون بالجان المتلبس. وإن كان التشابه بين الفكرتين يقترب من التطابق.. اشتهر هذا الدير باستقبال حالات لبس من الشياطين لمعالجتها روحانيًا. حتى إن بعض المسلمين يقال إنهم تعافوا في الدير من حالات لبس للجان. لكن فجأة تغير كل شيء وأصيب كل رهبان الدير بالرعب عندما بدأوا في رؤية الجان والشياطين حسب قولهم يتحركون بينهم. لم ينقذهم إلا قدوم المعلم (جرجس) ومعه صديق غريب الأطوار من المسلمين. هذا الغريب أنقذ الرهبان وقضى على الجان بل وأصبح صديقًا لـ(سمعان). وقد لقبه (سمعان) بابن الجن. وقد اندهشت كثيرًا لهذا اللفظ العامي الذي أعتقد أنه يقصد به (ابن الجنية). كما نقول عن الشخص الذكي".

تبادل (حازم) و(عماد) النظرات، بينما أكمل (يسري):

-"يقول زملاء (سمعان) في الدير إن ابن الجن هذا ساعد (سمعان) في بناء غرفة تحت الدير ليلتقط بها حركة الجان ويحمي نفسه منهم ويقتلهم إن أراد".

-"ومن ابن الجن هذا؟"

-"لم يوضح أحد حقيقة شخصيته. لكن (سمعان) كان يقول إنه سيكون له شأن كبير بين الجان. لو اعتمدنا على خرافة (سمعان) فسنجد أنه حذف آخر مزمور من ترجمته كأنه أراد ألا يطلع عليه أحد. لكن إن أراد أن يخبئ مفتاح الشفرة فأين يمكن أن..."

قطع (حازم) عبارته وهو يقول بسرعة:

-"الحلم الذي حلمناه!"

-"أي حلم؟"

تساءل (يسري). فنهض (عماد) وهو يقول:

-"(سمعان) خبأ مفتاح الشفرة في الغرفة النحاسية كما رأينا في حلمنا أمس".

-"نحاسية؟!"

كان (يسري) يوزع نظراته بينهما وهو ينتظر تفسيرًا.

-"لو وجد مفتاح الشفرة شخص عادي هل يستطيع حلها؟"

تساءل (حازم). فرد (يسري):

-"لا أعرف. ربما كانت شفرة مركبة تحتاج إلى حل الأرقام أولًا قبل تحويلها لحروف".

-"هل تستطيع أنت حلها لو رأيتها؟"

"أعتقد.. لو حاولت ربما أستطيع".

نظر (حازم) لـ(عماد) قائلًا:

"لا نملك الكثير من الوقت. وربما لن نتمكن من الوصول لـ(يصمفيدش) بسرعة كافية".

هز (عماد) رأسه بالموافقة. ثم نظر لـ(يسري) الذي قال:

-"هل تسمحا لي أن أفهم ماذا يحدث؟!"

نظر (عماد) نظرة أخيرة لـ(حازم). ثم عاد ينظر لـ(يسري) ويقول:

-"دكتور (يسري). الغرفة التي تتحدث عنها موجودة. ونرجوك أن تدخلها معنا لنبحث عن مفتاح الشفرة".

***

-"ادخل الآن يا (حامد) للغرفة وافتح لي عندما أحضر كل منافذ الغرفة وليس منفذي وحدي".

سمع (حامد) العبارة في أذنه يقولها (رحيم) وهو يدخل لغرفة مكتب (عماد). فأسرع ينزل للغرفة ويفتح بابها. بمجرد دخوله سمع الصوت الذي ينبئ بطلب (رحيم) الدخول. فقال (حامد):

-"تفتح كل منافذ الغرفة بدعوتي".

وسط الغرفة ظهر (رحيم) وبجانبه بقعة الضوء. لكن ضوءها يزداد بكثافة عن مظهرها القديم. وفي ركن الغرفة ظهر جسدان وحولهما عدد كبير من الجان يحملونهما. سقط الجسدان أرضًا بعد أن شعر

الجان بالتعب ثم اختفوا. بعدها ظهر جنيان يحملان ملابس في شكل كومة ألقياها على الأرض واختفيا. دقق (حامد) في الجسدين.

هذا جسد لرجل ناضج لا يعرفه. أما الجسد الآخر فكان لـ(يوسف). نطق (حامد) باسمه في لهفة وهو يجري ناحيته. بينما سمع (طه) يقول له.

-"أغلق منافذ الغرفة بسرعة قبل أن ينتبه لها الجان!"

قام (حامد) بإغلاق المنافذ بعدم اكتراث وهو ينحني ليفحص جسد (يوسف) العاري ويحاول إفاقته.

-"اتركه فهو بلا قرين".

نهض (حامد) وهو ينظر لبقعة الضوء ويقول متأثرًا:

-"لقد رأيت في اليومين السابقين أجسادًا عارية أكثر من قدرتي على التحمل. وكلها لرجال!"

-"يمكنك بدلًا من المزاح أن تلبسهما ملابسهما التي احتفظ بها (يحنيدش)".

أمسك (حامد) كومة الملابس وهو يقول:

-"(يصحيدش دراي كلين).. لماذا أقوم دائمًا بهذه الأعمال؟"

انشغل (حامد) بالملابس بينما قال (طه) لـ(رحيم):

-"هل يمكنك استدعاء قرين كل منهما لداخل الغرفة النحاسية؟"

-"الغرفة علمتني الوصول للقرين حتى أتعرف على الأشخاص فقط. أما لو كان القرين منفصلًا فلا أعرف نسبة نجاحي. لكن سأحاول"

اختفى (رحيم). فقال (حامد) وهو يحاول جاهدًا إلباس (إسماعيل) جلبابه:

-"هل من الطبيعي أن الضوء الصادر من جسدك أصبح أكثر سطوعًا؟ أم إن نظري يخدعني؟"

نظر (طه) لحوائط الغرفة النحاسية وقال:

-"اعتقد أن الغرفة تعمل كمكثف لشحنتي الكهربية. أشعر بالكهرباء تسير في جسدي بشكل أسرع".

أكمل (طه) تأمله في الغرفة وقال:

"لم أتوقع أن تكون الغرفة بمثل هذا الإبداع. كأن من بناها كان يعرف تكنولوجيا حديثة لم نتوصل إليها بعد.. أو كأنه اعتمد على فيزياء الجان لبنائها.. الأوامر الصوتية ومنافذ الدخول للغرفة ومتابعة حركة الجان، كأنني داخل كمبيوتر عملاق".

سمع (حامد) صوت الشهيق المميز لطلب (رحيم) الدخول. فسمح له مغمضًا عينيه وهو يُدخل قطعة ملابس داخلية في جسد (إسماعيل).

تشكّل (رحيم) وطرف كرباجه يلتف حول رقبة قرين (إسماعيل الحلاج). تركه واختفى ثانية. فظل القرين ينظر يمينًا ويسارًا بلا معنى حتى أتى (رحيم) مع قرين (يوسف).

-"(حامد). غادر الغرفة النحاسية وعد بعد دقائق.. لو نجحت فستجد صديقك وجده أحياء. ولو فشلت ربما ماتا. أما أنت يا (رحيم) فاسبقني للمكان الذي اتفقنا عليه في صحراء إيران".

تنحنح (حامد) وهو يسأل:

-"لحظة. بموتان؟!"

-"نعم. نظريتي تجعلني أعتقد أن حركة تردد جسدي قرينهما أصبح مختلفًا عند دخولهما عالم الجان فانفصلا. سأحاول شحنهما ليصبح التردد واحدًا مستخدمًا الغرفة في تكثيف طاقة المجال الكهربي الذي أمتلكه.. لكنني لا أمتلك أجهزة قياس. فلا أعلم النتيجة".

-"لم أفهم شيئًا. لكن وفقك الله!"

قالها (حامد) وهو يغادر الغرفة و(طه) يقف بجانب الجسدين وجسده يزداد في التوهج وهو يمد يديه لجسديهما.

***

-"هل أدخل من هنا؟"

قالها (يسري) وهو يقود سيارته ويستفسر عن إرشادات الطريق من (عماد) الذي يجلس بجانبه. و(حازم) يتحدث في الهاتف قائلًا:

-"ما كل هذا يا (حامد)؟ هل كنت تغلق هاتفك؟ فهمت. فهمت. الغرفة تحجب إشارة الهاتف. المهم. هناك شيء هام. سآتي إليك أنا و(عماد) وشخص آخر معنا للغرفة. ونريد الدخول.. نحن في الطريق وقد اقتربنا كثيرًا. دقائق وترانا. ماذا؟ ستترك الأبواب مفتوحة؟ جيد".

***

أنهى (حامد) المكالمة وهو يفتح الباب. أطرق أذنه قليلًا. هل هذا الصوت يأتي من الغرفة النحاسية؟ نزل درجات السلم المؤدية للغرفة خائفًا. صوت يشبه تحرك الأثاث على أرض خشنة. وقف أمام الغرفة المغلقة يتأملها.. هل يدخلها أم ينتظر قليلًا؟

حرك النقوش على الباب وفتحه ليجد بقعة الضوء قد ازدادت حجمًا حتى ملأت نصف الغرفة وعلى الأرض (يوسف) يفتح عينيه بصعوبة وينظر حوله وهو يقول:

-"ماذا.. ما هذا؟!"

جرى (حامد) إليه وجثى على ركبتيه محتضنًا إياه وهو يقول:

-"أنا (حامد)!"

نظر له (يوسف) وهو يقول:

-"أعرف".

-"أخيرًا واحد من أصدقائي تعرف عليّ!"

فجأة فتح (إسماعيل) عينيه ونهض بنصفه الأعلى ناظرًا يمينًا ويسارًا بخوف وهو يتساءل:

-"أين (يصفيدش)؟"

قالها بلهجة صعيدية. فقال (حامد):

-"حلاوتك يا جدو!"

نهض (إسماعيل) ووقف على قدميه لكنه كاد أن يسقط. فهتف وهو يحاول تمالك نفسه:

-"ما الذي فعله (يصفيدش) بي؟!"

تكلم (يوسف) وهو يحرر نفسه من (حامد):

-"ما هذا المكان؟ وماذا يحدث؟!"

ساعده (حامد) على النهوض بينما تراجع (إسماعيل) للخلف متسائلاً:

-"من أنتم؟"

هنا تكلم (طه):

-"(يصفيدش) حبسك في عالم الجان منذ مائتي عام يا (إسماعيل). قرينك ظل هنا وجسدك مع (يصفيدش). وها قد أعدتك".

لم ينطق (إسماعيل) بينما سأل (يوسف) فزعًا:

-"من الذي يتحدث؟"

-"(حامد) سيشرح لك باختصار لاحقًا.. أما أنت يا (إسماعيل) فاعلم أن أحد أحفادك نطق الكلمات وفك طلاسم (المخلي) محررًا إياه. وهو الآن يسعى لفتح البوابات السبع. وها قد أعدتك لتصنع طلسمًا جديدًا كي نوقف به (المخلي)".

-"أين هو الآن؟"

-"في طريقه للبوابات".

-"يجب أن أطلسم نفسي كي أقترب منه وأستطيع إيقافه".

-"لو اقتربت سيقتلك".

-"لذلك أحتاج لحماية كافية لأكون في نفس موضعه في عالم البشر".

-"جهز نفسك وسأعود لك".

قالها (طه) واختفى فجأة.

لم ينتبه أحد إلى تحرك نقش يمتلئ بالمربعات بعضها فاتح اللون والآخر داكن.

***

نزل (عماد) يتبعه (حازم) و(يسري)، الذي كان ينظر وراءه بقلق، حتى وصلوا إلى مدخل الغرفة. دخل (عماد) ليجد (إسماعيل) ينظر لـ(يوسف) بدهشة. فتهلل (حامد) عندما رآه وقال:

-"عاد (يوسف) والحاج (إسماعيل) لعالمنا مرة أخرى!"

دخل (حازم) ليتوقف هو الآخر مندهشًا. وتبعهما (يسري) الذي توقف ليتأمل في الغرفة النحاسية. فقال له (عماد) مطمئنًا:

-"لا تخف من شيء يا دكتور (يسري). ستفهم كل شيء.. (حامد). هذا دكتور (يسري) أستاذ التاريخ. سيساعدنا للتوصل إلى العفاريت".

تأمله (حامد) وهو يقول مشدوهًا:

-"أشعر أنني رأيته من قبل!"

قال (يسري) بالفارسية بصوت عال:

-"مسدود كردن".

توقفت آلات الغرفة النحاسية عن العمل فجأة وساد صمت قطعه (حامد) وهو يشير لـ(يسري) قائلًا:

-"أنت تشبه الشاب الذي أرتني الغرفة إياه وهو يبنيها!"

ابتسم (يسري) وهو ينظر لـ(إسماعيل)/ الذي كان ينظر إليه وهو يفتح فمه وعيناه تتسع قائلًا بخوف:

-"(الحي بن القصاب)!"

***

هبط (إسلام) و(رقية) والمأمور من سيارة هذا الأخير. الذي فتح حقيبة السيارة وأخرج منها حبلًا لُف حول نفسه. وطلب من السائق أن يظل داخل السيارة ولا ينظر يمينًا أو يسارًا أو يخرج مهما حدث.

-"شعرت بأن الضباط الذين تركناهم وراءنا ينظرون لنا بضيق".

ابتعدوا عن السيارة وأقدامهم تنغرس في الرمال. والمأمور يقول:

-"طبيعي يا ابنتي. ينفذون أوامر ضابط من القاهرة بدون سبب ويقفون على حدود قرية (عرب مطير) ليمنعوا الأهالي من الاقتراب من الهنتيكة".

-"قل لـ(رقية) أن تطلب من (إسلام) أن يحذر من هجوم من الجان بعد خطوات قليلة".

قالها (طه) في أذن المأمور الذي ردد العبارة بسرعة لـ(رقية).

-"استدع قرينك يا (إسلام)!"

تشكّل القرين من العدم ووقف أمام (إسلام). أمسك بشيء ما بيده اليمنى ثم فتح قبضته وأمسك بشيء أخر. وكرر فعلته ثماني مرات باتجاهات مختلفة ثم اختفى.

-"أكملوا طريقكم. وعند الوصول للهنتيكة قل لـ(إسلام) أن يجعل قرينه يتوقف عن مهاجمتي وأن هناك مزيدًا من الجان حولها يجب قتلهم بسرعة".

ظلوا يسيرون بين الرمال والهنتيكة أمامهم على بعد أمتار. بلّغ المأمور الرسالة لـ(رقية) فنقلتها لـ(إسلام) الذي قال:

-"لا تهاجم إلا من أمرك بمهاجمته. واقتل كل الجان الذين يحرسون هذا الجسم المعدني".

شاهدوا أضواء كثيرة تنفجر بصوت خافت حول الهنتيكة كأنها ألعاب نارية. ظهر بعدها القرين بجانب الهنتيكة واقفًا. فنظر له المأمور وهو يقول:

-"يقول (طه) لك إن (حبيبة) محبوسة بغرفة أسفل الهنتيكة وعلى قرينك أن يزحزحها".

كادت (رقية) أن تعيد كلماته لكن (إسلام) أشار لها بيده وهو يهز رأسه متفهمًا. بعدها تحرك القرين يدفع الهنتيكة بقوة. فلم تتحرك. توقف ثم هجم بكتفه ليرتطم بالهنتيكة. رجت الأرض من تحت أقدامهم وقد ترك الاصطدام أثرًا

كان (إسلام) ينظر إلى قرينه بتركيز وهو يحركه بعقله. بينما القرين يعيد الاصطدام مرة ثانية.. في المرة الثالثة ارتجت الأرض أكثر وانطبق جزء معدني من الهنتيكة وهي تميل على جانبها الاخر تاركة فتحة في الأرض وقعت فيها الأتربة.

قفز القرين في الفتحة فجرى (إسلام) ينظر داخلها ليرى قرينه يحمل جسد (حبيبة) وقد توقف عن الحركة. رمى المأمور بمساعدة (رقية) الحبل فلفه القرين حول وسط (حبيبة) ليرفعها إليهم. فجأة سمعوا صوتًا يأتي من الأسفل يقول:

-"من أنت لتدخل الغرفة المطلسمة؟!"

سمع (إسلام) في أذنه صوت (طه) يقول:

-"لا تشغل بالك بهذا الرجل، فهو سيد لهذه الغرفة وقد أتى من الممر الذي يقود لعرب مطير. اجعل قرينك يقتله بسرعة".

-"لا!"

قالها (إسلام) بحزم. فقال (طه):

-"نفذ ما أقول بلا مناقشة".

-"قلت لا!"

قالها (إسلام) وهو يساعدهم في حمل (حبيبة) ويسرعوا بها إلى السيارة.

***

-"يا لها من سنوات يا صديقي القديم. عشتها أنت بعالم الجان وعشتها أنا في عالم البشر!"

قالها (يسري) وهو يتقدم خطوة للأمام ناحية (إسماعيل) الذي قال:

-"كيف عشت كل هذه الفترة؟!"

-"هل نسيت أن نصفي من الجان وأعيش بنفس أعمارهم؟"

قالها مبتسمًا وهو يلمس بيديه نقوش الغرفة ويقول:

-"انظر يا (إسماعيل) ماذا بنيت. لقد بنيت هذه الغرفة من الكتب التي أخذتها منك بدلًا من غرفتك البدائية في الهنتيكة التي عقدت فيها اتفاقك مع (المخلبي)".

-"أنت الفتى الفارسي؟"

تساءل (حازم) مشدوهًا. فرد عليه:

-"(مهران بن القصاب بن شادق) أو (الحي بن القصاب) كما عرفتموني".

-"لا يمكن ذلك. كيف..."

قالها (عماد) فنظر له (مهران) وهو يقول:

-"كي لا أتركك في حيرة. أنا الذي زرت أصدقاءك ومنهم (يوسف) في أحلامهم لأحذرهم من الإكمال في طريقهم".

وأشار لـ(يوسف). ثم أكمل:

-"لكن عندما زرتك أنت و(حازم) كان الوضع مختلفًا. فقد كنت أوجهكما للتعاون معي منذ علمت بحصولكما على طلاسم المزمور الـ51. كنت أريد أن تأتي إليّ بإرادتك. وأن أساعدك حتى يعود (إسماعيل) للحياة وأدخل الغرفة النحاسية بدون مشاكل مع قبائل الجان".

-"لذا أريتنا في الحلم أمس الراهب (سمعان) يكتب شيئًا؟"

-"كي تشعرا بأن دخولي الغرفة من أفكاركما".

قالها (مهران) وهو يتوقف أمام مجموعة نقوش ويقول:

-"لقد صممت الغرفة كي تطيع بصمة صوتي ولغتي الفارسية الأم باعتباري الصانع. ما رأيكم بتصميمي؟"

قالها ثم أكمل بالفارسية:

-"أقلام".

انزاح جزء كبير من النقوش مفرغًا مساحة مترين خلفه مليئة بالطلاسم وما يماثلها بالعربية من الحروف العربية. تحت تلك النقوش كُتب بقلم عادي الشفرة الرقمية من الحروف القبطية وما يقابلها بالعربية. فتح (مهران) الورق الذي يحمله ونظر فيه وهو يقول:

-"(سمعان) كان صديقي وهو من أهداني نسخة المزامير بترجمته. لكنه حذف آخر جزء ولم أفهم السبب. وعندما عرفت بسر وجود الطلسم فهمت أنه خاف أن أستخدمه لأنه دائمًا ما كان يقول أنني أشبه (أصف بن برخيا). الذي كان ابنًا للجان. لم أتخيل مكانًا أفضل ليخفي فيه الشفرة أكثر من لوحة الأقلام الروحانية التي نقشتها هنا".

نقل نظره بين الشفرة والورق أكثر مرة وهو يقول بحروف متقطعة:

-"تنقش.. على.. الجلد".

خلع جاكت بدلته وقميصه وأمسك قلمه وهو يقول:

-"لم اكن لأترك فرصة عودتك تفوتني يا (إسماعيل)، كي أقتلك بيدي هذه المرة".

اقترب منه (إسماعيل) قائلًا:

-"أعطني فرصة وحيدة لأوقف (المخلبي) ثم نصفي حسابنا".

صرخ (رحيم) قائلًا:

-"منافذ الغرفة مفتوحة وستتعرض لهجوم في أي وقت!"

غرس (مهران) طرف القلم في جانب صدره وهو يحفر الطلاسم التي يشاهدها في الورقة عليه، وقال بصوت لاهث:

-"أعرف. لأني أفتح لنفسي منفذًا للخروج.. هل تعرفون أن (طه) هذا أذكى شخص رأيته في المنتي عام السابقة؟"

ظهر ضوء أصفر من موضع الطلاسم على صدر (مهران) كأنها تضيء من تلقاء نفسها. فصرخ (مهران) وهو يتألم والضوء الأصفر يزداد حتى أحاطه وأعمى عيون الجميع. فجأة خبت الضوء ولم يجدوا (مهران).

***

بالقرب من محافظة (رفحاء) بالسعودية. وفي الصحراء عند منطقة يسميها الأهالي بأبار (لينا) أو أبار الجن. والتي تتشكل من 300 بئر غريب الشكل رُدم بعضها: ظهر ضوء أسفر بجانبها وتشكل ليصبح (مهران). الذي نظر حوله مندهشًا.

الأبار المطمورة خرج التراب منها كأن أحدهم يدفعه من أسفل. ومن كل بئر سطع عمود من الضوء الأحمر تغير لونه إلى الرمادي. ثم أصبح كل عمود ضوء كالزوبعة وهو يتشكل لكائن يفوق الأمتار الخمسة. وصوت عميق يأتي من لا مكان يقول:

-"مرحبًا بسيدنا (أصف بن برخيا)".

***

-"هل عدت من الموت يا (إسلام)؟"

قالها الشيخ (محمد) وهو يقف أمام باب الغرفة النحاسية ناظرًا لـ(إسلام). رمقه الجميع بدهشة بينما أكمل قائلًا:

-"سمعت صوتًا غريبًا يخبرني بأن آتي هنا لأحميكم وأحمي (إسلام) لأنه سيعود للحياة".

-"لا تقل لي إنه (طه)!"

قالها (حامد) فقال الشيخ:

-"حدد لي المكان وموعد دخولي ووصف لي هذا المكان".

-"وكيف ستحمينا وممن؟"

نادى الشيخ قائلًا:

-"حاوطوا هذا المكان بارك الله فيكم وعليكم".

ثم نظر لـ(إسلام) قائلًا:

-"ألا تتذكر؟ قرينك كان يزورني وهو من أتى لي بقرناء مدينة الموتى وعلمني أمرهم لأحمي أصدقاءك".

هنا قال (رحيم):

-"الهجوم بدأ من الجان!"

-"لا تخافوا فالقرناء يتحملون الضربات ولا يموتون".

قالها الشيخ ثم تابع:

-"آخر كلمة قالها لي الصوت أن أسمح لـ(إسماعيل) بعد أن يتحضر بالخروج من الغرفة ليلتقطه هو".

-"إذن (طه) هو من فعل هذا".

-"أعطوني قلمًا وحبرًا".

قالها (إسماعيل). فقال (حامد):

-"عندي لك مفاجأة. الأقلام في هذا العصر ممتلئة بالحبر من تلقاء نفسها. هل ينفع معك القلم الذي تركه (الحي بن القصاب)؟"

***

تقاتل جيش (المخلبي) مع جيش الممالك في الصحراء.. وعلى بعد مئات الأمتار وقف (المخلبي) ورجاله وبجانبه (قصعان) يرمقون الحرب الدائرة والأول يقول:

-"لقد سحب (بصفيدش) جيشي إلى هنا لغرض ما".

ثم نظر إلى أحد قواده قائلًا:

أنت. أحضر الفتاه حالًا.

اختفى من أمره بينما نظر هو لـ(قصعان) وهو يقول:

-"هيا. قل الكلمات لأحفظها عند التشكّل".

-"تشكّل أولًا ورددها معي لأنني سأتشكّل في نفس اللحظة".

نظر (المخلبي) له بشك ثم قال:

-"هل هنا مركز البوابات؟"

-"نعم".

-"ابدأ أنت التشكّل أولًا وأنا سأتبعك".

***

سمع المأمور و(رقية) و(إسلام) صوت طلقة رصاص. فسقط (إسلام) على ركبتيه وقرينه يظهر بجانبه ساقطًا على ركبتيه مثله كأنه يقلده في كل حركات جسده. حاول (إسلام) الوصول لموضع الرصاصة في ظهره و(رقية) تصرخ والمأمور يترك (حبيبة) على الأرض وينظر لمطلق

الرصاص. الذي كان رجلًا يرتدي جلبابًا وعمامة ويحمل بندقية خرطوش يتصاعد الدخان من فوهتها.

أفاق (طه) من رؤيته التي تعود عليها للمستقبل ونظر أمامه ليجد (إسلام) يسير بجانب (رقية) بنفس الطريقة وبجانبهما المأمور يحمل (حبيبة). نظر في الموضع الذي أطلقت منه الرصاصة في رؤياه فلم يجد شيئًا. لا تفسير إلا أن يكون مطلق النار قد طلسم نفسه كي لا يراه الجان. في الغالب هو سيد الغرفة المطلسمة مثلما كان (إسماعيل الحلاج). ستنطلق الرصاصة الآن.. لا يوجد إلا حل واحد.

جرى للبقعة التي أطلقت منها الرصاصة في رؤياه. وفكر في أنه لو أخرج شحنة كهربية فلن تؤثر إلا في عالم الجان.. كي يؤثر بشحنة كافية في عالم البشر عليه أن.. يفجر نفسه.

كأنها قنبلة ارتجت لها الصحراء ووصل صوتها إلى القرى المجاورة. انبطح الثلاثة أرضًا والغبار الساخن يعمي عيونهم.

***

تشكَّل جسد (قصعان) في بقعة نائية بصحراء إيران وقد شعر بالحر الشديد الذي لم يعتده من قبل. نهض بصعوبة ليجد جسد (المخلبي) يتشكَّل بجانبه. نظر له وقال:

-"هل تتذكر الجاسوس الذي زرعه (يصفيدش) بينكم؟"

نظر له (المخلبي) بإرهاق فأكمل (قصعان):

-"أخرجني (يصفيدش) من سجني البحري وطلب مني مساعدته. ثم أعادني مرة أخرى لتأخذني أنت".

-"ولماذا تساعده هو.. ما السبب؟!"

-"الأمل في الحياة إن نجح (يصفيدش).. لأني ميت ميت إن نجحت أنت!"

انفردت أجنحة (قصعان) وهو يقول:

-"لنكمل معركتنا التي انتصر لك فيها (يصفيدش)".

***

انتهى (إسماعيل) من طلسمة جسده ووقف قائلًا:

-"كيف سأخرج من هنا؟"

نادى الشيخ:

-"اسمحوا لهذا الرجل بالخروج".

فجأة أثيرت زوبعة من منتصف الغرفة ابتلعت (إسماعيل) واختفت. ثم أثيرت زوبعة ثانية في منتصف الغرفة خرج منها (مهران) بصدره العاري ونظر لهم قائلًا:

-"يقولون عنهم العفاريت.. عفر.. عفريت. كأنهم يعفرون الأرض من سرعة حركتهم".

-"ما الذي يحدث؟"

تساءل (عماد) فنظر له (مهران) قائلًا:

-"(إسماعيل) أصبح ملكي الآن حسب الاتفاق".

-"اتفاق؟"

-"جاءني (طه) صباح اليوم وقال إنه رأني في المستقبل أتحكم في العفاريت. لكن (إسماعيل) هرب مني مرة أخرى. لذا عرض عليّ تسليمه لي مقابل أن يتركني أتحكم في العفاريت وأفعل ما يحدث الآن".

-"وماذا يحدث الآن؟"

-"عالم الجان أصابه الخلل بعد موت (سليمان). وكثرت حروبهم وجنونهم".

***

جيش المماليك يطوق جيش (المخلي) من الجوانب..

***

-"لذا أعتقد أنهم بحاجة إلى حاكم جديد. وكي يتقبلوا هذا الحاكم يجب أن يُظهر من القوة والشدة ما يكفي ليحترموه".

***

فجأة صرخ (يصفيدش) في رجاله أن يتوقفوا عن القتال وهو ينظر للأعلى ويرى زوابع تسير بسرعة جنونية تقترب من الجيشين.. صاح (يصفيدش):

-"العفاريت أتوا!"

***

-"تلك القوة التي ستظهر يجب أن تخلف ضحايا ليكونوا عبرة للجميع. وأعتقد أنك لتبني بيتًا جديدًا فعليك بهدم القديم وإزاحة أنقاضه".

***

الزوابع تدور حول جثث الجيشين الملقاة. (بصفيدش) جثة هامدة لا تتحرك. وكلما أبدت إحدى الجثث حركة تدل على الحياة. نجري عليها زوبعة تمر فوقها فتخمد الجثة.

***

-"أما البوابات السبع التي خافها الجان فحان الوقت لتدميرها لتصبح ذكرى لهم لا أكثر. ويصبح مدمرها هو البطل الجديد".

***

كاد (المخلبي) بقتل (قصعان) وهو يضع قدمه فوق رقبته ويقول:

-"قل الكلمات وإلا قتلتك!"

بدأت سلسلة من الانفجارات في صحراء (إيران) وكأنها تقترب منهم. حانت من (قصعان) نظرة لتلك الانفجارات المقتربة. ضحك بصعوبة وقال:

-"لا أعرف ماذا يحدث لكن أعتقد أنها النهاية يا صديقي".

ثم انفجر موضعهما بعنف.

***

-"اشكرا لي صديقكم (طه).. إن نجا من الموت وقولا له بأن (الحي بن القصاب) وفي بجزئه من الاتفاق ويشكرك على هدية (إسماعيل)".

قالها (مهران) وزوبعة تدور وسط الغرفة سحبته واختفت.

***

بعد 7 ايام.. مستشفى الأورام..

دخل (إسلام) يمسك بيد (رقية) وسألا في الاستقبال عن اسم مريض. دلتهما الممرضة فصعدا للدور الثالث وبحثا في العنابر حتى وجدا (حامد) يأكل (شيبسي) بجانب فراش ينام عليه (طه) حليق الرأس والإرهاق والشحوب ظاهران عليه.

ابتسم لرؤيتهما. في حين قالت (رقية):

-"عرفت أنهم نقلوك لمستشفى الأورام بعد ظهور الورم".

-"كنت أتوقع شيئًا كهذا من تعاملي مع الكهرباء".

ضحك (حامد) فجأة فنظر الجميع له بدهشة وهو يحاول أن يقول بين ضحكاته:

-"عندما انفجرت ونفذت شحنتك الكهربية وعدت لعالم البشر عند الهنتيكة".

-"ماذا تقصد؟"

-"أعتقد أنك قتلت مشاعر (رقية) عندما رأتك عاريًا!"

-"اعتقدناك قد مت، لكن الحمد لله".

قالتها (رقية) و(حامد) يفرغ آخر جزء من كيس (الشيبسي) بفمه. بينما قال (طه):

-"لا تخف يا (إسلام) سأجد حلًا لمشكلتك. فلن أتركك لتذكرك (رقية) كل يوم بما حدث في حياتك".

سمع الجميع صوت رنة هاتف (حامد)

(يا حلو يا اللي العسل سايل من الشفة.. شعرك سلاسل دهب دمك كمان خفة.. أدفع في مهرك ألوف وأصرف جميع مالي لو قلتي كلمة بس مع بسمة من الشفة)

رد (حامد) على الهاتف واستمع إلى محدثه. ثم نظر لـ(طه) قائلًا:

-"استعد.. (حازم) و(عماد) و(يوسف) و(حبيبة) والشيخ (محمد) سيأتون لزيارتك الآن".

ثم فجأة تحدث (حامد) مع (رحيم) بجواره:

-"قلت لك لا تزنّ في أذني يا أخي أمام الناس وتجبرني على الرد كي لا يعتبروني مجنونًا!"

-"أنت الوحيد منا الذي خرج بشيء مما حدث. لا أعرف كيف بقي (رحيم) صديقك بعد إغلاق الغرفة".

قالها (طه). فاقترب (حامد) منه وأغلق المكالمة وهو يقول:

-"هيا بنا إذن لنسجل هذه الصداقة التاريخية. اقترب يا (رحيم) لنلتقط (سيلفي) مع بعضنا البعض".

ضحك (طه) وأخرج (حامد) لسانه وهو يرفع هاتفه المحمول ويلتقط صورة سُجلت على الهاتف لهما. وفيها ظهر ت خلف (حامد) بقعة ضوء صغيرة وشيء يشبه إصبعي السبابة والوسطى خلف رأس (حامد).

***

تمت

شكر إلى

مهندس الكهرباء/ محمد طه عبد الفتاح..

الشيخ/ محمد هناء الدين..

شكر خاص إلى

الكاتب/أحمد عبد المجيد

على رأيه الثمين فيما أكتب..

شكر خاص إلى

مدير النشر بدار ن

أ/هيثم حسن

الذي عاملني كأخ لم تلده أمي..

مدير عام دار ن

أ/حسام الدين حسين

الذي عاملني كابن له منذ أول مرة قابلته فيها..

فريق عمل دار ن

لمساعدتهم لي في إخراج هذ ا العمل بهذه الصورة..

شكراً إلى سلسلة هذا العلم

الشيخ (أسامة عبد الوارث) عن (نصر الدين القناوي) عن (محمود التهامي الشاطوري) عن (تاج الدين عبد الرحمن) عن العارف (مالك أبي أيوب النوري) عن الشيخ (شهاب الدين الضياني) عن عز العلماء (الهواري النجفي) عن الشيخ (الشاذلي الحموي) عن (بن محلان) عن جبل المعارف (أحمد بن التوريزي) عن (موسى المالكي) عن العالم (الحسن الحنبلي) عن (أحمد بن ميمون القسطلاني) عن (أبي عبد الله بن أحمد) عن رأس السبعة أبدال (أبي مدين بن حسن الأنصاري الأندلسي).

رحمة الله عليكم أجمعين

كلمة إلى القارئ

أشكرك على أنك تحملت تأخيري في إخراج هذا العمل.
وأعتذر إن أثقلت عليك..

للتواص مع الكاتب

https://www.facbook.com/profil.php?id=100001343653770

أعمال الكاتب

- مخطوطة ابن إسحاق (مدينة الموتى)
- مخطوطة ابن إسحاق (المرتد)
- الجزار
- نصف ميت
- لقاء مع كاتب رعب
- حكايات فرغلى المستكاوي

<u>شارك بالكتابة فى</u>

- نقطة من أول السطر
- مخاوف
- كوكتيل أدبى
- القادمون

<u>تحت الطبع</u>

- ابتسم فأنت ميت
- ليلة فى جهنم (سباعية)
- ماريا
- الملك

الفهرس

إلى الصوت الذي كان يُحدّثني أثناء كتابة هذه الثلاثية، أشكرك لأنك توقّفت.

حسن الجندي





ISBN 9789777780087

